بیاناتِ عطاریہ

المحاضرات الإسلامية

الجزء الأول

لفضيلة الشيخ الداعية الكبير أبي بلال
محمد الياس العطار القادري الرضوي
حفظه الله تعالى

مكتبة المدينة
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المُحاضَراتُ الإسلامِيّة

لِفَضِيلَةِ الشَّيخِ الدَّاعِيَةِ الكَبِيرِ أَبِي بِلَالٍ مُحَمَّدٍ إِلْيَاسَ العَطَّارِ
القَادِرِي الرَّضَوِي حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

الجُزءُ الأوّل

تعريب
مجلس التراجم

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ-٢٠١٠م

مكتبة المدينة

للطباعة والنشر والتوزيع

المركز العالمي جامع فيضان المدينة سوق الخضار القديم حي سودا غران، كراتشي، باكستان.

هاتف: ٤٩٢١٣٨٩-٠٠٩٢٢١ فاكس: ٤٩٢١٣٩٤-٠٠٩٢٢١

البريد الإلكتروني: translation@dawateislami.net

overseas@dawateislami.net :

موقعنا على الإنترنت: www.dawateislami.net

أخي القارئ العزيز:

إنّ فضيلة الشيخ الداعية الكبير أبا بـلال محمـد إليـاس العطـار القـادري الرضـوي صـنّف الكتـب والرسـائل والمحاضـرات باللغـة الأردية، وإنّ مجلس التراجم أخذ على نفسه ترجمتـها مـن الأرديـة إلى العربية والإنجليزية والفارسية وغيرها من اللغـات وقـام بترجمـة هذه المحاضرات من الأردية إلى العربية وإخراجها بنهج دقيق متقن قبل دفعها للطباعـة فـإن وافقـت الحـقّ والـصواب فالمنـة لله العلـي الكبير وإلاّ فالعبد محلّ الخطأ والتقصير ولا سيّما مع الباع القاصـر والعلم القصير ونعتذر لذوي الألباب من التقصير الواقـع في ترجمـة هذه المحاضرات من الأردية إلى العربية.

ونسأل بلسان التضرع والخشوع وخطـاب التـذلل والخـضوع أن تنظروها بعين الرضى والصواب فما كان من نقص كملـوه، ومـا كان من خطأ أصلحوه بل أرسلوه لنا فنتداركه في الطبعات اللاحقـة ونرحب بملاحظاتكم النافعة وبهذا تكونون قد شاركتم معنا بجهـد مشكور يتضافر مع جهدنا جميعاً في سيرنا نحو الأفضل.

مجلس التراجم من جمعية الدعوة الإسلامية

مقدمة

الحمد لله ربّ العالمين وأفضل الصلاة وأتمّ التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، **أمّا بعد:**

فإنّ هذا الكتاب يحتوي على محاضرات فضيلة الشيخ الداعية الكبير أبي بلال محمد إلياس العطار القادري الرضوي فهو يتحدّث فيه عن فضل الأولياء الكرام والرغبة في الآخرة ومكارم الأخلاق والآداب والحياء من الله تعالى والخوف منه، والصبر والإخلاص وتجنب الرذائل والسيئات والفحش والبذاء وكيفية الحذر من هذه المهلكات والنظر إلى الدنيا على أنّها دار العمل لنيل الدرجات في الآخرة لا على أنّها دار قرار ولهو وانشراح، ويتحدث أيضاً عن الموت وكيفيته وحال الميت والقبر وضمته وفتنته وعذابه وضيقه وكيفية الحذر من عذاب النار. وهذه المحاضرات ألقاها بالاجتماعات نقلاً من الأحاديث والآثار وأقوال العلماء الكرام مع الحكايات الإيمانية؛ لتهذيب أخلاق المسلمين وتشذيب مسارهم لما فيها من الترغيب والترهيب والتحبيب والتأنيب، وهذا يدلّ على سعة اطلاعه من الناحية العلمية ويدلّ

كـذلك علـى اهتمامـه بالجوانـب الأخلاقيـة والرقيقـة في حيـاة المسلمين، وقد قام مجلس التراجم من جمعية "الـدعوة الإسـلامية" بترجمة هذه المحاضرات إلى اللغة العربيـة وطبعتـها مكتبـة المدينـة بشكل كتاب، وهذه المحاضرات التي جمعناها هي:

- هول الصراط
- علاج الذنوب
- عجز الميت
- موت أبي جهل
- صفقة قصر الجنّة
- الشاب الحي
- القصر الخراب
- الخزينة المليئة بالأسرار
- أسباب سوء الخاتمة
- نداء النهر
- علاج الغضب
- عقاب الظلم

نرجو الله أن يفيد منها أبناء هذه الأمّة، وصـلّى الله وسـلّم على سيّدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين.

الناشر

مكتبة المدينة

تعريف موجز عن فضيلة الشيخ محمد إلياس العطار

اسمه:

هو الشيخ الكامل العارف بالله الداعية الكبير أبو بلال محمد إلياس بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم، العطار القادري الرضوي الحنفي.

مولده ونشأته:

ولد في اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان عام ١٣٦٩هـ الموافق ١٩٥٠م في مدينة كراتشي من "باكستان".

ونشأ في أسرة كريمة، نبيلة، وفي بيئة إسلامية، رشيدة، محافظة متمسّكة بالسنن النبوية وكان فيها أهل صلاح وتقى وورع فتسلح بسلاح المعرفة والبصيرة منذ نعومة أظفاره.

دراسته وأساتذته:

حضر مجالس العلماء الكرام وأخذ منهم العلوم والآداب السامية وأمّا الشيخ الذي استفاد منه كثيراً ولازمه اثنين وعشرين عاماً فهو سماحة الشيخ المفتي محمد وقار الدين رحمه الله تعالى وقد أجازه سماحة الشيخ المفتي محمد وقار الدين في الطريقة القادرية والفقيه المحدّث الشيخ محمد شريف الحق الأمجدي الهندي رحمه الله تعالى في الحديث والطرق وأخذ الطريقة القادرية من العالم الجليل الشيخ المعمّر محمد ضياء الدين المدني المتوفى

في المدينة المنورة رحمه الله تعالى ومن العالم الجليل الشيخ محمد عبد السلام رحمه الله تعالى أيضاً.

إسهاماته الدعوية:

بدأ بالدعوة إلى الله تعالى عملاً بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [فصلت: ٣٣/٤١]. وأخذ ينشر العلم ويدعو الناس إلى الله تعالى صابراً محتسباً وفي بداية دعوته إلى الله تعالى كان الشيخ وحيداً، ثُمّ تجمّع معه الناس شيئاً فشيئاً حتّى أصبحوا دعاةً إلى الله تعالى ووصل عددهم إلى ملايين وهذا دليل على إخلاصه حفظه الله تعالى.

ومن مجالات دعوته التي انتفع بها المسلمون: القيام بفتح معاهد تحفيظ القرآن الكريم وتجويده والجامعات للعلوم الشرعية الإسلامية للذكور والإناث ودور الإفتاء والقناة الإسلامية المسماة بـ"القناة المدنية" ودار النشر المسمّاة بـ"مكتبة المدينة" مع ترتيب لجنة لتحقيق الكتب والتراث وتأسيس جمعية الدعوة الإسلامية والمركز العالمي "جامع فيضان المدينة" ويتواجد فيه دائماً الإخوة الدعاة إلى الله تعالى الذين يدربون الناس على أسلوب عرض الدعوة إلى الله تعالى ويرغبونهم في السفر في سبيل الله تعالى مع قوافل الدعاة في جميع أنحاء العالم للدعوة إلى الله تعالى وبجانب ذلك المسجد جامعة كبيرة للعلوم الشرعية الإسلامية ومعهد

لتحفيظ القرآن الكريم وتجويده ومكاتب متنوعة لمختلف مجالات الدعوة وفي هذا الحين تعمل جمعية "الدعوة الإسلامية" في اثنتين وسبعين دولة ويُعقَد الاجتماع العالمي السنوي الذي يحضر فيه ملايين من الناس من مختلف أنحاء العالم تحت إشراف جمعية "الدعوة الإسلامية" في مدينة "ملتان".

ويقول الشيخ دائماً: يجب على كلّ مسلم أن يضع نُصب عينيه مقصداً سامياً وهو: "عليّ محاولة إصلاح نفسي وجميع أناس العالم".

صفاته:

وهو ذو أخلاق فاضلة وآداب كريمة ومحبّ كامل المحبة لحضرة المصطفى صلّى الله تعالى عليه وسلّم ومتّبعٌ كاملٌ للشريعة الإسلامية أصدق اتباع، تقيّ، ورعٌ، ذاكرٌ لله تعالى على جميع أحواله، متواضع لله تعالى، كثير البكاء وقد يغمى عليه بسبب كثرة البكاء والخوف من الله تعالى ويأتي إليه المسلمون من أماكن شاسعة لسماع وعظه ويحضرون دعاءه فهو متميز باهتمامه بالشباب ومتفرد على كثير من العلماء والمشايخ بأخوته للجميع ومحبته للصغير والكبير وتواضعه الذي ساعده أن يسكن القلوب وحرصه على مخالطة الناس ولقائهم بابتسامة لا تغادر مُحَيّاه.

وهو داعية ناجح بسبب فصاحته وأسلوبه الحسن وإخلاصه لله تعالى ولَم ينل ما نال إلاّ بالجد والحزم والاجتهاد والصبر والتعب

في سبيل الدعوة إلى الله تعالى وهو نافع للناس في علمه ونصحه وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة في محاضراته وكلماته وكتاباته.

تأليفاته:

كانت تصانيفه وتأليفاته ومحاضراته قيمة مفيدة مختصرة، يعالج فيها المسائل الحياتية الحادثة ويركز فيها على إصلاح النفس والتخلّق بأخلاق سيّد المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم ولقد منح اللهُ في كتابته وكلامه تأثيراً عجيباً حتّى تاب آلاف المذنبين والعاصين على يديه والتزموا بالدين لأجل قراءة كتبه وسماع خطاباته.

وفي الأخير نسأل الله عزّ وجلّ أن يبارك في علم شيخنا وعمره وأوقاته وأعماله الطيبة ويمنحه الاستقامة ويعظم له الجزاء وصلّى الله تعالى على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

[كتبه مجلس التراجم]

هَوْلُ الصِّرَاط

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الدَّاعِيَةِ الْكَبِيرِ أَبِي بِلَالٍ مُحَمَّدٍ إِلْيَاسَ الْعَطَّارِ
الْقَادِرِيِّ الرَّضَوِيِّ حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

تعريب
مجلس التراجم

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسَّلام على سيِّدنا محمّد خاتَم الأنبياء وإمام المرسلين وعلى آله وصحْبِه الطيِّبين الطاهرين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدِّين، **أمّا بعدُ:**

فقد رُوِي عن سيّدنا عبد الله بنِ مسعُود رضي الله تعالى عنه أنَّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «أولَى الناسِ بي يومَ القيامة أكثرُهم عليَّ صلاةً»[1].

صلّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمد

دخلتْ مولاةٌ لِعمرَ بنِ عبد العزيز عليه فسلَّمَتْ عليه ثمّ قامَتْ إلَى مسجد في بيتِه فصلَّتْ فيه ركعَتَينِ، وغلَبَتْها عيناها فرقَدَتْ، فاسْتَبَكَت في منامها ثُمّ انتَبَهَتْ، فقالت: يا أميرَ المؤمنين إنِّي واللهِ رأَيتُ عَجَبًا، قال: وما ذلك ؟ قالت: رأَيتُ النّارَ وهي تَزْفِرُ على أهلِها، ثُمّ جِيءَ بالصِّراطِ فوُضِعَ على مَتنِها فقال: هِيْهِ، قالت: فجيءِ بِعبد الملك بن مروانَ فحُمِلَ عليه فما

---

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، باب ما جاء في فضل الصلاة على النبي صلّى الله عليه وسلم، ٢/٢٧، (٤٨٤).

مَضى عليه إلاّ يسيرًا حتّى انْكَفَأَ به الصِّراطُ، فهَوَى إلى جهنَّمَ فقال عمرُ: هِيْهِ، قالت: ثُمَّ جيءَ بالوليد بن عبد الملك فحُمِلَ عليه فما مضى إلاّ يسيرًا حتّى انْكَفَأَ به الصِّراطُ، فهَوَى إلى جهنّمَ فقال عمرُ: هِيْهِ، قالت: ثُمَّ جيء بسليمانَ بن عبد الملك فما مضى عليه إلاّ يسيرًا حتّى انكفأَ به الصِّراطُ، فهَوى كذلك، فقال عمرُ: هِيْهِ، قالت: ثُمَّ جِيءَ بكَ واللهِ يا أميرَ المؤمنين، فصاح عمرُ رحمة الله تعالى عليه صَيْحةً خَرَّ مَغْشِيًّا عليه، فقامت إليه فجعَلَتْ تُنادي في أُذُنه يا أميرَ المؤمنين ! إنّي رأيتُك واللهِ قد نَجَوتَ، إنّي رأَيتُك واللهِ قد نجوتَ، قال: وهي تُنادِي وهو يصِيح ويَفْحَصُ برجْلَيه[1].

أيّها المسلمون: إنّ منام غيرِ النَّبيِّ ليسَ بحُجّة شرعًا ومع ذلك أنّ عمرَ بن عبد العزيزِ رحمه الله تعالى كان أشَدَّ خوفًا من الْمُرورِ على الصِّراطِ ؛ لأَنَّ الصِّراط حقٌّ وهو جِسْرٌ مَمْدُود على مَتْنِ جهنَّم، أدَقُّ من الشَّعْرَةِ وأَحَدُّ من السَّيْفِ، يَعْبُره أهلُ الجنّة، وتَزِلُّ به أقدامُ أهلِ النّارِ.

---

[1] ذكره الغزالي في "إحياء علوم الدين"، كتاب الخوف والرجاء، بيان أحوال الصحابة والتابعين والسلف والصالحين في شدة الخوف، ٤/٢٣١.

مَرَّ الحسنُ البصريُّ بِشابٍّ وهو مُستَغْرِقٌ في ضِحكِه وهو جالِسٌ مع قومٍ في مَجلسٍ فقال لهُ الحسن: يا فتَى هل مرَرْتَ بالصِّراطِ ؟ قال: لا، قال: فهلْ تدرِي إلى الجنّة تَصيرُ أم إلى النّارِ ؟ قال: لا، قال: فما هذَا الضِّحك ؟ قال: فما رُؤِي ذلك الفتى بعدَها ضاحكًا[1]. وكان عبدُ الله بنُ مسعودٍ رضي الله تعالى عنه يقول: عجِبْتُ من ضاحكٍ، ومن ورائه النّارُ، ومن مسْرورٍ ومن ورائه الموتُ[2].

ورُوي عن حفصةَ رضي الله تعالى عنها قالت: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّي لأَرْجُو ألاّ يَدْخُلَ النّارَ أحدٌ إن شاء الله تعالى ممّن شهِدَ بدرًا والحدَيبيةَ». قالت: قلتُ: يا رسولَ الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم أَليسَ قد قال اللهُ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٧١/١٩]. قال: ألَم تسْمَعِيه يقول: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧٢/١٩][3].

---

[1] "إحياء علوم الدين"، كتاب الخوف والرجاء، ٢٢٧/٤.

[2] "تنبيه المغترين"، صـ٤١.

[3] أخرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب الزهد، ٥٠٨/٤، (٤٢٨١).

أيّها المسلمون: إنَّ الصِّراط هو جِسْرٌ منصوبٌ على ظهرِ جهنّمَ ينْجُو منهُ المؤمنون الخاشعون وتَزِلُّ به أقدامُ الظالمين وحالُنا نحنُ نَرتَكِبُ المعاصي ومع ذلك لا نَخاف من الله تعالى ولا نَستَيقِظُ من سِنَةِ الغَفلة. يا إخواني تأَمَّلوا في حالِ الأَسلاف رحمهم الله تعالى كيف كانوا يَحْزَنون ويتفكَّرون في الحسابِ والصِّراطِ مع أَنّهم أشَدُّ النّاسِ خوفًا من اللهِ تعالى قد رُوِي عن قيس بنِ أبي حازمٍ أنّه قال: كان عبد الله بنُ رَواحةَ واضعًا رأسه في حِجرِ امرَأته فبَكى فبكَتْ امرأَتُه، فقال: ما يُبكيكِ؟ قالت: رأيتُك تَبكي فبكَيتُ، قال: إنّي ذكَرتُ قولَ الله عزّ وجلّ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾. فلا أَدري أَننجو منها أم لا[1]. وعن أبي إسحاقَ عن أبي مَيْسَرةَ قال: كان يَضطَجِعُ على فِراشِه قال: فيقول: لَيْت أمّي لَم تَلِدْني فقالت له امْرَأته: أَلَم يَهْدِك الله عزّ وجلّ للإسلام ؟ فقال: بلى ! ولكِن قد أخْبَرَنا أنّا وارِدو النّارِ ولَم يُخْبِرْنا أنّا صادِرون عنها[2].

---

[1] أخرجه الحاكم في "المستدرك"، كتاب الأهوال، ٥/٨١٠، (٨٧٨٦).

[2] "الزهد" للإمام أحمد، صـ٣٦٠، (٢١١٠)، و"موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا"، ٢/٥٤٥، (٥٤)، و"كتاب الزهد والرقائق" لابن المبارك، صـ١٠٥، (٣١٢)، و"مصنف ابن أبي شيبة"، ٨/٢١٥، (١٢)، و"البدور السافرة"، صـ٣٤٣، (١٠٦٤).

وقال فُضيل بنُ عِياض رضي الله تعالى عنه: بلَغَني أنّ الصِّراط مَسيْرَةُ خمسةَ عشَر ألفَ عامٍ، خمسةُ آلافِ صُعودٍ، وخمسةُ آلافِ نُزولٍ، وخمسةُ آلافِ مُسْتَوًى، أَدَقُّ من الشّعر وأَحَدُّ من السيفِ على مَتْنِ جهنّم، لا يجوزُها إلاّ كلُّ ضامرٍ مَهزُولٍ من خَشيَةِ اللهِ[1].

أيها المسلمون: تُدْنَى الشّمسُ يومَ القيامة من الْخَلقِ حتّى تكونَ منهم كمِقْدارِ ميلٍ، فما ظَنُّكم بيومٍ تَقومون فيه حُفاةً، كان مِقْدارُه خمسينَ ألفَ سَنة، تَنقَطِعُ الأعناقُ عطَشًا وتَحتَرِقُ الأَجْوافُ جُوعًا، حتّى يُحمَلَ النّاسُ على الصِّراط فلا يَمرُّ عليه إلاّ ضامرٌ مَهزولٌ من خشيَةِ اللهِ. عن عائشةَ رضي الله عنها قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لِجهنّمَ جِسْرٌ أَدَقُّ من الشَّعرِ وأَحَدُّ من السّيفِ عليه كلاليبُ وحَسَكٌ يأْخُذون مَن شاء اللهُ والنّاسُ عليه كالطّرفِ وكالبَرقِ وكالرِّيحِ وكَأَجاويدِ الْخَيلِ والرِّكابِ والملائكةُ يقولون: رَبِّ سلِّمْ، ربّ سلِّم، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ ومَخدوشٌ مسلَّمٌ ومُكَوَّرٌ في النّارِ على وَجهِه»[2].

---

[1] ذكره ابن عساكر في "تأريخه"، ٣٩٥/٤٨.

[2] ذكره الإمام أحمد في "المسند"، ٤١٥/٩، (٢٤٨٤٧).

أيها المسلمون: إنّ نارَ جهنّمَ سَوْداءُ مُظلمَةٌ، غابَ الجِسْرُ في السَّوادِ والظُّلمة، ولَهِيْبُ جهنّمَ بجانبِه يَلْتهِبُ، فلا جَرَمَ أنّ من كان فضل الله عليه جازَ هذا الصِّراطَ ونَجا من النّيرانِ، قال سيّدنا سهلٌ رضي الله تعالى عنه: مَن دَقَّ الصِّراطُ عليهِ في الدّنيا عَرَضَ عليه في الآخرة، ومن عرَضَ عليه الصِّراط في الدّنيا دَقَّ له في الآخرةِ[1]. قد رويَ عن سعيد بنِ أبي هِلالٍ رضي الله تعالى عنه أنّه قال: بلَغَنا أنّ الصِّراطَ يومَ القيامة وهو الجِسْرُ، يكون على بعضِ النّاسِ أَدَقُّ من الشَّعرِ، وعلى بعضِهم مثلُ الدّارِ والوادي الواسِع[2].

أيها المسلمون: من المعروفِ أنّ المسافرَ إذا حَمَلَ الْمَتاع الكثيرَ في السّفرِ يثْقُلُ عليه حتّى إنّه ليضْطرِبُ وكذلكَ كَثْرةُ المال سَبَبٌ لِجَرِّ الوَبالِ العظيمِ إلى نفْسِه ، ويَثقُلُ عليه على قدْرِ كَثرتِه وقلّتِه فمَن قَلَّ مالُه في الدّنيا خَفَّ عليه الْحِسابُ في الآخرة.

---

[1] ذكره أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني في "حلية الأولياء"، باب سهل بن عبد الله، ٢٠٧/١٠، (١٤٩٥٨).

[2] ذكره البيهقي في "شعب الإيمان"، التاسع من شعب الإيمان وهو باب في أنّ دار المؤمنين ومأواهم الجنة ودار الكافرين ومآبهم النار، ٣٣٣/١.

عن الحارث بنِ نُعمانَ رضي الله تعالى عنهُ قال: سمِعْتُ أَنَسًا رضي الله تعالى عنه يقول: خَرَجَ رسولُ الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يومًا، وهو آخذٌ بيَدِ أبي ذرّ، فقال: «يا أبا ذرٍّ! أعلِمْتَ أنّ بين أَيْدِينا عَقَبَةً كَؤودًا، لا يَصْعَدُها إلاّ الْمُخفّون؟» فقال رجلٌ: يا رسول الله صلّى الله تعالى عليهِ وسلّم أمِن الْمُخِفِّين أنا أم من الْمُثقِلين ؟ قال: «أعندك طَعامُ يومٍ ؟» قال: نَعَمْ. قال: «وطعامُ غَدٍ». قال: نعم. «وطعام بعد غَدٍ» قال: لا. قال: «لو كان عندك طعامُ ثلاثِ لَكُنتَ من المثقِلين»[1].

أيها المسلمون: حالُنا اليومَ نحنُ نَحتكِر ونَدَّخِر ونَجْمَع الأَموال فَضْلاً عن ثلاثةِ أيّامٍ، ويَقَعُ بعضُ المثقلين في السَّرِقاتِ ويَكْسِبون الحرامَ لِشدّة الحِرصِ على المال وكثرةِ الرغْبَةِ فيه، ثُمّ بعد ذلك لا يتَفَكّرون في اجْتِيازِ الصِّراط.

فواجبٌ علينا بعدَ التّوبةِ إلى الله والنَّدَمِ على الذُّنوبِ والعزمِ الأَكْيَدِ بَيْننا وبين الله بِصِدْق ألاّ نعُودَ إلى مثلها أبدًا، ومع هذا نَقْطَع تلك الأسْبابَ الّتي تُؤَدِّي إلى المعاصي ونُسافِرُ في

---

[1] أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط"، ٣٤٨/٣، (٤٨٠٩)، والهيثمي في "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"، ٤٦٤/١٠، (١٧٩١٢).

سبيل الله مع قوافلِ الدّعاةِ إلى الله تعالى، ونَملأُ كُتَيْبَة الجوائزِ المدَنِيَّة كلّ يومٍ، وإن لَم يُمكِنْ مَلْؤُها كلّ يومٍ فينبغي أن نأخُذ اثنين وتسعين ثانيةً من أوقاتنا فقط ونشاهد كُتَيْبَة الجوائزِ المدَنِيَّة فبذلك يزْدادُ نَشاط الامتثالِ لأَوامرِ الله الكريمِ والاجْتِنابِ عن السّيِّئات؛ لأَنّ الجوائز المدنيَّةَ تَحُثُّ على الطّاعات، وتَردَعُ عن المخالَفات، وإنّها شجَرةٌ طيِّبةٌ إذا ثَبَتَ أصلُها في القلْبِ امْتَدَّتْ فُروعُها إلى الجوارح وأَثمرَتْ عَمَلاً صالحًا وقولاً رابحًا وسُلوكاً قَويْمًا وفِعْلاً كريمًا.

أيها المسلمون: لا يَجْتازُ الصِّراط إلاّ مَن أكْرَمه الله وأثابَه بِلُزومِ نورِ الإيمانِ له وأباحَ له النَّظَرَ إليه وقد قال تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢/٥٧]. وعن يعلى بنِ منبِّه رضي الله عنه قال: قال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ النّار تَقولُ لِلْمؤمنِ يومَ القيامةِ: جُزْ يا مؤمنُ، فقد أطْفأَ نُورك لَهَبي»[1].

---

[1] ذكره البيهقي في "شعب الإيمان"، ٣٣٩/١، (٣٧٥)، والطبراني في "الكبير"، ٢٥٩/٢٢، (٦٦٨)، والهيثمي في "مجمع الزوائد"، ٦٥٢/١٠، (١٨٤٤٦).

أيّها المسلمون: اسْتَمِعوا إلى خمسةِ أحاديثَ ذُكِرَت فيها الأعمالُ الَّتي تُؤَدّي إلى النُّور والنَّجاةِ يوم القيامة.

الحديث الأوّل

عن عبد الله بن عمرٍو رضي الله تعالى عنهما عن النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم أنّه ذَكَر الصّلاة يومًا فقال: «مَن حافَظ عليها كانت له نورًا وبُرْهانًا ونَجاةً يومَ القيامة، ومن لم يُحافِظْ عليها لم يكُن له نُورٌ ولا برهانٌ ولا نَجاةٌ، وكان يوم القيامة مع قارونَ وفرعونَ وهامانَ وأُبَيّ بنِ خَلَفٍ»[1].

الحديث الثاني

عن برَيدةَ رضي الله تعالى عنه عن النَّبيِّ صلّى الله تعالى عليه وسلَّم قال: «بَشِّرِ الْمَشّائين في الظُّلَمِ إلى المساجد بالنُّورِ التّامِّ يوم القيامة»[2].

الحديث الثالث

عن أبي هريرةَ رضي الله تعالى عنه قال: قال النَّبيُّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «مَن فرَّج عن مؤمنٍ كُرْبةً جعَلَ الله تعالى

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في "المسند"، مسند عبد الله بن عمرو، ٢/٥٧٤، (٦٥٨٧).
[2] أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب الصلاة، ١/٢٣٢، (٥٦١).

له يوم القيامة شُعْبَتَين من نُورٍ على الصّراط يَسْتَضِيء بِضَوْئِهما عالَم لا يُحْصيهم، إلاّ ربُّ العِزَّة»[1].

الحديث الرابع

عن أبي الدّرْداءِ رضي الله عنه عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «ليسَ من عبدٍ يقول: **لا إله إلاّ الله**، مئةَ مرّةٍ إلاّ بَعَثَه الله يومَ القيامة ووَجهُهُ كالقمرِ ليلةَ البدرِ، ولم يُرفَعْ لأحدٍ يومئذ عملٌ أفضلُ من عملِه، إلاّ من قال مثل قوله أو زاد»[2].

الحديث الخامس

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ذاكِرُ الله في السّوق، له بكلّ شعرَةٍ نورٌ يومَ القيامة»[3].

وقال صلّى الله عليه وسلّم: «من دخَلَ السّوقَ فقال: **لا إله إلاّ الله وحْدَه لا شريك له، له الْمُلك وله الحمد يُحْيِي ويُمِيت وهو حيٌّ لا يموت بيدِه الخير وهو على كلّ شيْء**

---

[1] "المعجم الأوسط" للطبراني، باب العين، ٣/٢٥٤، (٤٥٠٤).

[2] ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد"، كتاب الأذكار، ١٠/٩٦، (١٦٨٣٠)، والديلمي في "فردوس الأخبار بمأثور الخطاب"، باب الميم، فصل ذكر فصول في: "ما من" وغيره، ٢/٣١٤، (٦٤٤٠).

[3] أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"، باب في محبة الله، ١/٤١٢، (٥٦٧).

قديرٌ، كتَبَ الله له ألْف ألفِ حسَنَةٍ ومَحا عنه ألفَ ألفِ سَيِّئَة، ورفَعَ له ألفَ ألفِ دَرَجَةٍ»[1].

أيّها المسلمون: إنّ بعض الناس يَترُك الصّلاة والصّيام ويَحْلِق اللّحيةَ ويتعدَّى على الوالدَيْنِ ويَنْهَرهما ويَزْجُرهما ويَتَّبِع سنن أعداءِ الدِّينِ ويشاهِدُ الأفلام والْمَسْرَحيّات، ويَخْدَع المسلمين ويُلَبِّس عليهم في أمورِ الدّين والدّنيا ويُطَفِّفُ المكْيالَ والميزانَ ويَتَطَلَّع إلى عورات المسلمين وعيوبِهم وينْظُر إلى النّساءِ الأجْنَبيّاتِ والصُّوَرِ الجميلة بِباعث الشَّهْوَةِ ولا يَغارُ على امرأَتِه أو مَحرَمه ولا يُبالي باخْتلاطِها بالرّجال الأجانب ولا يُقيمُ بحسنِ التَّربيةِ لأَوْلادِه، ولا يجْتَنب الذُّنوبَ ولا يَكُفُّ نفسه عن الشّهوات فينبغي عليه أن يتفكَّرَ في الآخِرَةِ فكَيْفَ يَتَحَمَّلُ عذابَ النَّارِ ؟! كَيْفَ يَمُرُّ على الصِّراط ؟! فماذا يكونُ حالهُ عند الله تعالى لو سُلِبَ إيمانُهُ بِسَبَبِ المعاصي؟!.

عن يزيد بن شجرة رضي الله تعالى عنه، قال: إنّكم مكتوبون عند اللهِ تعالى بأسمائِكم وسِيماءِكم وحُلاكم

---

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا دخل السوق، ٥/٢٧١، (٣٤٣٩).

ونَجْواكم ومَجالِسكم، فإذا كان يومُ القيامة قيل: يا فلانُ! هذا نورُكَ، ويا فلان ! لا نورَ لك[1]. وإذا جاء المنافقون يوم القيامة كانوا في الظُّلُمات ولم يكُن لهم نُورٌ، حتّى إنّهم لا يُبْصرون مواضعَ أَقدامهم، فإذا نظَروا إلى نورِ المؤمنين تَحَسَّروا وطَلَبوا منهم لأَنْفُسِهم نُورًا، ولكن لا يعْطُون نورًا، كما قال الله تبارك وتعالى في كتابه العظيم مُخبِرًا عن حالهم: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣/٥٧].

أيّها المسلمون: اعلموا أنّ الخاتمةَ بالإيمانِ سببُ النَّجاة في الآخرة لقول النّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم: «إنّما الأعمالُ بالخواتيم»[2]. فَاطْلُبوا حُسنَ الخاتمة بالدعاءِ وبعَمَلِ جميعِ الأَسبابِ المؤَدّية إلى حسنِ الختامِ وتَخَوَّفوا من مَكْر الله

---

[1] ذكره الحاكم في "المستدرك"، ٦٢٧/٤، (٦١٤٢)، وابن المبارك في "كتاب الزهد والرقائق"، ما رواه نعيم بن حماد في نسخته زائداً... إلخ، صـ٩٥، (٣٣٠)، والسيوطي في "البدور السافرة في أمور الآخرة"، صـ٣٢٥، (٩٩٠).

[2] ذكره البخاري في "صحيحه"، ٢٧٤/٢، (٦١١٧)، والطبراني في "الكبير"، ١٤٣/٦، (٥٧٨٤)، والبغوي في "شرح السنة"، ١٤٥/١، (٧٩).

وسُوءِ العاقبةِ وسوء الخاتمة ولا تَأمَنوا مكْرَ اللهِ ؛ لأَنَّ مكرَ اللهِ أَمرٌ مخفِيٌّ لا يَعلَم أحَدٌ فماذا يَكونُ حالُه عند الله تعالى، ولا يَعلَم أنّه يرحَل من الدّنيا مع سلامة الإيمانِ أم يُسْلَبُ إيمانُه؟ فمَن أمِن مَكرَ اللهِ وسوءَ الخاتمةِ وضَيَّعَ ما أَوجَبَ الله عليه من طاعته وارتكب ما حرَّم اللهُ عليه من معصيَتِه فأَمرهُ في غاية الخطَرِ، ولِذا كان السَّلَفُ الصّالحُ يَعيشون في غايَةِ الخوْفِ من مَكْرِ الله مع صلاحِ أعمالهم وقِلَّةِ ذُنوبهم، فمَن أرادَ التَّوَسُّعَ فيَنْبَغي عليه أن يَسْمَعَ المحاضَرَة الْمُسَمّاةَ بـ"مَكْرِ اللهِ"؛ لأنّها تَزيْدُ الخوفَ من مكرِ اللهِ بِالْمُداوَمَةِ على الأعمالِ الصّالحاتِ ويَقرَأُ الكُتيبة المسمّاةَ بـ"أسباب سُوءِ الخاتمةِ" ويعلَم بِكلماتِ الكُفرِ ويُبالِغُ في التَحَرُّزِ عن إجراءِ كلمةِ الكفرِ على اللّسان.

قال الحسنُ البصريُّ رحمه الله تعالى: يَخرُجُ من النّارِ رَجُلٌ بعد أَلْفِ عامٍ، يا لَيْتَني كُنْتُ ذلك الرجل. وإنّما قال ذلك لِخوفِه من الْخُلود وسوءِ الخاتمة[1].

ورُوِيَ أنّ الحسنَ البصريَّ رحمه الله تعالى ما ضحِكَ أربعينَ سَنَةً، وقال الرّاوي: وكُنتُ إذا رأَيتُه قاعِدًا كأنّه أسيرٌ قد

[1] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب الخوف والرجاء، ٤/٢٣١.

قَدِمَ لِتُضْرَبَ عُنُقُه، وإذا تَكلَّم كأنّهُ يُعايِنُ الآخرة فَيُخْبِرُ عن مُشاهَدَتِها، فإذا سَكَتَ كأنّ النّارَ تُسَعَّرُ بين عَينَيهِ وعُوتِبَ في شدّة حُزنِه وخَوفِه فقال: ما يُؤَمِّنُني أن يكون الله تعالى قَد اطَّلَعَ عليَّ في بعضِ ما يَكرَهُ فمَقَتَني فقال: اِذهَبْ فلا غفَرتُ لك، فأنا أَعْمَل في غير مُعْتَمَلٍ[1].

أيّها المسلمون: نَحن أحقُّ بأن نخافَ من سوءِ الخاتمة، ولا نأمَن مكرَ اللهِ تعالى ولا نقْتَرِفُ الذنُوب ولا نَتَجاوَزُ حُدودَ اللهِ.

وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه عن النّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «يَجْمَعُ الله الأوَّلين والآخرينَ لميقاتِ يومٍ معلومٍ قيامًا أربعين سَنَةً شاخِصَةً أبصارُهم إلى السّماءِ يَنْتَظِرون فَصلَ القَضاء». وذكَر الحديثَ إلى أن ذكر وقت سُجودِ المؤمنين. قال: «ثُمّ يقول للمؤمنين: اِرْفَعوا رُءوسَكُم فيَرفَعون رُءوسَهم فيُعطِيهم نُورهم على قدر أعمالهم فمنهم مَن يُعطَى نُوره مثلَ الجبَل العظيمِ يَسْعَى بين يدَيه، ومِنهم مَن يُعطَى نُوره أصغرَ من

---

[1] ذكره الغزالي في "إحياء علوم الدين"، كتاب الخوف والرجاء، الفصل الرابع من قواعد العقائد، ٤/٢٣١.

ذلك، ومنهم مَن يُعطَى نُورًا مثلَ النّخلة بيَمينه، ومنهم مَن يُعطَى نُورًا أصغرَ من ذلك حتّى يكونَ رجُلاً يُعطى نُورهُ على إبهام قدَمه فيُضِيءُ مَرّةً ويَخْبُو مَرَّةً، فإذا أضاءَ قَدَّمَ قَدَمَه فَمَشَى وإذا أظْلَمَ قامَ». ثُمّ ذَكَرَ مُرورَهم على الصِّراط على قدر نُورِهم: «منهم مَن يَمُرُّ كَطَرْفِ العينِ ومنهم مَن يَمُرُّ كالْبَرقِ، ومنهم مَن يمُرّ كالسَّحابِ، ومنهم مَن يَمُرّ كَانْقِضاضِ الكوكبِ، ومنهم مَن يَمُرّ كَالرّيحِ، ومنهم مَن يَمُرّ كَشَدِّ الفرس، ومنهم مَن يمرّ كشَدِّ الرجلِ حتّى يمرّ الّذي أُعطِيَ نُوره على إبهام قَدَمَيه يَحْبو على وجههِ ويديه ورِجلَيه تَجُرُّ منه يَدٌ وتَعلَق أُخرَى، وتَعلَق رِجْلٌ وتَجُرُّ أخرَى، وتُصيب جَوانبه النّار». قال: «فلا يَزال كذلك حتّى يَخلُصَ، فإذا خلَص وقَف عليها ثُمّ قال: الحمدُ لله، لقد أعطاني اللهُ ما لم يُعْطِ أحدًا إذ نَجّاني منها بعدَ إذ رأيتُها، فيُنْطلقُ به إلى غَديرٍ عندَ باب الجنّةِ، فيَغتَسل»[1].

أيّها المسلمون: مَن خُتِم له بالإيمان فيَنْجو في الآخرة، ومَن سُلِب إيمانُه ولم يُوَفَّق لِتوبةٍ خالصةٍ قبلَ مماته فلا يَنْجو

---

[1] "إحياء علوم الدين"، ٢٨٦/٥. وانظر "الترغيب والترهيب"، ٢٧٦/٤، (١٧)، و"موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا"، ٣٢٢/٦، (٣١).

في الآخرة، فيجب على كلّ مسلمٍ أن يَخاف من مكرِ الله وسُوءِ العاقبةِ وسُوءِ الخاتمة ؛ لأنّه لا يَدري فماذا يكون حالُه عند الله تعالى ولا يدخُل الجنّة ما لم يمُرّ على الصِّراطِ وإنّ الصِّراط وهو جِسْرٌ منصُوبٌ على ظهرِ جهنّمَ.

وقال الإمام محمّد الغزالِيُّ رحمه الله تعالى: مَن استقامَ في هذا العالَم على الصِّراطِ المستقيمِ خَفَّ على صراطِ الآخرة ونَجا ومَن عدَل عن الاستِقامة في الدّنيا وأثْقَل ظَهرَه بالأَوْزارِ وعصَى تَعَثَّر في أوّلِ قدَمٍ من الصِّراطِ وتَرَدَّى، فتفكَّرْ الآنَ فيما يحِلُّ من الفزَعِ بفُؤادِك إذا رأيتَ الصِّراط ودِقَّته، ثُمّ وَقَعَ بصَرُك على سَواد جهنّمَ من تحتِه، ثُمّ قَرَع سَمعُك شَهيق النّارِ وتَغَيّظَها، وقد كُلِّفْتَ أن تَمشِي على الصِّراط مع ضُعفِ حالك وَاضْطرابِ قلبك، وتَزَلْزَلَ قدمُك وثقُل ظهرُك بالأَوْزار المانعةِ لك عن المشيِ على بِساطِ الأرضِ فَضلاً عن حدّةِ الصِّراط، فكيف بك إذا وضَعْتَ عليه إحدَى رِجْليك فأَحْسستَ بحدَّته واضطَرَرتَ أن تَرفَع القدم الثّانية، والخلائقُ بينَ يديك يزِلّون ويَتعثَّرون، وتَتنازلُهم زَبانِيَةُ النّارِ بالْخَطاطيفِ والكَلاليبِ، وأنت تَنظُر إليهم كيف يَتنكَّسون فتَتسفَّل إلى جِهَة النّار رُؤوسهم

وتَعْلو أَرْجلُهم، فَيا له من مَنظرٍ ما أَفْظعَهُ ومُرتَقًى ما أَصْعبَهُ ومَجازٍ ما أضْيقَه! فَانظُر إلى حالك وأنت تَزحَف عليه وتَصعَد إليه وأنت مُثْقِل الظّهرِ بأوزارِك تَلتفِت يَمينًا وشِمالاً إلى الخلقِ وهم يَتهافتون في النّار، والرسولُ عليه السّلام يقول: «يا ربِّ سَلِّمْ سلِّم». والزَّعَقات بالوَيل وَالثُّبورِ قد ارتَفعتْ إليك من قَعرِ جهنّم لكثرةِ مَن زَلَّ عن الصّراط من الخلائقِ فكيف بك لو زَلَّتْ قدمُك ولم يَنفَعك ندمُك فنادَيتَ بالويلِ وَالثُّبور، وقُلتَ: هذا ما كُنتُ أخافُه فيا لَيْتني قَدَّمتُ لحياتي! يا ليتني اتَّخذتُ مع الرسولِ سبيلاً! يا وَيلَتا لَيتني لم أتّخذْ فلانًا خليلاً! يا لَيتني كنتُ تُرابًا! يا لَيتني كنت نَسيًا مَنسيًّا! يا ليتَ أمِّي لم تلِدني، فطَوِّلْ فيه فكرَك، فإنّ أَسلمَ النّاسِ من أهوالِ يوم القيامة مَن طال فيها فكرُه في الدّنيا، فإنّ الله لا يَجمَع بين خوفَين على عبدٍ، فمَن خاف هذه الأهوالَ في الدّنيا أمِنَها في الآخرة، ولَستُ أَعني بالْخَوف رِقَّة كرقَّةِ النِّساءِ تَدْمَع عَيْنُك ويرِقُّ قلبك عند السِّماعِ، ثُمّ تَنْساه على القربِ وتَعودُ إلى لَهْوك ولَعِبك، فماذا من الخوف في شيءٍ؟ بل مَن خاف شيئًا هرَب منه ومَن رَجا شيئًا طلَبه، فلا يُنَجِّيك إلاّ خوفٌ يَمْنَعك عن معاصِي الله تعالى،

ويَحُثّك على طاعته، وأبعَدُ من رِقَّة النّساء خوفُ الْحَمْقى إذا سمعوا الأهوالَ سبَق إلى ألسنَتهم الاستعاذَة فيقولُ أحدهم: استعَنتُ بالله، نعُوذ بالله، اللّهمّ سَلِّم، سلِّم، وهم مع ذلك مُصرّون على المعاصي الّتي هي سببُ هلاكهم، فَالشّيطان يَضحَك من استعاذتهم كما يَضحَك على مَن يَقصُده سَبُعٌ ضارٌّ في الصَّحراء ووَراءهُ حِصنٌ، فإذا رأَى أنياب السَّبعِ وصَولَتَه من بُعدٍ قال بلسانه: أعوذ بهذا الحِصْن الْحَصين وأَستعينُ بشدّةِ بُنيانه وإحكام أَركانه فيقول ذلك بلسانه وهو قاعدٌ في مكانه فأنَّى يُغْني ذلك عنه من السّبُعِ ؟ وكذلك أهوالُ الآخرةِ لَيس لها حِصْنٌ إلاّ قول: لا إله إلاّ الله صادقًا، ومعنى صِدقه أن لا يكونَ له مقصودٌ سِوَى الله تعالى ولا مَعبودٌ غيرَه، ومَنِ اتّخذ إلهَهُ هواه فهو بعيدٌ من الصّدق في تَوحيده، وأمرُه في الخطَر، فإن عجَزتَ عن ذلك فَكُن مُحبًّا لرسولِ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم حَريصًا على تعظيم سُننه ومُتشوِّقًا إلى مُراعاةِ قلوبِ الصّالحينَ من أمّته ومُتبرِّكًا بأَدْعِيتهم فعساك أن تَنالَ من شفاعته أو شفاعتهم فتَنْجو بالشّفاعةِ إن كُنت قليلَ البِضاعةِ[1].

---

[1] "إحياء علوم الدين"، كتاب ذكر الموت وما بعده، ٥/٢٨٥-٢٨٧.

أيّها المسلم: فيَجب عليك أَن تَتوب إلى الله تعالى من الذُّنوب مُستَغفرًا، عازمًا على أن لا تَعود إلى المعْصيَة، فلا تُحَدِّثْ نفسك بتَهويسات البَطّالين ولا تَترُك التزَوُّد للآخرة ولا تَفتُر وعاهِد من اليوم إصلاحَ نَفسك والتَزِمْ بالامتثال لأوامر الله والاجْتِنابِ عن السّيِّئات، واحذَرْ أن يُثبِّط الشيطانُ عن عملِ الصّالحات ويَصُدَّ عن الارتباط بالبيئَة المتدَيِّنة قائلاً: إنّ مُدّة الحياة طويلةٌ، فإنّ هذه مَكيدةٌ يُروِّجها على الإنسان للإغواءِ دائمًا ؛ لأنّه يُريد أَن يأخُذ معه بني آدمَ كلَّهم إلى جهنّمَ وبِئسَ المصيرِ فاحذَر من مكائده ؛ لأنّ العُمُر قصيرٌ، والباقي منه هو اليسيرُ، وكُلّ جُزءٍ منه جوهرَةٌ نَفيسةٌ لا عَدْلَ لها ولا خَلْفَ منها، وإن اقترَفْتَ الذنوبَ فيَجب عليك الإقلاعُ عنها في الحال والنّدمُ على ما فعَلتَ، والعزمُ أن لا تعود إلى مثلها أبدًا فهذه الثّلاثة هي أركانُ التّوبةِ لا تَصِحّ إلاّ بها. ولكنّ التّوبة لا تَصِحّ من الفرائضِ الّتي يَجب قضاؤُها حتّى تَقضيَها، ولا تَصحّ التّوبة من المظالم حتّى تَستحِلَّ أصحابهم أو تُؤدِّيَ حقوقَهم، فإن لم تَقدِر على طلبهم ولا على طلبِ وَرَثَتِهم فلا يبقَى لك طريقٌ إلاّ أن تُكثِرَ من الحسناتِ والصدَقاتِ. ويَنبغي أن تَتَأهّبَ

للموت، لأنّك لا تَدري متى يَفْجَؤُك الموتُ ؛ لأنّه ما من سِنٍّ يُفْرَض إلاّ وقد مات فيه جمعٌ جَمٌّ وكلّ واحدٍ بعينه جائزٌ أن يَموت في الحال وقد يُصيبه من الحوادثِ والمصائب صغائرِها وكبائرِها ويَهْجُمُ عليه الموتُ.

أيّها المسلمون: انْظُروا إلى أحوال النّاسِ إذا نَزَلَتْ بهم الزَّلازلُ وَقَعوا في المهالك فَجْأَةً وانْهَدَم بها حُصونٌ كثيرةٌ وقد نَزَلَتِ الزَّلزَلة في أرض الباكستان فخَرَّبَتْ كثيرًا من البلاد والقِلاعِ والأَسْوار وأَذهبَتْ حسنَها وهلَك من العالَم ما لا يُحْصَى وأَشرَفوا على الأَخْطارِ وتَعطَّلتِ المصالح حتّى إنّهم شَكَوْا من هذه الابتلاءاتِ والمصائبِ المتتابعةِ عليهم لحدوثِ الزّلزَلةِ، واعلموا أنّ هذه الحادثةَ من الحوادثِ العظيمةِ الَّتي تَفُوق هولَ القيامة الصُّغْرى وفي موتِ هؤُلاءِ عِبرةٌ وموعظةٌ لِنَستَعدَّ للموتِ ونَتوبَ إلى الله تعالى من الذُّنوب ، قد حصَلتْ هذه الْمَشاهدُ العظيمةُ من قبل ذلك كما قال الله تعالى مخبرًا لها: ﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ۝٢٦ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝٢٧ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ۝٢٨ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٤٤/٢٥-٢٩].

أيّها المسلمون: كَم مِن الأغنياءِ باغَتْهم الآجالُ فـذهَبوا إلى ربِّهم بـلا زادٍ ولا متـاعٍ ولا زُروعٍ ولا مَقـامٍ كـريم ووَرِث أموالهم قومٌ آخَرون ولـم يؤَخِّرْهم الله إذا جاء أجلهم وما بكَـتْ عليهم السَّمَاء والأرضُ وقد عَمِيَتْ أخبارُهم ودَثَرَتْ آثارُهم.

أيّها المسلمون: بادِروا دائمًا بالأعْمـالِ الـصّالحاتِ مـن قبلِ ألاّ تجِدوا إليها سبيلاً وتُوبُوا إلى الله تعالى توبةً نَصوحًا مـن قبلِ أن يَفْجأَكم الأجلُ وسافِروا في سـبيل الله مـع قوافـلِ الـدُّعاةِ إلى الله؛ إذ به يَتولَّد الفِكرُ في التّأَهُّب للموتِ وقد يَتسبَّبُ الـسّفرُ في سبيل الله إلى النَّجاةِ كما حدَّثني أَحدُ الإخوةِ الدُّعاةِ من قصَّة شَابٍّ عَـصْرِيٍّ أنّـه حـضَر دَرْسَ العلـم في المـسجد فلمَّـا رَغَّبـهُ المحاضِر في السّفرِ في سبيل الله قدَّم نَفسَه لِلـسفر ولكنَّـه مـات قبلَ السفرِ ببِضعةِ أيّامٍ فرَآه رجلٌ في المنام وهيئته حَـسَنة فـسأله عن حاله قال: غفَر الله لي ورحِمني بنِيّة السفر في سبيل الله تعالى.

أيّها المسلمون: إنّ الثَّـواب والعِقـاب تَحـت مَـشيئة الله تعالى فإن شاء عاقَب بذَنْبٍ واحد وإن شاء تَفضَّلَ فعَفـا بحَـسنة واحدة، أو إن شاء غفَر بغير حساب بجاه النّبيِّ المصطَفَى صلّى الله عليه وسلّم، قـد قـال الله تبـارك وتعـالى في كتابـه الكـريم:

﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣/٣٩].

فنَسأَل اللهَ أن يجعَلنا من الفالحين الناجحين في الدنيا والفائزين الناجين في الآخرة إنّه سميع مُجِيب، وصلَّى الله وسلَّمَ على نبينا محمَّد وآله وصحبه أجمعين.

عِلَاجُ الذُّنُوبِ

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الدَّاعِيَةِ الْكَبِيرِ أَبِي بِلَالٍ مُحَمَّدٍ إِلْيَاسَ الْعَطَّارِ
الْقَادِرِيِّ الرَّضَوِيِّ حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

تعريب
مجلس التراجم

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيِّدنا محمّد خاتَم الأنبياء وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين والتّابعين لهم بإحسان إلى يوم الدّين، **أمّا بعدُ:**

فقد رُوِي عن سيّدنا أبي طلحةَ الأنصاريِّ قال: أصبحَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومًا طَيِّبَ النَّفسِ يُرَى في وَجهِه البِشْرُ، قالوا: يا رسولَ الله أصبَحتَ اليومَ طيِّبَ النفسِ يُرَى في وجهِك البِشرُ قال: «أجَل ! أتاني آتٍ من ربِّي عزّ وجلّ فقال: مَن صلّى عليك من أمَّتك صلاةً كتَب الله له عشْرَ حَسَنات، ومَحا عنه عشر سيِّئاتٍ، ورفَع له عشرَ دَرَجاتٍ، ورَدَّ عليه مثلَها»[1].

صلّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمد

رُوِيَ أنّ رجلاً جاء إلى إبراهيمَ بن أدهمَ فقال له: يا أبا إسحاقَ إنّي مسْرِفٌ على نَفْسي فاعرِضْ عليَّ ما يكون لَها

[1] أخرجه الإمام أحمد في "مسنده"، مسند المدنيين، حديث أبي طلحة زيد بن سهل الأنصاري، ٥/٥٠٩، (١٦٣٥٢).

زاجرًا ومُستَنقذًا لقلبي قال: إن قبِلْتَ خمسَ خِصال وقدَرْتَ عليها لم تضُرُّك معصيةٌ ولم تُوبِقك لذّةٌ، قال: هات يا أبا إسحاقَ، قال: أمّا الأولى: فإذا أرَدْتَ أن تعصِيَ الله عزّ وجلّ فلا تأكُل رزقَه، قال: فمِن أين آكُل وكلُّ ما في الأرض من رِزقه؟ قال له: يا هذا أفيَحسُن أن تأكُل رزقه وتعصيَه؟ قال: لا، هاتِ الثّانيةَ، قال: وإذا أرَدتَ أن تعصيَه فلا تَسكُن شيئًا من بلاده، قال الرجُل: هذه أعظمُ من الأُولى، يا هذا إذا كان المشرقُ والمغربُ وما بينهما له، فأين أسكُن؟ قال: يا هذا أفيَحسُن أن تأْكل رزقه وتَسكُن بلادَه وتعصيه؟ قال: لا، هاتِ الثَّالثة قال: إذا أرَدتَ أن تعصيه وأنت تحت رِزقه وفي بلاده فانظُر موضعًا لا يَراك فيه مُبارِزًا له فَاعْصِه فيه قال: يا إبراهيم كيف هذا وهو مُطّلِعٌ على ما في السَّرائِر؟ قال: يا هذا أفيحسُن أن تأكُل رزقَه وتَسكُن بلادَه وتعصِيَه وهو يَراك ويَرى ما تُجاهِره به؟ قال: لا، هات الرّابعة، قال: إذا جاءك مَلَكُ الموت لِيَقبِض رُوحَك فقل له: أَخِّرني حتّى أتوبَ توبةً نَصوحًا وأعمَلَ لله عملاً صالِحًا، قال: لا يَقبَل منِّي، قال: يا هذا فأنت إذا لم تقدِر أن تدفَع عنك الموتَ لِتَتوبَ وتَعلَم أنّه إذا جاء لم يكُن له

تأخيرٌ فكيف ترْجو وَجهَ الخلاصِ؟ قال: هات الخامسةَ، قال: إذا جاءتك الزَّبانيةُ يومَ القيامة لِيأخُذوك إلى النّار فلا تَذهَبْ معهم، قال: لا يدعُونني ولا يَقبَلون منّي، قال: فكيف ترجو النّجاة إذا؟ قال له: يا إبراهيمُ حَسْبي حسْبي أنا أستغفِر الله وأتوبُ إليه ولزِمه في العبادة حتّى فرَّق الموتُ بينهما[1].

أيّها المسلمون: أرَأيتُم أنّ إبراهيمَ بنَ أدهمَ رحمه الله قال لشابٍّ مُسرِفٍ على نفسه في العلاج الأوّلِ من الذُّنوب: إذا أَرَدتَ أن تَعصِي الله فلا تأكُل رزقه قال: كيف هذا وهو رَزَّاقٌ؟ قال له: يا هذا أفيَحسُن أن تأكُل رزقَه وتعصيَه؟ ويُمكِن أن نَفْهَم ذلك في هذا المثال الدُّنيَويِّ: إن قَصَّر الأجيرُ في دوام وَظيفَته فيَغضَب عليه المستأجِر ويسُبُّه ويضربه ويَستخدِمُه زِيادَةً من وظِيفَته حتّى إنّه قد يَستعمِله في يومِ عُطْلَته وحالُنا هَذا نحنُ نُسوِّف ونُقصِّر في امتِثال أوامرِ الله وَاجتنابِ ما نهى عنه ونَتغافَل ولا نَحتَرزُ من عُقوقه ثُمّ بعد ذلك نأكُل رزقه ولا نَستحيِي من نَقض العهدِ وقِلَّةِ الوفاءِ بالعقد.

---

[1] ذكره عبد الله بن أحمد (ت ٦٢٠هـ) في "كتاب التوابين"، توبة شاب مسرف على نفسه على يد إبراهيم بن أدهم، صـ٢٨٥.

قال إبراهيم بنُ أدهم في العلاج الثّاني من الذُّنوب: إذا أَرَدتَ أن تعصيَه فلا تسكُنْ شيئًا من بلاد الله، والظّاهر أنّه لَيْس يَقدِر عليه ؛ لأنّ لله ملَكوتَ السّمَواتِ والأرض، ويُمكنُ أن نَفهَمه هكذا: إن نزَل أَحدٌ ضَيفًا على صاحبِ المنزِلِ فلا يُلحِقه الضّرَرَ بالمرُوءةِ، حتّى إنّه ليَنْدم عند الضَّررِ ونحن نأكُل رزق الله ونسكُن بلاده، ثُمّ بعد ذلك نعصِيه وهذا كلُّه من فَساد المرُوءةِ وقلَّة الغيرة.

قال إبراهيم بن أدهمَ رحمه الله في العلاجِ الثّالثِ من الذُّنوب: ارتَكِب الذُّنوب حيثُ لا يَراك ربُّك، والظّاهر أنّه سبحانَه وتعالى لا يَحْجُبه شيءٌ، وهو يعلَم السّرَّ وأَخْفَى ويَرى العباد دائمًا، لا تَخفَى عليه خافيةٌ في الأرض ولا في السّماءِ، فيَجبُ على كلِّ مسلمٍ أن يَستحضِر عند اقْترافِ الذُّنوبِ أنّ الحقَّ مُطَّلِعٌ عليه ويَرَى ما يَعمَل.

قد حُكِيَ تَعَلَّق رجلٌ بامرَأَةٍ في "بغداد" فتَعرَّض لها، فأَبَتْ أن تُمَكِّنَه من نفسِها، وكلّ من جاء ليُخَلِّصها منه طَعَنه بسِكِّينٍ معه، وكان رجلاً شديدًا، فبينما النّاسُ حَولَه، والمرأَةُ تَصِيح في يدِه إذ مَرَّ بِشرُ بنُ الحارثِ رضي الله تعالى عنه، فدَنا

منه وحَكَّ كتفه بكَتِفه، فوَقَع الرجلُ إلى الأرض وهَرَبَت المرأَةُ ومضَى بِشرٌ، فدَنا النّاسُ من الرجلِ فإذا هو يُرَشِّح عَرَقًا كثيرًا فسأَلوه عن حاله فقال: ما أَدرِي، ولكن حَكَّ كَتِفي شيخٌ وقال: إنّ الله ناظرٌ إليك وإلى ما تَعمَل، فصَعِقتُ لقوله وهِبْتُه هَيْبَةً شديدةً، ولا أَدرِي مَن ذلك الرجلُ ؟ فقيل له: ذاك بِشرُ بنُ الحارثِ، فقال: واسَوْأتاه كيف يَنظُر إليَّ بعد اليومِ، وحُمَّ الرجلُ من يومه، ومات يوم السّابعِ[1].

أيّها المسلمون: إن تَنَبَّهَ هذا الْوَعْيُ أنّ الله تعالى يَراني عند اقْتِرافِ الذُّنوبِ، أو تَولَّد هذا الفِكرُ أنّ الله يَراني وأنا أَكذِب وأَسُبّ وأَشتِم، وأَتكلَّم بكلمة فاحشة، أو حَدَث هذا الشُّعورُ أنّ الله يراني وأنا أنظُر إلى الحرامِ، أو عَرَضَ هذا الاستشْعارُ أنّ الله يراني وأنا مَشغولٌ بمُشاهدةِ الأفلامِ والْمَسرَحِيّاتِ، أو حصَل هذا الإحساسُ أنّ الله يراني قاعدًا مع النساء الأجنَبيّاتِ والْمُرْد بباعث الشّهوةِ، ثُمّ بعد ذلك أَصنَع الفاحشةَ، فإن سَأَلَني ربّي عزّ وجلّ عن هذه الجرائمِ والْمُوبِقاتِ

---

[1] ذكره عبد الله اليافعي اليمني (ت ٧٦٨هـ) في "روض الرياحين"، الحكاية الخامسة والثمانون بعد الثلاث مئة، صـ٣٠٦.

فماذا يكون حالي؟ وكيف أَتحرَّز من غَضَبِه وعُقوبتِه؟ وكيف آمَن نَكال عذابِه وسَطْوَته؟.

قال إبراهيم بن أدهمَ رضي الله تعالى عنه في العلاجِ الرّابعِ من الذُّنوب: إذا جاءك ملَكُ الموتِ ليقبِضَ رُوحَك فقل له: أَخِّرني حتّى أعتَذِرَ إلى رَبّي وأَتوبَ وأتزَوَّدَ صالِحًا لنفسي، والظّاهر أنّك لا تَقدِرُ أن تَدفَع عنك الموتَ لتَتوب وتَعلَم أنّه إذا جاء لم يَكُن له تأخيرٌ فكيف تَرتكِبُ الموبِقاتِ؟ وكيف تَرجو وَجه الخلاصِ؟ فإيّاك أن تُنفِق أوقات العُمُر في الذُّنوب ولا تَتَّبِعْ خُطُواتِ الشيطانِ وإلاّ يَخدَعك ويُضِلُّك، كما قال الله تبارك وتعالى في خِداعِ الشيطانِ لكلِّ إنسانٍ وتَخَلِّيه عنه: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ إِذۡ قَالَ لِلۡإِنسَٰنِ ٱكۡفُرۡ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الحشر: ١٦/٥٩].

أيّها المسلمون: إنّ الشيطانَ اللَّعين كَذّابٌ، مَكّارٌ، خَدِعٌ، خَبيثٌ، فإنّه يأمُرُ النّاس بالكُفرِ ثُمّ يقول: إنّي بريءٌ منهم؛ لأنّه يُريد أن يَضطَرَّهم إلى سُلوكه ويَكُفَّهم عن التّوبة إلى الله تعالى، فاجْتهِدوا وشَمِّروا وبادِروا إلى التّوبة من الذُّنوب من قبلِ ألاّ تَجِدوا إليها سبيلاً، وَاسْمعوا إلى مَعنى التّوبةِ؛ لأنّ بعضَ

النّاس يَتوبون مُبْتَسِمين بل قد يَضحَكون، وليس معنى التّوبة أن يقول الإنسان بلسانه: اَلتّوبة، اَلتّوبة فقط، ويَضرِبَ يدَيه على وَجهِه، فإنّ ذلك توبةٌ بطَريقةٍ رَسْمِيَّةٍ، بل لا بُدَّ من النّدامة على الذُّنوب، كما قال النَّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: «النّدَم توبةٌ»[1].

أيّها المسلمون: مَن اقْترَفَ الذُّنوب والمعاصي فيجِب عليه الإقلاع والنّدَم في الحال والعزم على أن لا يعودَ إلى مثلِها أبَدًا في المستقبل، ومع هذا يَجبُ عليه أن يَذكُر ما عمِل سوءً مَثلاً يقول: ربِّ إنّي نظَرتُ إلى الحرام فأَتوب منه وأَعزِم على أن لا أعودَ إليه في المستقبل. وقال الشّيخ محمّد نعيمُ الدّينِ الْمُرادآبادِيُّ رحمه الله تعالى: إنّ التّوبة في اللُّغة: اَلرُّجوعُ إلى الله تعالى. وأركانها ثلاثةٌ لا بُدَّ منها حتّى تَصِحَّ التّوبة: [١] النّدَم على ما عمِل من المخالفات. [٢] وتَركُ الزِّلّة في الحالِ. [٣] والعَزْمُ على أن لا يَعودَ إلى مثلِ ما عمِلَ من المعاصي، فإذا اجتَمَعَتْ هذه الشَّرائِطُ تَصِحُّ التّوبةُ إلاّ في الفرائضِ الّتي يجِبُ قضاؤُها، فتَحْتاجُ التّوبة فيها إلى القضاءِ[2].

---

[1] أخرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، ٤/٤٩٢، (٤٢٥٢).

[2] "خزائن العرفان"، صـ١٠٩٥، وانظره في "الرسالة القشيرية" للقشيري، صـ١٢٧.

أيّها المسلمون: مَن ترَك الصّلاة فيجب عليه أن يَقضيها ومع هذا يَتوبُ إلى الله تعالى من تأخيرِ الصّلاةِ عن وَقتِها ويَندَم على ما فَرَّط وقَصَّر، ونحن نرَى بعض المصَلِّين يَترُك صلاة الصُّبحِ ولا يَتأَسَّفُ على ما فاته منها، وإذا نَصَحَه أحدُ الإخوةِ الدُّعاةِ إلى الله تعالى، قال: يَشُقُّ عليَّ الاستيقاظُ من النّومِ عند الصُّبحِ ومع ذلك إذا أرادَ الْخُروجَ إلى النُّزْهَةِ أو التِّجارةِ عند الصُّبحِ استيقَظَ من النّوم واستَعَدَّ قبلَ مَوعِده، ولكنّه مع الأَسَفِ الشّديدِ لا يَجْتَهِد في العبادةِ ولا يَستَعِدُّ للاستيقاظِ من النّومِ عند صلاةِ الصُّبحِ ويَكسَلُ عن طاعةِ الله تعالى، فَغَرَّتْه النّفسُ من ربّه الكريم. وقال بعض السَّلَفِ رحمهم الله تعالى: رأَيتُ الشيطان فقال لي : قد كُنتُ أَلقَى النّاسَ فأُعَلِّمهم، فصِرْتُ أَلقاهم فأتعَلَّم منهم[1]. وقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «مَن تَرَكَ صَلاةً مُتعَمِّدًا كُتِب اسمُه على باب النّار فيمَن يدخُلها»[2].

أيّها المسلمون: اعلموا أنّ تارِكَ الصّلاةِ يَلْزَمه قضاءُ الفوائتِ، ومع هذا يجِبُ عليه التّوبةُ من تأخيرِ الصّلاةِ عن

---

[1] ذكره ابن الجوزي في "تلبيس إبليس"، الباب الرابع، صـ٥١.

[2] رواه أبو نعيم في "حلية الأولياء"، مسعر بن كدام، ٢٩٩/٧، (١٠٥٩٠).

وقتِها، ويُمكِنُ أن نَفهَم ذلك بهذا المثال: لو استَقرَضَ أحدُكم من الآخَر ألفَ درهمٍ على أن يُوَفِّيه إلى الغد، فإن أخَّره عنِ الدّائنِ بعد طَلَبه فلا يُمكنه خلاص نفسه منه، إلاّ أن يَستحِلّه أو يُؤَدِّي حقّه ويَطلُبه العفوَ من تأخيرِ حقّه عنه.

أيّها الأحبّة مَن استَقْرَضَ من الآخَر، ولم يَقدِرْ على أَداءِ دينه بعد طَلَبه فإن كان عنده متاعٌ فيَجب عليه أن يَبيعَه ويُؤَدِّيَ حقَّه، وإن لم يُؤَدِّ دينه ولم يَطلُب منه التّأخيرَ فيكون آثمًا ما لم يَستَحِلَّه أو يُؤَدِّ حقَّه. وقال الإمام محمّد الغزاليُّ رحمه الله تعالى: لَو أَخَّر القادر على أَداءِ دينه عن الدّائنِ بغيرِ إذنه كان آثمًا، وصارَ ظالمًا، وكُتبَت له سَيِّئَةٌ، وكانت عليه لَعنةُ الله تعالى حتّى يُوَفِّيَ دينه، ولَو كانت عنده بضاعةٌ يُمكِنُه الوفاءُ من ثَمَنِها فيجب عليه أن يبيعَها في الدّينِ الّذي عليه ويُؤَدِّيه وإلاّ يَأثَم، وإن رَدَّ إلى صاحبِ الدّينِ شيئًا لا يُحبُّه فكان آثمًا ولا يَحصُل الخلاصُ من ذلك الذّنبِ ما لم يُرضِه ؛ فإنّ ارتكابَهُ ذلك ممَّا يَزيدُ في الآثامِ والذُّنوبِ، فهو كبيرةٌ من أعظمِ الكبائرِ، ويَغفُل عنه كثيرٌ من النّاس[1].

[1] ذكره الغزالي في "كيمياء السعادة"، ١/٣٣٦.

واعلموا أنّ هذه المسأَلَةَ الـشَّرعيَّة مـن أهَـمِّ أمـورِ الـدِّينِ وآكَدِها ويَغْفُـل عنـها كـثيرٌ مـن النّـاس ويُمـاطلون بالـدَّينِ بعـد استحقاق ولا يُوَفّونه مع أنّهم قـادرون مُتَمَكِّنـون مـن أدائـه ولا سَـيِّما الظَّلَمَـة والتُّجّـارُ فـإنّهم يُمـاطِلون بِالـدَّينِ كَـثيرًا وقـد لا يَرُدّونه إلى الدّائن ويُهَدِّدونـه، ونقـل سَـيّدُنا الإمـام أحمـد رَضـا خان رحمه الله تعالى عن "الـدر المختـار"[1]: أنّـه يُؤخَـذُ لِـدائَقٍ ثَوابُ سَبعِ مِئَة صلاة بالجماعة أي: أنّ الْمُستقرِضَ الّذي كانت عنده مَظْلِمَةٌ ولم يُحَلِّلها صاحبُ الحقِّ فتُؤخَذُ حـسناتُه وتُوضـعُ في مَوازينِ أرباب المظالمِ فإنّـه إن لم تَـفِ بهـا حـسَنَاته حُمِـلَ عليه من سَيِّئاتِ أربابِ المظالمِ فيَهلِـكُ بِـسَيِّئاتِ غـيرِه واعلمـوا أنّ الله تعـالى عـادلٌ لا يأخُـذ إلاّ بالـذّنبِ ولا يَغفِـر مـن مظـالمِ العبادِ شيئًا ما لم يُحَلِّله صاحبُ الحقِّ فيجِـبُ علـى الْمُـستقرِضِ أن يَرحمَ نفسهُ ويقضِيَ دينه ولا يَظُنُّ الموت بعيدًا[2].

أيّها المسلمون: إذا كان هذا وَبالُ الدّائَقِ الّـذي لم يُـرَدَّ إلى صاحبِه فكيف يكون حالُ مَن يَغصِبُ الـدّراهمَ والـدَّنانيرَ ؟!

---

[1] "الدر المختار"، كتاب الصلاة، ١٥٣/٢.

[2] "الفتاوى الرضوية"، ٦٩/٢٥.

فإنّه يُؤْخَذُ منه ثَواب صلاةٍ مَقبولةٍ بالجماعةِ ولا يَدْري أنّ صَلاتَه مقبولةٌ أم لا ؟.

يا إخواني المسلمين إذا كان لإنسان على الآخَر دَينٌ وهو مُعسِرٌ فإن أخَّره بعد أجلِه كان له بكلِّ يومٍ أجرُ صدقةٍ فيَنبَغي أن يَحرِص على امتثاله وحُكِي أنّ رجلاً جاء إلى الإمام أحمد رضا خان رحمه الله تعالى فقال له: يا سيّدي كان لي على الآخَر دَينٌ وهو لا يُؤَدّيه قال: إنّ القرضَ يَعسُر أَخذُه وكان لي على بعض النّاس دَينٌ ولَمَّا أَقرَضتُه قلتُ في نفسي: إن أَدّاه فحسَنٌ وإلاّ لا أَطلُبه منه ؛ لأنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «مَن كان له على رَجلٍ حَقٌّ فمَن أَخَّرَهُ كان له بكُلِّ يومٍ صدقةٌ»[1]. فلم أكُنْ مُحِبًّا أن يَقضِي غَرِيمي الدّينَ لأجلِ هذا الخبرِ حتّى أكون كالمتصَدِّقِ بجميعِه في كلِّ يومٍ[2].

أيّها المسلمون: إنّ سيّدنا إبراهيم بنَ أدهمَ رحمه الله تعالى قال لشابٍّ مُسرِفٍ على نفسه في علاج الذُّنوب: إذا جاءك ملَكُ الموت لِيَقبِض رُوحك فقل له: أخِّرْني إلى أجلٍ

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في "المسند"، ٢٢٤/٧، (١٩٩٩٧).

[2] "الملفوظ الشريف"، الجزء الأول، صـ١١٠.

قريبٍ أَعتذِرُ فيه إلى ربّي، وأتُوبُ توبةً نصوحًا، قال: لا يَقبَل منِّي، قال: يا هذا! فأنتَ إذا تَعلَم أنّه إذا جاءك لم يُؤَخِّرك فكيف تُؤخِّرُ التوبة ؟ وكيف تَترُك المبادرةَ إلى الرجُوعِ إلى الله تعالى بالتَّسويفِ؟.

أيّها المسلمون: تُوبُوا إلى الله تعالى تَوبةً نصوحًا من قبلِ أن يأتِيَ أحدكم الموتُ، فيَندَمُ على الذّنوب حيث لا يَنفَع النَّدم ويَتمَنَّى التّوبة من المعاصي حين لا تَنفَع الأماني، وقال الله تبارك وتعالى في كتابه العظيم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [المنافقون: ٦٣/٩-١٠].

أيّها المسلمون: إنّ الإنسانَ قد يكونُ ساهيًا سادرًا في حياته ولكنَّه سَيَنتَبِه ويَستيقظ عند مماته عند مُفارقته دنياه وأهلَه ومالَه وسيَتمَنَّى حينَ لا يَنفَعه التّمَنِّي وسَيقولُ: يا ربِّ لولا أَخَّرتَني إلى أجلٍ قريبٍ فأَصَّدَّقَ وأَكُن من الصّالحين فإنّك إن أَخَّرتَني أَتَصَدَّق بزكاةِ مالي وأَعمَل بطاعتك وأُؤَدِّي فَرائِضَك وأَجتنِب

مَحارِمك وأُعفي اللّحية وألبَس العمامة وأسافِر في سبيلك مع الإخوةِ الدّعاةِ ويقول: ما علِمتُ أنّ الموت يأتي بَغتةً أو أَموت بسببِ الحادثةِ العظيمةِ أو أموتُ قبل الشّباب، وإن علِمتُ ذلك لَزَوَّدتُ صالِحًا لنفسي ولكن عند ذلك لا يَنفَعه الأسَفُ والنّدمُ والحسرةُ وانْسِكابُ الدَّمعِ وإنّما يَنفعُه طاعةُ الله تعالى. أيّها الأحبّة تُوبُوا إلى الله تعالى من قبلِ أن يقولَ أحدُكم: إنّي كنتُ مُستمرًّا في الغفلةِ واقتراف المنكرات وإذا كان أحدُ الإخوة الدّعاة يَدعوني إلى إعفاءِ اللّحيةِ قلتُ: أُعفي اللّحيةَ في مكّةَ المكَرَّمَة إن وَفَّقني الله للحجِّ ولكن ما علِمتُ أنّي أَموتُ قبل الحجِّ. وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: لَمَّا فرَغ إبراهيم عليه السّلام من بِناءِ البيتِ، قال: ربِّ! قد فرغتُ، فقال: ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج: ٢٧/٢٢]. قال: ربِّ! وما يُبَلِّغ صوتي؟ قال: أَذِّن وعليَّ البَلاغُ، قال: رَبِّ! كيف أقولُ ؟ قال: قل: يا أيّها النّاس كُتِب عليكم الحجُّ حجُّ البيتِ العتيقِ، فسَمِعَه مَن بَين السّماء والأرض، ألا تَرَى أنّهم يَجيئون من أقصى الأرض يُلبّون[1].

---

[1] أخرجه الحاكم في "المستدرك على الصحيحين"، كتاب التفسير، تفسير سورة الحج، ١٤٧/٣، (٣٥١٥)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

أيّها المسلمون: لا يَدري إنسانٌ أنّهُ مِمّن سبَقَ في علم الله أن يَحُجّ، وإن حَجَّ البيتَ وأَعفَى اللّحية فلا يَسلَمُ من إثم حَلْقِ اللّحيةِ إلى الحجِّ فيَجبُ عليه أن يُعفِيَ لحيته ولا يَرتَقبُ الحجَّ، وإنّ النّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «خالِفوا المشرِكين: وَفِّروا اللُّحَى وأَحفُوا الشَّوارِبَ»[1].

أيّها المسلمون: قد تَغيَّر في أزمِنتِنا الْمُتأَخِّرةِ كثيرٌ من الأعْمالِ الصّالحاتِ ومن المؤلِمِ ما نَراهُ من انشغالِ المسلمين بالغَفْلَةِ والبُعدِ عن الدّينِ والْمَنهجِ الحقِّ، وإنّ الإخوة الدّعاةَ إلى الله تعالى إذا حَضُّوا الإنسانَ على أَداءِ الصّلاةِ يَقول: أَبدَأُ الصَّلاة من يومِ الجمعةِ وقد يقول: أَبدأُ في الصّلاة من شهرِ رمضانَ حتّى إنّه لَيُطَوِّل أَمَله وهو لا يَعلَم أنّ هذه مكيدةٌ يُرَوِّجها الشيطانُ على المغرورين ويَنْسى الموتَ مع أنّه قد يأتي من قبلِ أن يجيء شهرُ رمضان أو يومُ الجمعة وقد وقَع ذلك لبعضِ النّاسِ كما حدَّثني أحدُ الإخوةِ الدّعاةِ من قصّةِ رجلٍ أنّه قال: أَبدأُ الصّلاةَ من يوم الجمعةِ ولكنّه هجَم عليه الموتُ بسَكْتَةٍ

---

[1] أخرجه البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما في "صحيحه"، كتاب اللباس، باب تقليم الأظفار، ٤/٧٥، (٥٨٩٢).

قلْبِيَّةٍ قبلَ مجيء يوم الجمعةِ وكذلك كانت امرأَةٌ أصابَتْها النّارُ فهجَم عليها الموتُ فَجْأَةً. فيَجبُ على تارك الصّلاةِ أن يَعزِمَ النِّيَّةَ من الآنَ على المبادرة إلى الصّلاة بدُون ترَقّبِ يَومِ الجمعة أو رمضان. يا إخواني المسلمين إنّ العملَ الصالِحَ إذا كانتْ فيه مَصلَحَةٌ خَاصَّةٌ فيقول الإنسان: ليس ينبَغي التّأخيرُ فيه، ولكن إذا يسوءهُ ويَشقُّ عليه فَيُؤَخِّرُه إلى يوم الجمعةِ وشَهرِ رمضانَ بل إلى حجِّ البيت العتيق ويفعَلُ ذلك بِسببِ المماطَلَة؛ لأنّه يُسوِّفُ في العمَلِ بعد ذلك ولا يُقيمُ الصّلاة بعد مضيِّ يومِ الجمعة ولا يَعفو عن اللّحيةِ بعد الحجِّ وأمَّا مَن خاف ربَّه فيَتوبُ ويُسارِع إلى الخيراتِ قبل فوات الأوان وضِياع الفُرصة. يُمكِنُ أن نَفهَمَ ذلك بهذا المثال الدُّنيوِيِّ: إن قيلَ لرجلٍ: نحنُ نَستأجِرك من أوّل السّنة، فيجب عليك أن تَرَقَّب شهرًا واحدًا، فيقول بالاضطِرابِ النّفسيِّ: لا يَنبغي التَّأخيرُ في الخيرِ، فَاسْتَأجِرْني من الآن، كأَنّه يَشُقُّ عليه أن يَترَقَّب شهرًا واحدًا ولكن إذا قيل لإنسانٍ: (ابدَأْ في الصّلاة)، فيُؤَخِّرها إلى يوم الجمعة وشهرِ رمضانَ حتّى إنّه ليقول: أُعفي اللّحيةَ بعد الحجِّ، وقد يقول: أَعمَلُ بِفرائضِ الله بعد تَزْويجِ أَولادِي.

إنّ الـشيطان لا شَـكَّ أنّـه يـدْعو إلى جميـعِ معاصِـي الله ويَنهَى عن جميعِ طاعاتِه حتّى إنّه يُحَرِّف الإنـسان ويُعَوِّقـه عـن الاستجابة للدّعوةِ إلى الخـير، ونحـن نـرَى بعـض النّـاس يُـضَيِّع أكثرَ أوقاته في طاعة غيرِ مولاه، ويُشاهِد الأفلامَ والمـسْرَحِيّات ولكـن إذا شَـجَّعه الـدّعاةُ علـى الـسّفر في سـبيل الله عـزّ وجـلّ اعْتذَرَ وقال: أنا مُبْتَلًى بكَسبِ المـالِ في كـلِّ يـومٍ ولا يُوجَـدُ أحدٌ غـيري يَقـومُ برِعايـةِ أَولادي وأهلـي، فَهُنـا يَجِـدُ الـشيطانُ فُرصَةً أَكْبَرَ للغَوايَة، ويَصُدُّه عـن الـسّفر في سـبيل الله مـع قافلـة الدّعاةِ ؛ لأنّه يَعلَم قَدرَ عَظَمَتِه أنّ الإنسان إذا سافَرَ في سبيل الله فيَتعَوَّد تَطْبيقَ الشَّريعَة، ويَدْعو إلى الخيرِ ويَمـلأُ كُتَيْبـةَ "الجـوائزِ المدَنيّةِ" للثَّباتِ على السُّنَنِ.

أيّها المسلمون: في زَمَننا هذا لا يَـستعِدُّ إنـسانٌ للـسّفرِ في سبيلِ الله ولكنّهُ يَبذُل نَفسَهُ في طلَب المال ويُسافِر مـن بلَـدٍ إلى بَلَـد فيَـسكُن فيـه دُون أن يُبـالِيَ بـأولاده وأهلـه ويَتحَمَّـل المشَقَّةَ وَالذُّلَّ في طَلَب الدّنيا، وقد تكون عنده تَأْشيرةٌ مُؤَقَّتةٌ أو مُزَيَّفةٌ، فإمَّا يُقيمُ بِبَلَدِه الآخَر مُخْتَفيًا أو يأخُذه شُـرْطِيٌّ ويَحْبِـسه في السِّجنِ وقد يَموتُ بَعض النّاسِ بِـسببِ صَـدْمَةٍ عَنيفَـةٍ آلَمَتْـه

كثيرًا، ولكنَّ أولادَه وأهلَه لا يَعلَمون أنّه هجَم عليه الموتُ وخَذَلَته الآمال وسلَبَتْه بَهاء النِّعمة وانقَطَعَتْ آثارُه، وبَلِيَتْ تحتَ التُّراب عِظامُه، وبَقِيَتْ أَعمالُه قَلائدَ في عُنُقه، فيَجهَلون بما وَقَعَ عليه ويَتَذَكَّرونه رَجاءَ أن يَقدَمَ من سَفَرِه بمالٍ كثيرٍ ولا يَجتَهِدُ أَحَدٌ في إهداءِ الثّواب إليه ؛ لأنّهُ لا يَعلَم بموته.

أيّها المسلمون: إنّ إهداءَ الثّوابِ إلى الحيِّ يصِحُّ، فيَنبَغي ويتأَكَّدُ على كلِّ مؤمنٍ أن يَجعَل ثوابَ صَدَقاته وأعماله الصّالحات لِمَن يَفقِدُ من أَقرِبائه فلا يَغفُل عنه، ويُوَزِّع الكُتُب وَالرّسائل الدّينيَّة، ويُسافِر في سبيل الله مع قوافل الإخوة الدّعاة إلى الله تعالى لإيصالِ الثّوابِ إليه.

يُسافِر بعضُ النّاسِ في طَلَبِ المال من بَلَدٍ إلى بَلَدٍ فإنّه قد يَفوزُ بِكَسبِ المالِ ولكنّه كثيرًا ما يَهجُم عليه الموت ويُصاب بِشَرحِ الْجُثَّة ثُمّ إذا وَصَلَتْ جُثَّةُ الميِّت إلى وَطَنه كثُرَ العويل والصِّياحُ، وذَرَفَتِ العيون وبكلّ قلبٍ حَسْرَةٌ وبعد الدّفن يَشتَغِل جميْعُ النّاس بأُمورِ الدنيا ويَنْسَونه ؛ لأنّ هذا أمرٌ لا بُدَّ من كَونِه كما رُوِيَ عن ابن عبّاسٍ رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «لله مَلَكٌ مُوَكَّلٌ

بالمقابرِ فإذا دُفِنَ الميِّتُ وسُوِّيَ عليه وتَحَوَّلوا لِيَنصرِفوا قَبَضَ قَبضَةً من تُرابِ القَبرِ، فَرَمَى بها على أَقفِيَتِهم وقال: انصَرِفوا إلى دنياكم وَانْسوا مَوتاكم»[1].

أيّها المسلمون: اعلموا أنّ دُخول بعضِ البلاد لا يُسمَحُ به للمُسلمين ولا تُعطَى لَهُم تَأشيرَةٌ فقد يُشيرُ الوكيلُ عليهم بالكُفرِ ويقول: مَن يُظهِرُ نَفسَهُ مَسيحيًّا أو يهوديًّا أو قاديانيًّا فيُمكنُه حُصولُ تَأشيرةٍ وقد يَكتُبُ بعضهم نفسه كافرًا وَاعلَموا أنّ مَن أَشارَ على واحدٍ بالكُفرِ أو استَكْتَب نفسه كافرًا يصير كافرًا، ويَنْفَسِخُ نكاحُه وتَنقَطِعُ بَيعَته وتَحْبَطُ أَعمالُه الصّالحاتُ من الصّلاة والزّكاةِ والحجِّ وغيرها من العباداتِ ولا يُعذَرُ بالجهلِ وغيره ولا تُعْتَبَرُ فيه نِيَّتُه، فيَنبَغي عليه أن يُجَدِّد توبته وإيمانه ونكاح امرأته، وإن أرادَ أن يَسلُك الطّريقَ ويُتَلْمِذَ على يدِ شيخٍ كاملٍ فَليأخُذ الطّريقة.

وفي "الهنديَّة": إذا لَقَّن الرجلُ رجلاً كلمة الكفرِ فإنّه يَصير كافرًا وإن كان على وَجه اللَّعبِ ومَن أَمَرَ رجلاً أن يكفرَ

---

[1] ذكره السيوطي في "شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور"، باب دفن العبد في الأرض التي خلق منها، صـ١٠٣.

كان الآمرُ كافرًا، كفَر المأمورُ أو لم يكفُر، والهازل أو المستَهزِئُ إذا تكلّم بكُفرٍ استِخفافًا واستِهزاءً ومزاحًا يكون كفرًا عند الكلِّ وإن كان اعتِقادُه خِلافَ ذلك[1].

وإن أُكْرِه بمُلجِئٍ بقتلٍ أو قطعِ عُضوٍ أو ضَربٍ مُبَرِّحٍ فإن يَعلَم أنّه لو لم يَفعَل ما أُكرِه عليه لَيُوقِع الْمُكرِهُ ما هَدَّدَ به كان إكراهًا شرعيًّا. وفي "الهنديَّة": إذا أُكْرِهَ الرجلُ أن يتلَفّظَ بالكفرِ أو يُصلِّي إلى الصَّليبِ بوعيدِ تَلَفٍ أو ما أشبَهَ ذلك فتكلَّم بالكفرِ أو صلَّى إلى الصَّليبِ وقلبه مُطْمَئِنٌّ بالإيمانِ ولم يَخْطُر بباله شيءٌ سِوى ما أُكرِهَ عليه من إنشاءِ الكفر، فلا يُحْكَمُ بكفرِه لا في القضاء ولا فيما بينه وبين ربّه[2].

أيّها المسلمون: مَن تكَلَّم بكلمةِ الكفرِ فيجبُ عليه الإقلاعُ عنه والنَّدَمُ على فِعله والعزمُ على أن لا يَعودَ إليه أبدًا، فإن فُقِدَ أحدُ الثّلاثةِ لم تَصِحَّ توبتُه ولا بُدَّ للنّاطق بالتوبة من الكفرِ أن يَذكُر كلمة الكفرِ ويتَبَرَّأ منه ويَعرِفَ ذلك المعنى وإلاّ فإنّه لا يَنفَعه مُجَرَّدُ التّلَفُّظِ بالتوبة، ومع هذا يَنبَغي عليه أن يُجَدِّد إيمانه

---

[1] "الفتاوى الهندية"، كتاب السير، الباب التاسع، ٢/٢٧٥-٢٧٦.

[2] المرجع السابق، ٢/٢٧٦، ملتقطاً.

ونكاح امْرَأَته عند شاهدَيْن مسلمَيْن سامعَيْن معًا ويَنعَقدُ النِّكاحُ مُلتَبِسًا بإيجابٍ من أحدهما وقبولٍ من الآخَر كأن يقول أحدهما: زَوَّجْتُ نفسي منك ويقول الآخَر: قبِلتُ ويَنعَقد النّكاحُ بحَضرَةِ ابني الزّوجين أو ابنَي أحدِهما أو أبويهما أو أبويْ أحدِهما، ويندُبُ تقديم خُطبةٍ أي: ما يُذْكر قبل إجراءِ العقد من الحمدِ والتَّشهُّد[1]. ويجب عشرةُ دراهم فضّةً وَزنَ سبعةِ مثاقيلَ[2]. وأمّا الرجلُ الّذي أطْلَقَ كلماتِ الكفر، ولم يَتذَكَّر أحدًا منها فيجبُ عليه أن يقول: أَستَغفر الله ربِّي من كلِّ كفرٍ أَطلَقتُه عمدًا أو خطأً وأَتوبُ إليه، ومع هذا يُجَدِّدُ إيمانه.

وأمّا من لم يَعلَم التكلُّم بكلمةِ الكفرِ فالاحتياطُ له أن يقول: لو أَطلَقْتُ كلمة الكفر فأتوب منه، ومع هذا يُجدِّدَ إيمانه ونكاح امرأته ويُستَحَبُّ أن يُحافِظ على صلاةِ التّوبةِ قبل النّوم.

أيّها المسلمون: ارتبِطوا بالبيئَةِ المتَدَيِّنَة لجمعية "الدعوةِ الإسلاميةِ"، وسافِروا في سبيل الله مع قوافل الدّعاة إلى الله تعالى وَالتَزِموا مَلء كتيبَةِ "الجوائزِ المدنِيَّةِ" إذ بذلك يَتولَّد الفِكرُ في

---

[1] انظر هذا التفصيل في "الدر" و"ردّ المحتار"، ٤/٧٥-١٠١.

[2] "الدر المختار"، ٤/٢٢٠-٢٢١.

حِفظ الإيمان وعلاج الذّنوب ويَزْدادُ نَشاطُ الامتثالِ لأَوامِرِ اللهِ والاجتنابِ من مَحارمِه، ويَنبغي على كلِّ أحدٍ أن يَعزِمَ النيَّة من الآنَ على السّفر في سبيل الله في حياته لِسَنَةٍ كاملةٍ وفي كلِّ شَهرٍ لِثلاثةِ أَيّامٍ.

اللهم وفِّقْنا لاتباعِ الهدى، وجَنِّبنا أسبابَ الهلاك والشقاء وطرقَ معصيتك، واغفِر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين، وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمّد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

عجز الميت

لفضيلة الشيخ الداعية الكبير أبي بلال محمد إلياس العطار
القادري الرضوي حفظه الله تعالى

تعريب
مجلس التراجم

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه والتّابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين، **أمّا بعد:**

فقد قال النّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: «زَيِّنوا مَجالِسكم بالصّلاة عليَّ، فإنّ صلاتكم عليَّ نُورٌ لكم يوم القيامة»[1].

صلّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمد

عن سفيانَ الثوريِّ قال: إنّ الميِّت لَيَعرِفُ كلَّ شيءٍ حتّى إنّه لَيناشِدُ غاسِلهُ: بالله عليك، ألا خَفَّفْتَ غُسلي، قال: ويقال له وهو على سريرِه: اِسمَع ثَناءَ النّاسِ عليك[2]. قال سيّدنا الإمام جلالُ الدِّين السيوطِيُّ: وأخرج ابنُ أبي الدّنيا في القُبورِ عن عمرَ بنِ الخطّابِ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: ما من ميِّتٍ يُوضَع على سريرِه فيُخطَى به ثلاث خطَواتٍ إلاّ تكَلَّم بكلامٍ يَسمَعُه من شاء الله

---

[1] ذكره الديلمي في "فردوس الأخبار بمأثور الخطاب"، ١/٤٢٢، (٣١٤٩).

[2] ذكره السيوطي في "شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور"، باب معرفة الميت من يغسله ويجهزه، صـ٩٥.

إلاّ الثَّقَلينِ الإنْسُ والجنُّ، يقول: يا إخوتاه ! ويا حمَلَةَ نعشاه! لا تَغُرَّنَّكم الدّنيا كما غَرَّتني، ولا يَلْعَبَنَّ بكم الزّمانُ كما لعِب بي، خَلَّفْتُ ما تَرَكْتُ لِوَرَثَتي، وَالدَّيّانُ يوم القيامة يُخاصمني ويُحاسِبني، وأنتم تشَيَّعوني وتَدعوني[1].

أيّها المسلمون: إنّ العُمُر مَاضٍ ومُنْقَضٍ، فكيف يكون حالنا عندما تُفارق الرّوحُ الجسَدَ ؟ وكيف يكون يومُ الفَقرِ عندما يُنزَعُ اللِّباسُ عن البدنِ ؟ وكيف بنا إذا رَفَعَ النّاسُ نَعشنا وسَعَوا بنا نحوَ رَمْسِنا ؟ وأين الدّنيا الّتي سَعَينا لها وأَفنَينا في جمعِها عُمُرنا ؟ وأين الدّنيا الّتي أَسهَرنا لأجلها لَيْلنا وأَنفَقنا في سبيلِ تَحصيلِها أَوقاتنا صابِرين على المصائب والآلامِ، مُخاطِرين بالأَرواحِ والأَجسامِ، مُواجِهين الْمَواقِفَ العظِيمة راكِبين للأَهوالِ وجَمَعنا الأموال من الحِلِّ والحرام غافلين عن العَينِ الّتي لا تَغفُل ولا تَنامُ، وبَنَينا البُيوتَ وزَيَّنّاها بأَحْدَثِ أَثاثٍ وأَحلاه، وأَعظَمِ فَرْشٍ وأَغْلاهُ، وجَمَعنا فيها كلَّ أَسبابِ اللَّهوِ وَالتَّرَفِ، وكلٌّ واحدٍ منّا عن قبرِهِ عَزَفَ، وفي دُنياه غَرِقَ، ومن

---

[1] ذكره السيوطي في "شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور"، باب معرفة الميت من يغسله ويجهزه، صـ٩٦.

مَلَذّاتها اغتَرَفَ، فلمَّا ذُكِّرَ بالآخرةِ لم يَتَذَكَّرْ ولَمَّا سَمِعَ الوَعظَ لم يَتَّعِظْ، وتَراهُ مُعرِضًا، ضاحِكًا، كأنّه عَبَرَ الصِّراط وجاوَزَ النِّيرانَ. فآه...آه ! إذا جاء الأجَل، والموتُ بِساحَته نَزَلَ، وفي ظُلْمَةِ قَبرِه حَلَّ، بعدما عن دنياهُ ارتَحَلَ وترَك ما جمَع، وخَمَد نَجمُه بعدما لَمَع، فأين بيتُه وزيْنتُه، وأين جَمعُه وكَثْرَتُه، أم أين أثاثُه الفاخِرُ وسَيّارَتُه الّتي كان بها يُفاخِر، وأين آلاتُ اللَّهوِ وَالطَّرَبِ وَالتَّرَفِ فقد ترَك متاع الدّنيا ودخل بيتَ الوَحدَةِ وَالظُّلْمَةِ وَالدُّودِ، وبَدَأَ العَهدَ الجديدَ لِيَلقَى ما قَدَّمَ في دنياهُ الّتي سَعَى لها طَوالَ عُمُره.

حُكِيَ أنّ سيِّدنا عمر بنَ عبدِ العزيز رضي الله تعالى عنه شَيَّع جنازةً فلمَّا اصْطَفَّ النّاسُ تَأَخَّر عنها، فقال له أصحابه: يا أمير المؤمنين جنازةٌ أنت وليُّها تأَخَّرْتَ عنها وتَرَكتَها ؟ فقال: إنّي ما تأَخَّرتُ عنها إلاّ لأنّ القبرَ ناداني من خَلْفي، يا عمر بنَ عبد العزيز أَلا تَسأَلُني ما صَنَعتُ بالأَحِبَّة ؟ فقلت له: وما صنعتَ بهم ؟ فقال: خَرَّقتُ الأَكفان ومَزَّقتُ الأَبدان ومَصِصْتُ الدَّم وأكَلتُ اللّحم، ألا تَسأَلُني ما صنعتُ بالأَوصال ؟ فقلت له: ما صَنَعتَ بها ؟ فقال: فَرَّقتُ الكَتِفينِ من الذِّراعَينِ

والرّكبَتينِ من السّاقَينِ والسَّاقينِ من القدَمينِ، ثُمَّ بكى عمرُ، وقال: إنّ الدُّنيا بَقاؤُها قليلٌ، وعزيزُها ذَليلٌ وغَنيُّها فقيرٌ، وشَبابُها يَهْرَم، وحيُّها يَموتُ، فلا يَغُرَّنَّكم إقبالها مع معرفتكم بسُرعةِ إدبارها أين قرّاءُ القرآن ؟ أين حُجّاجُ بيت الله الحرامِ؟ أين صُوّامُ شهرِ رمضانَ ؟ ما صَنَع التُّرابُ بأَبْدانهم، وَالدِّيدانُ بأَجْسادهم، وَالْبِلَى بعظامهم وأَوصالهم ؟ كانوا والله في الدّنيا على أُسرَةٍ مُمَهَّدَةٍ، وفُرُشٍ مُنَضَّدَةٍ، بين خَدَمٍ يَخدِمون، وأهلٍ يُكرِمون، أليس هم بعدها في مُدْلَهِمَّةٍ ظَلْماءَ، قد حِيلَ بينهم وبينَ العمَلِ فارَقوا الأهلَ والوَطَن، قد فارقوا الحدائقَ، وصاروا بعد السَّعَة في الْمَضايق، وتَزَوَّجَتْ نِساؤُهم، وتَرَدَّدَتْ في الطُّرُقات أبناؤُهم وتَوَزَّعَتِ القَرابَاتُ دِيارَهم وتُراثَهم، فمنهم والله الْمُوَسَّعُ له في قبرِه، ومنهم والله اَلْمُضَيَّق عليه في لَحده هَيْهَاتَ هيهات ! يا مُغْمِضَ الوالدِ والأخِ والولدِ وغاسِلَه ويا مُكَفِّنَ الميِّت وحامِلَه ويا مُحلَّه في القبر وراجعًا عنه، لَيْتَ شَعْري بِأَيِّ خَدَّيه يَبْدَأُ البِلى، ثُمّ بَكَى حتّى غُشِيَ عليه وما بَقِيَ إلاّ جمعةً ومات[1]. رحِمَهُ الله تعالى وغَفَر لنا به.

---

[1] "الروض الفائق"، المجلس الثامن عشر، صـ١٠٧.

قالت فاطمة بنتُ عبد الملك بنِ مروانَ امرَأَةُ عمر بنِ عبد العزيزِ: كنت أَسمَع عمرَ في مرضه الّذي مات فيه يقول: اللّهمَّ أَخْفِ عليهم موتي ولو ساعةً من نَهارٍ، فلمَّا كان اليومُ الّذي قُبِضَ فيه، خَرَجتُ من عنده، فجلَستُ في بيتٍ آخَرَ، بيني وبينه بابٌ وهو في قُبَّةٍ له، فسمِعتُه يقول: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣/٢٨]. ثُمّ هَدَأَ فجَعَلتُ لا أَسمَعُ له حَرَكَةً ولا كلامًا فقلتُ لوَصيفٍ له: اُنظُرْ أنائِمٌ هو ؟ فلمَّا دخَل صاح، فَوَثَبتُ فإذا هو ميِّتٌ[1].

قال الإمام محمّد الغزاليُّ رحمه الله: قيلَ لعبدِ الملك بنِ مروانَ في مرضه الّذي مات فيه: كيف تَجِدُك يا أميرَ المؤمنين؟ قال: أَجِدُني كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤/٦]. ومات[2]. وحُكِيَ عن هارونَ الرّشيدِ: أنّهُ انْتَقَى أَكفانَهُ

---

[1] "إحياء علوم الدين"، كتاب ذكر الموت وما بعده، الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين، ٢٣٠/٥.

[2] المرجع السابق.

بيدِه عند الموت، وكان يَنظُر إليها ويقول: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ [الحاقة: ٦٩/٢٨-٢٩][1].

أيّها المسلمون: إنّ الله خَلَقَ الإنسان لعبادته فمَن أَطاعَه أنالَه أَتَمَّ الجزَاءِ ومَن عَصاهُ عَذَّبه أشَدَّ العذاب ولكن يَغفُلُ الإنسان عن الاستعداد لِلنُّقلَة من الدّار الفانية إلى الدّار الباقية وإنّ من أَضَرِّ الأشياءِ على الإنسانِ طولَ الأَمَلِ؛ لأنّه يَحْمِل على الحرصِ على الدنيا وَالتَّشميرِ لِعمارتها حتّى يَقطَعَ الإنسانُ لَيله ونهاره بالتّفَكُّرِ في إصلاحها وكيفية السّعيِ لها تارَةً بباطنه وقلبه وتارةً بظاهره وعمَله، فيَصير قلبه وجسمه مُستغرِقَيْنِ في ذلك، ويَنْسَى الآخرة ويَشتَغِل عنها، ويُسَوِّف في العمَل لها فيكون في أَمر دنياه مُبادِرًا ومُشَمِّرًا، وفي أَمر آخرته مُسَوِّفًا ومُقَصِّرًا ويَعمَل أعمال رجلٍ يَظُنّ أنّه لا يَموتُ، ويَجمَع جمعَ رجلٍ يَرجو الخلُودَ، ولكن هَيْهَاتَ، هيهات! فالموت لا بُدَّ منه، وَالرَّحيل عن هذه الدّنيا مُحْتَمٌّ، وإذا كان الأمرُ كذلك فليسَ الهمّ الدّنيا وليس الْهَمُّ الشَّهاداتُ العَصرِيَّةُ والارتِقاء الدّنيوِيُّ ولا كسبُ

---

[1] ذكره الغزالي في "إحياء علوم الدين"، كتاب ذكر الموت وما بعده، الباب الخامس في كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين، ٢٣١/٥.

الأموالِ وجمعُها وادِّخارُها إنّما الآخرةُ هي الْهَمُّ إنّما النّجاةُ يومَ الجمعِ الأكبرِ هي الهمُّ إنّما عُبورُ الصّراطِ وتَجاوُزُ النّيرانِ ودُخولُ الجِنان هو الهمُّ وقد قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢٣/١١٥]. واعلموا أنّ الله خلَق الإنسانَ لعبادَته، فإن لم يُحرِزِ النّجاحَ في مقصد حياته وبارَزَ اللهَ بالذّنوبِ والمعاصي وجاء يومَ القيامة بأَحْمالٍ وأَوقارٍ من الخطايا والآثامِ فلا يَنفَعه مالٌ ولا بَنُونَ ولا تُنجيه الأَسْلِحَة والمناصبُ والْمَصانِع والوِزاراتُ والفُنونُ يومَ لا عاصِمَ من أمرِ الله إلاّ مَن رَحِمَه ولا مُنجي من عذابه وعِقابه إلاّ مَن رَحِمَه، فَانْظُروا وتَفكَّروا أيّها الكاشفون عن عيوبِ النّاس والْمُضَيِّعون لحقوقهم كيف يكون حالُكم لو سَخِط اللهُ عزّ وجلّ ورسولُه صلّى الله عليه وسلّم ؟ وكيف يكون حالُكم لو سُلِبَ الإيمانُ بسبب المعاصي ؟ فقد قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ۝٩﴾ [الهمزة: ١٠٤/١-٩].

قال حاتمٌ: سَمِعْتُ شقيقَ البلخيَّ يقول: وافَقَني النّاسُ في أربعةِ أشياءَ قولاً، وخالَفوني فيها فعلاً، قالوا: إنّا عبيدٌ لِربٍّ واحدٍ، وهم يَعمَلون عمَل الأحرار، وقالوا: إنّ الله لأرزاقنا كفيل، ولا تَطْمَئنُّ قلوبُهم إلاّ بالشيءِ، وقالوا: إنّ الآخرةَ خَيرٌ من الأولى، وهم يَجمَعون المال للدّنيا وقالوا: لا بُدَّ من الموت وهم يَعمَلون أعمال قومٍ لا يَموتون[1].

الدعوى الأولى: أنا عبد الله

كلُّ مسلِمٍ يُقِرُّ أنّه عبدُ اللهِ، ولا ربَّ له سِواه، ولو فَتَّشنا عن حقيقة العبوديَّة لَنَصِل من خِلالها إلى حقيقة العبد؛ لأنّ العبدَ مأخُوذٌ من العبوديَّة لَوَجَدنا أنّها كمالُ انقيادٍ وامتثالٍ وطاعةٍ لأوامرِ الله عزّ وجلّ، فالعبدُ على هذا هو الْمُنقادُ والْمُمتَثِل والطّائعُ لأوامر اللهِ عزّ وجلّ، فلا اختيارَ له فيما فَرَض اللهُ عزّ وجلّ ولا رَأيَ يُبدِيه، ولا اقتِراحَ يُقَدِّمه، فهو مَقهورٌ تحتَ سلطانِ الرُّبوبيَّة، ووظيفتُه الامتِثال للأمر. ولكن مع الأَسَفِ الشَّديد لو ألقَينا نَظْرةً على أَحوالنا وعلى أَعمالنا في هذه الأيّامِ

---

[1] ذكره أبو الفرج عبد الرحمن بن علي المعروف بـ"ابن الجوزي" (ت ٥٩٧هـ) في "عيون الحكايات"، صـ٧٥.

لوَجَدنا أنّ أكثرَنا إن لم يكن الكلُّ إلاّ مَن رحِم ربّي، قد نَزَع عن نفسه وِسامَ العبوديّةِ لله تعالى وصار يَتصَرَّف تصرُّف الْمُتَحَرِّرين من عبوديَّته فما عادَ يَضْبِطه ضابِطٌ ولا عَادَ يَرْدَعه رادِعٌ من دينٍ ولا حياءٍ بل تَراهُ مُتطاوِلاً على سيّده ومَولاهُ مُستَغرِقًا في مُخالَفَةِ ما أمَرَه به وارتكابِ ما نَهاهُ عنه فصار في حقيقته عبدًا لشَهوَته وهواه لاهثًا وَراءَ الفانياتِ وَالتُّرَّهاتِ مُنْشَغِلاً بالدَّنايا والخبائثِ وقد دَعاهُ الله إلى الطّيِّباتِ والنَّفائسِ ولكن هذه عقوبةُ مَن أَعرَضَ عن عبادةِ الله وآثَرَ التّخلّي عن طاعته أن يَصيرَ عبدًا رقيقًا ذليلاً مُحتَقرًا لشهوته وهَواهُ أو لعبدٍ في العبوديَّة ساواهُ فمن لم يَخدِم مَن يَستَحِقُّ الخدمة ومن لم يَعبُد من يَستَحِقُّ العبادة عُوقِبَ بخدمة مَن لا يَستحقُّ الخدمةَ وعبادةِ مَن لا يَستحقُّ العبادة ولكن هُناك كلمةٌ أُوَجِّهُها إلى من هذا حالُه، وأقول له: أَيْ أخي ! أما نأكُل رزقَ الله، أما نَسكُن بلاده، أما نَستظِلّ بسَمائه أفيَحسُن أن نأكُل رزقه ونَسكُن أرضَه ونَستظِلّ بسمائه ثُمّ بعد ذلك نُخالِفُ أمرَه ؟! لا، والله! بل يجبُ علينا أن نكون في قِمَّةِ الامتثالِ لِما أمَرَ، وأن نكون عبيدًا حقًّا لله بكلِّ ما تَتَضَمَّنه كلمةُ العبوديّة وبكلِّ ما تَحتَمِله

من أبعادٍ. فالعبدُ الحقُّ مَن آثَرَ الله على هَواه، وأَدَّى الفرائضَ الّتي أَوجَبَها عليه ؛ لأنّه فيها عَبدُ اضطِرارٍ، لا عبدُ اختِيارٍ، فالعبوديّةُ أوجَبَتْ عليه طاعةَ سيّده فيما افترَضَه عليه.

الدعوى الثانية: الله تكفَّل بأرزاقنا

إنّ الله تعالى تَكفَّل لنا بالرِّزقِ وكُلُّ واحدٍ يُقِرُّ أنّ الله هو الرّزّاق، فإن كان الأمرُ كذلك فلِماذا الاشتغالُ بالحرامِ وجمعُ الْحُطامِ ؟ لِماذا العُقودُ الرِّبَوِيَّةُ وجمعُ المالِ من حلِّه وحرامه؟ لِماذا السَّرِقاتُ وَالنَّهبُ وأخذُ الرَّشاوي وتَطفيفُ الكَيلِ ؟ لِماذا الإصْرارُ على الحرامِ ؟ لماذا كلُّ هذا ما دامَ الله هو الرَّزّاقُ ؟ ولَن تَموتَ نفسٌ حتّى تَستَوفِي رزقها ولن يأكُل أحدٌ رزقَ أحدٍ، فليَحذَرْ كلَّ الحذَرِ مَن يَحرِصُ على جَمعِ الحطامِ وأكلِ الحرامِ غيرَ آبِهٍ بنَظَرِ الله إليه واطِّلاعه عليه، وليَحذَرْ هذا الْمُتمادي في مَعصِيَةِ الله أن يَأخُذه الله بَغْتَةً فيُصبِحُ من الخاسرين الّذين خَسِروا الدّنيا والآخرةَ، وذلك هو الخسرانُ المبينُ.

الدعوى الثالثة: الآخرة خيرٌ من الأولى

يَدَّعي كلُّ مسلِمٍ أنّ الآخرة خيرٌ من الأولى ومع ذلك يَبحَثُ عن السّعادةِ في الدنيا ويَطلُب العُلُوَّ والرِّفعَة في الدنيا،

غافِلاً عن الآخرةِ الّتي هي دارُ القرارِ، فأين العمَلُ الّذي يَدُلّ على صدقِ الْمَقالِ ؟ أم أينَ ما يَدُلُّ على ذلك من صادِقِ الأحوالِ ؟ أم أنّ التَّحلِّي بالكلامِ صار عادةً والْخُلْفُ بالأفعال صار عبادةً ؟ فيا لِلمُصيبةِ الماحِقَة ! إن كان الأمرُ قد وَصَل إلى هذا الحدِّ من حَرق الفضائل وانتشار الرّذائل، فلنُراجِع أنفسنا قبلَ أن يَخرُجَ الأمر عن إرادتِنا، ونُصبِحُ عاجزين عن التَّحكّم بأنفسنا، يومَ تَجِدُ كلُّ نفسٍ ما عمِلت من خيرٍ مُحضَرًا، وما عمِلتْ من سوءٍ تَوَدُّ لو أنّ بينها وبينهُ أَمَدًا.

الدعوى الرابعة: لا بدّ من الموت

هذا الأمر لا يُنكِره أحدٌ ولو كان كافرًا، فكلُّ واحد يُقِرُّ أنّهُ يَموت في يومٍ، ويُفارِق هذه الدنيا الّتي عاش فيها مُدَّةً من الزَّمَنِ على حَسبِ ما شاء الله وقدَّر، فما بالُنا نَشتغِلُ بالذّنوب والمعاصي، بل كثيرٌ من الناسِ يَتجرَّؤون على المعاصي، ولا يَخشَون لَوْمَةَ لائِمٍ، حتّى إنّ بعضهم يَفتخِرون بالمعاصي من السَّرِقة والظّلمِ والكَذب والغيبة ومُشاهدة الأفلامِ والمسرحيّات، غافِلين عن الْمَصيرِ الْمُحَتَّم الّذي لا بُدَّ أنّهم إليه صائِرون، وله يَومًا ما مُلاقون كأنّهم أَخَذوا صَكَّ أمانٍ وعَهِدوا بِالنَّجاة من

الـنِّيران، فهـم في رَيْـهم يَعمَهـون، وفي معاصـيهم يَرتَعـون، أمـا سَـمِعوا أحـوال الـصّالحين الّـذين لَبَّـوا بنـداءِ الـدّاعي إلى الفـلاحِ، فعَملوا بِجدٍّ فما وَهَنوا، وأَعَدّوا العُدَّة لِما هم عليـه مُقبِلين فكـانوا دائِمين على حَذَرٍ ووَجَـلٍ، خـائِفين مـن بَغْتَـة الأَجَـلِ، قـد تَمَلَّـك الخوفُ من الجليـلِ قلـوبَهم، وأَسَـرَّ الحـزنُ نفوسَـهم وصُـدورَهم كقُدورٍ تَغلِي مـن تَجَلْجُـلِ الهـمِّ في أَركانهـا، وعُيـونُهم بالـدُّموعِ تَجـري، وإن جَفَّـت الـدّمُوعُ جـادَتْ بـدمائِها لا يَهـدَأُ لهـم بـالٌ، وكيف وقد علِموا أنّ الدَّيّان هـو الله، فـانظُروا إلى سـيِّدنا الحـسنِ البصَرِيِّ رحمـه الله تعـالى أنّـه مـا ضَـحِكَ أربعـينَ سَـنَةً وإذا رُؤِيَ قاعِدًا كأَنّهُ أسيرٌ قد قدِم لتُضرَبَ عُنُقه وكـان كـثيرَ الخـوف كأنّـه قد قُضِي عليه بالموت.

فلنَستَسلِم لِمَا قد قضاه الحقُّ تعـالى علـى العِبـادِ بـأنّ كـلّ نفسٍ ذائقةُ الموتِ ولنَستَعِدَّ لهذا الْمَصيرِ قال رسـول الله صـلّى الله عليه وسلّم مُخبِرًا عن حالِ الميِّت: «والّذي نفسي بِيده لـو يَـرَون مكانَه ويَسمَعون كلامَه وما هـو عليـه لَـذَهِلوا عـن ميِّتـهم ولبَكَـوا على أنفسِهم ثُمّ إذا حُمِل الميِّت على النّعشِ رَفْرَفَـتْ رُوحُـه فَـوق النّعشِ وهي تُنادِي يا أهلي! يا أولادي! لا تَلْعَبَنَّ بِكُـم الـدُّنيا كمـا

لَعِبَتْ بي جَمَعتُ المال من حلِّه ومن غير حلِّه فَالْمَهْنَأَةُ لكم والتَّبِعَةُ عليَّ فاحذَروا مثلَ ما حَلَّ بي»[1].

أيّها المسلمون: إنّ كلَّ ميِّتٍ في الحقيقة داعِيَةٌ كبيرٌ فإنّه يقول لنا صارِخًا: أيّها الْمُتخلِّفون في الدّنيا إنّكم سَتُفارِقونها كما فارَقتُها وسَتُدْفَنون كما أُدْفَنُ تحتَ التُّرابِ فَلتَستعدُّوا للآخرة واغْتَنِموا فُسْحَةَ الْمَهْلِ من قبلِ أن يَفجَأَكم الأجلُ.

ورُوِيَ عن سعيد بنِ المسَيَّبِ رضي الله عنه قال: دخلنا مَقابِرَ المدينة مع عليِّ بن أبي طالبٍ كرَّم الله تعالى وجهَه، فنادَى: يا أهلَ القبور السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته، تُخبِرونا بأخباركم أم تُريدون أن نُخبِرَكم ؟ قال: فسمعنا صوتًا من داخِل القبر: وعليك السّلام ورحمة الله وبركاته يا أميرَ المؤمنين أخبِرنا عمّا كان بعدنا فقال عليٌّ: أمّا أزواجُكم فقد تَزَوَّجنَ، وأمّا أموالُكم فقد اقْتُسِمَتْ، والأَولادُ فقد حُشِروا في زُمْرَة اليتامى، والبِناءُ الذي شَيَّدتم فقد سكَنه أعداؤُكم، فهذه أخبارُ ما عندنا، فما أخبارُ ما عندكم ؟ فأجابَه ميِّتٌ: قد تَخرَّقتِ الأكفان وانْتَثرتِ الشُّعورُ وتَقطَّعتِ الْجُلودُ وسالَتِ الأَحداقُ على

[1] "مختصر تذكرة القرطبي"، صـ٢٥.

الْخُدُودِ وسالَتِ الْمَناخِرُ بالقيْحِ والصَّديدِ وما قَدَّمناه وَجَدناه وما خَلَّفناه خسِرناه ونحن مُرتَهِنون بالأعمال[1].

قيل: غَيٌّ وادٍ من جهنّم يَستعيذ من حَرِّه أَوديَتُها، أُعِدَّ لِلزّاني وشارِبِ الخمرِ، وآكل الرِّبا، وشاهد الزّورِ ولأهلِ العُقوقِ وتارِك الصّلاة[2].

قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من آتاه الله مالاً فلم يُؤَدِّ زكاته مُثِّلَ له مالُه شُجاعًا أَقرعَ، له زَبيبَتانِ يُطَوَّقه يومَ القيامة يأخُذ بلِهْزِمَتَيْه يعني بشِدْقَيْه، يقول: أنا مالُك، أنا كنزُك»[3]. قال عبد الله بن عمر: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من شرِب الخمرَ لم يَقبَلِ الله له صلاةً أربعين صباحًا، فإن تاب تاب اللهُ عليه، فإن عاد لم يَقبَل اللهُ له صلاةً أربعين صباحًا، فإن تاب تابَ اللهُ عليه، فإن عاد لم يقبل الله له صلاةً أربعين صباحًا، فإن تابَ تابَ الله عليه، فإن عاد الرابعة لم يقبل الله له صلاةً أربعين صباحًا، فإن تاب لم يَتُبْ اللهُ عليه، وسَقاه

---

[1] ذكره السيوطي في "شرح الصدور بشرح حال الموتى والقبور"، باب زيارة القبور وعلم الموتى بزوارهم، صـ٢٠٩.

[2] "روح البيان"، الجزء السادس عشر، ٣٤٥/٥.

[3] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب التفسير، ١٩٦/٣، (٤٥٦٥).

من نَهرِ الْخَبالِ». قيل: يا أبا عبد الرحمن ! وما نهرُ الْخَبالِ ؟ قال: نَهرٌ من صديد أهلِ النّار[1].

عن عليٍّ رضي الله عنه قال: لو وَقَعَتْ قَطرةٌ -أي: من الخمرِ- في بئرٍ فبُنِيَتْ في مكانها مَنارَةٌ لم أُؤَذِّنْ عليها، ولو وقعَتْ في بَحرٍ، ثُمّ جَفَّ فنَبَتَ فيه الكلأُ لم أُرعِه[2].

ويَنبغي على كلِّ مسلمٍ بل ويَتأكّد عليه: أن يَسمع كلام والدَيه وأن يَقومَ لِقيامهما وأن يَمتَثِلَ لأمرِهما فلا يَمشي أمامهما ولا يَرفَع صوته فوق صوتِهما ويُلَبِّي دَعوتَهما ويَحرِص على ابتغاءِ مَرضاتِهما ولُزومِ طاعتِهما وإدخالِ السُّرورِ على قلبَيهما بكلِّ وجهٍ يَستطيعُه ويَقدِر عليه مع الإحسان ومنعِ كلِّ أمرٍ يَسُوءهما ويَشُقُّ عليهما ويَجُرُّ إلى سُخْطِهما ويَخفِضُ الجناحَ من الذُّلِّ لهما ولا يَمُنُّ عليهما بالبرِّ لهما ولا بالقيامِ لأمرِهما ولا يَنظُر إليهما شَزْرًا ولا يُقَطِّبُ وجهَه في وَجهَيهما ولا يُسافِرُ إلاَّ بإذنِهما ويَتَباعد كلَّ البعدِ ويَحْذَرُ كلَّ الْحَذَرِ من عُقوقِ الوالدينِ والتّهاوُنِ بحَقِّهما؛ لأنّ عقوقَهما والإضاعةَ

---

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الأشربة، ٣/٣٤١، (١٨٦٩).

[2] "روح البيان"، الجزء الثاني، ١/٣٤٠.

لِحَقِّهما من أَفحشِ المعاصي وأَكبر الكبائرِ الْمُهلِكاتِ. فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مَن أَصبَحَ مُطيعًا [لله] في والديهِ أَصبَحَ له بابانِ مَفتوحان من الجنّة، وإن كان واحدًا فواحدًا، ومَن أمسى عاصيًا لله في والديه أَصبَحَ له بابان مَفتوحان من النّار، وإن كان واحدًا فواحدًا»، قال الرجل: وإن ظَلَماه، قال: «وإن ظلماه، وإن ظلماه، وإن ظلماه»[1]. واعلموا لا طاعةَ للوالدينِ في معصية الخالق إنّما الطّاعةُ في المعروف ومَن أَطاعَ الوالدينِ في المعصية فيأثم هو نفسُه.

أيّها المسلمون: إنْ اضطررتم إلى الوعدِ فاحذَروا أن تُخلفوا إلاّ لِعجزٍ أو ضرورةٍ، فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «فمَن أَخفَر مسلمًا فعليه لعنةُ الله والملائكة والناسِ أجمعين، لا يُقبَلُ منه صَرْفٌ ولا عَدْلٌ»[2].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «أتَيتُ ليلةً أُسرِيَ بي على قومٍ بُطونُهم

---

[1] أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"، الخامس والخمسون وهو باب في برّ الوالدين، ٦/٢٠٦، (٧٩١٦).

[2] أخرجه البخاري عن علي رضي الله عنه في "صحيحه"، كتاب الحج، باب حرم المدينة، ١/٦١٦، (١٨٧٠).

كالبُيوتِ فيها الْحَيّاتُ تُرَى من خارِجِ بطونهم، فقلتُ: مَن هؤلاءِ يا جبرائيلُ ! قال: هؤلاء أَكَلَةُ الرِّبا»[1].

عن عبد الله بن حَنظَلَةَ غَسيلِ الملائكةِ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «درهمُ رِبًا يأكُلُه الرجلُ، وهو يَعلَم، أشَدُّ من ستٍّ وثلاثين زَنْيَةً»[2].

عن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لا يَكسِب عبدٌ مالاً من حرامٍ فيُنفِقَ منه فيُبارَكَ له فيه، ولا يَتصَدَّقُ به فيُقبَلَ منه ولا يَترُكُ خَلفَ ظَهرِه إلاّ كان زادَه إلى النار»[3].

فنَسألُ الله عزّ وجلّ أن يَرزُقنا الإحسان في أعمالنا كلِّها وأن يوفِّقنا لاتِّباع السُّنَنِ النّبَوِيَّة، وأن يُكرِمنا بحُسنِ الْخَلق وأن يُباعِد بيننا وبين المعاصي وأسبابِها كما باعَد بين المشرِق والمغرِب.

---

[1] ذكره ابن ماجه في "سننه"، كتاب التجارات، باب: التغليظ في الربا، ٣/٧١، (٢٢٧٣)، والخطيب التبريزي في "مشكاة المصابيح"، كتاب البيوع، باب الربا، الفصل الثالث، ١/٥٢٤، (٢٨٢٨).

[2] "سنن الدار قطني"، كتاب البيوع، ٣/٤٠٣، (٢٨٤٣).

[3] أخرجه الإمام أحمد في "المسند"، ٢/٣٣، (٣٦٧٢).

أيّها المسلمون: يجب علينا أن نَكُفَّ أنفسنا عن الحرام وتقليدِ الكُفّارِ في عاداتِهم وزِيِّهم، وأن نَحمِلَ أنفسنا على التّوبة إلى الله من جميعِ الذّنوب والمعاصي، وأن نأمُرَ بالمعروف ونَنهَى عن المنكرِ، فَليَكُن شِعارُنا: علَيَّ مُحاولةُ إصلاحِ نفسي وجميعِ أُناسِ العالَم. ومع هذا يَنبغي الالتزامُ بهذه الأعمالِ الدِّينِيَّة: [١] الالتزامُ بأداءِ الصّلواتِ الخمسة مع الجماعة في المسجد ومُحاولةُ أخذ واحدٍ على الأقلِّ إلى المسجد. [٢] والالتزامُ بصَرْفِ ساعَتَيْن كلَّ يومٍ في الأعمالِ الدِّينِيَّة لجمعيَّة "الدعوة الإسلامية". [٣] والالتزام بالدّعوة إلى الخيرِ. [٤] والالتزامُ بحُضورِ الاجتماعِ الأُسبوعِيِّ. [٥] والالتزامُ بِمَلْءِ كُتيبةِ "الجوائز المدنيَّة" كلَّ يومٍ، وتقديمها إلى المسؤولِ قبلَ مُضِيِّ العشر الأوّل من كلِّ شهرٍ. [٦] والالتزامُ بالسَّفَرِ في سبيلِ الله مع قوافلِ الدُّعاةِ لِسَنَةٍ كاملةٍ في الحياةِ، وثلاثينَ يومًا في كلِّ سَنَةٍ، وثلاثةِ أيّامٍ في كلِّ شهرٍ.

وأسأل الله تعالى أن ينفعني وإياكم بما نقول ونعمل، ونستغفر الله من الخطأ والزلَلِ ، وصلّى الله على نبينا محمّد وسلم تسليمًا كثيرًا .

موت أبي جهل

لفضيلة الشيخ الداعية الكبير أبي بلال محمد إلياس العطار
القادري الرضوي حفظه الله تعالى

تعريب
مجلس التراجم

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّد الأنبياءِ والمرسلينَ وعلى آله وصحبه والتّابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدّين، **أمّا بعدُ:**

فقد رُوِيَ عن سفيانَ بنِ عيينةَ قال: كان لي أخٌ مُؤاخٍ في الحديثِ فماتَ فرأَيتُه في النّومِ فقلتُ: ما فعَل الله بك؟ قال: غفَر لي، قلتُ: بماذا ؟ قال: كنتُ أكتُبُ الحديثَ فإذا جاء ذكْرُ النّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم كتَبْتُ صلّى الله عليه وسلّم أَبتَغي بذلك الثّوابَ، فغفَر لي بذلك[1].

صلّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمد

أيّها المسلمون: إذا كَتَب أحدُكم اسمَ النّبيِّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم فيَنبَغي أن يُصَلِّيَ عليه ولا يَستعمِلْ حرفَ (ص) أو (صَلْعَمْ) رَمزًا لكلمةِ (صلّى الله عليه وسلّم)، بل يَكتُب صلّى الله عليه وسلّم، كما قال العلامةُ الطّحطاويُّ رحمه الله

---

[1] ذكره السخاوي (ت ٩٠٢هـ) في "القول البديع"، الباب الخامس في الصلاة عليه صلّى الله عليه وسلّم في أوقات مخصوصة، صـ٤٦٣.

تعالى: يُكرَه الرَّمزُ بالصّلاة والتّرَضِّي بالكتابةِ، بل يُكتَبُ ذلك كلُّه بكمالِه[1].

عن عبد الرحمنِ بنِ عوفٍ رضي الله تعالى عنه قال: إنّي لَواقِفٌ في الصَّفِّ يومَ بدرٍ فنظَرتُ عن يميني وعن شِمالي فإذا أنا بين غلامينِ من الأنصارِ حديثةٍ أسنانُهما فتمَنَّيتُ أن أكونَ بين أَضْلَعَ منهما فَغَمَزَني أحدُهما سِرًّا من صاحبه فقال: يا عَمِّ هل تَعرِفُ أبا جهلٍ؟ قلتُ: نعم. وما حاجتُك إليه؟ يا ابنَ أخي قال: أُخبِرتُ أنّه يَسُبُّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم، وَالّذي نفسي بيده لَئِن رأَيتُه لا يُفارِقُ سَوادي سَوادَه حتّى يَموتَ الأعجَلُ منّا، قال: وغَمَزَني الآخرُ سِرًّا من صاحبه فقال مثلَها، فتعجَّبتُ لذلك قال: فلَم أَنشَبْ أن نَظَرتُ إلى أبي جهلٍ يَجولُ في النّاسِ وهو يَرتَجِزُ:

ما تَنقِمُ الحربُ العَوانُ منِّي
بازِلُ عامَينِ حَديثٌ سِنِّي
لِمثلِ هذا وَلَدَتْنِي أُمّي

[1] "حاشية الطحطاوي" على "الدر المختار"، ٦/١.

فقلتُ: ألا تَرَيان ؟ هذا صاحبُكما الَّذي تَسألان عنه فَابتَدَراهُ بسَيفَيْهما فَضرَباهُ حتّى بَرَدَ وانصرَفا إلى رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فأَخبَراه فقال: «أيُّكما قَتَلَه ؟» فقال كلٌّ واحدٍ منهما: أنا قَتَلتُه، قال: «مَسَحْتُما سَيْفَيكما» قالا: لا! فنَظَرَ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم إلى السَّيفَيْنِ، فقال: «كِلاكُما قَتَلَه»[1].

أيّها المسلمون: إنّ فرعونَ هذه الأمّةِ أبو جهلٍ وهو كان قائدَ قريشٍ وعدوًّا للهِ ورسوله فقد كان قتَله غلامان وكان اسمُ أحدهما مُعاذٌ والآخَرُ مُعَوِّذٌ رضي الله عنهما ومُلِئَتْ نفسُهما بالإيمان وبمحبَّة الله ورسوله صلّى الله عليه وسلّم. قال مُعاذٌ رضي الله عنه: سَمِعتُ القومَ وأبو جهلٍ في مثلِ الْحَرَجَةِ وهم يقولون: أبو الْحَكَمِ لا يُخلَصُ إليه، قال: فلما سَمِعتُها جَعَلتُه من شَأْني فصَمَدْتُ نَحوَهُ فلمّا أَمكَنَني حَمَلْتُ عليه ، فَضَرَبتُه ضَرْبَةً أَطَنَّتْ قدَمَه بنصفِ ساقه ، فوالله ما شَبَّهتُها حينَ طاحَت إلاّ بالنَّواةِ تَطيحُ من تحتِ مِرضَخَةِ النَّوَى حين يُضرَبُ بها قال:

---

[1] أخرجه البخاري في "صحيحه"، ٣٥٦/٢، (٣١٤١)، ومسلم في "صحيحه"، صـ٩٦٢، ومحمد بن يوسف الشامي في"سبل الهدى والرشاد"، ٥٠/٤.

وضرَبني ابنُه عِكرِمَةُ [وأسلَم بعد ذلك] على عاتِقي فطَرَحَ يدي فتَعَلَّقَتْ بجِلدَةٍ من جَنبي وأَجهَضَني القتالُ عنهُ فلقد قاتَلتُ عامَّةَ يَومي وإنّي لأَسْحَبُها خَلفي فلمّا آذَتْني وَضَعتُ عليها قدمي ثُمّ تَمَطَّيْتُ بها عليها حتّى طَرَحتُها. قال القاضي أبو الفضل عياضُ بنُ موسى: وزاد ابن وهبٍ في روايته: فجاء يَحمِل يده فبصَق عليها رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فلَصِقَت قال ابن إسحاقَ: ثُمّ عَاش بعد ذلك حتّى كان زَمَن عثمانَ رضي الله عنه[1].

أيّها المسلمون: أرأَيتم أنَّه كيف كان يَبذُل جُهده وقدرتَه في العبادة والطّاعة، ويَستفرِغ طاقته وقُوَّته في إعلاء كلمة الحقِّ، ويَتحَمَّل فيه الْمَشقَّة، ولم يكن يَستشعِر الخوفَ، مع أنّه قُطِعت يده، وأصابته طَعْنَةٌ في سبيل الله، ثُمَّ بعد ذلك كان أشَدَّ صبرًا على مَضَض الأَلَمِ، وحالُنا هذا نحن نَستشعِر الخوف العظيم ونَدهَشُ عن إدراك الأَلَمِ، ولا نَصبِرُ، ولا نُطِيقُ القرارَ من شِدّةِ الأَلَم، فيَنبغي ويتأكّد علينا أن نَسلُك طريق الصّحابةِ وأن نُسافِر في سبيل الله، وأن نَصبِر على الألم الّذي

---

[1] "الاستيعاب في معرفة الأصحاب"، ٣/٤٦٤، و"سبل الهدى والرشاد"، ٤/٥٠، و"السيرة النبوية"، ٢/٥٦٠، و"فتح الباري"، ٨/٢٥٢-٢٥٣.

ينالُنا في العبادة والطّاعة حتّى لا نَجِدَ في أنفسنا حَرَجًا. وفي "سُبُل الهدى والرشاد": ثُمَّ مَرَّ بأبي جهلٍ -وهو عقيرٌ- معوِّذ ابنُ عفراءَ، فضرَبه حتّى أَثبَتَهُ وبه رَمَقٌ . وقاتل معوِّذٌ حتّى قُتِل، ثمَّ مَرَّ عبد الله بن مسعودٍ بأبي جهل حين أمَر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يُلتَمَسَ في القَتْلَى، وقال عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه: فأَتَيتُه فوَجَدتُه بآخِرِ رَمَقٍ فعرَفتُه وكان مُقَنَّعًا بالحديد، واضِعًا سيفَه على فَخِذَيه، ليس به جُرْحٌ، ولا يستطيع أن يُحَرِّك منه عُضوًا وهو مُنكَبٌّ يَنظُر إلى الأرض، فوَضَعتُ رِجلي على عُنُقه، وقال لي: لَقد ارتَقَيتَ مُرتَقًى صَعبًا يا رُوَيعِيَ الغَنَمِ[1].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: معي سيفٌ رَثٌّ، ومعه سيفٌ جيِّدٌ فجعلت أنقُف رأسه بسيفي، وأَذكُر نَقفًا كان يَنقُف رأسي بمكّة حتّى ضَعُفَت يدُه فأخَذتُ سيفه فرَفَعَ رأسه فقال: لِمَن الدّائرة ؟ قلتُ: لله ورسوله فأَخذتُ بلحيته، وقلتُ: الحمد لله الّذي أخْزاك يا عدُوَّ الله، فرفَعتُ سابِغَةَ

---

[1] "سبل الهدى والرشاد"، غزوة بدر الكبرى، ٤/٥١، و"السيرة النبوية" لابن هشام، الجزء الثاني، صـ٥٦٠-٥٦١، ملتقطاً.

البَيضَةِ عن قَفاهُ، فضربتُه فوقَع رأسُه بين يديه، ثُمَّ سَلَبتُه، ثُمَّ حَزَزتُ رأسَه، ثُمَّ جِئت رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم فقلت: يا رسول الله ! هذا رأسُ عدوِّ الله أبي جهل، فقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «الحمد لله الّذي أَعَزَّ الإسلام وأهلَه» ثلاثَ مَرَّات، وخَرَّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ساجدًا، وقال: «إنّ لكلِّ أمّة فرعونًا وإنّ فرعونَ هذه الأمّة أبو جهل»[1].

وروي أنّه قال أبو جهلٍ -لَعَنه الله تعالى- لابن مسعود: أَخبِر صاحبك محمّدًا أنّه أبغض الْخَلقِ إليَّ في الحياة وفي الممات، فأخبر النّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم بما قاله أبو جهلٍ فقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «فرعوني أشَدُّ من فرعونِ موسى ؛ لأنّه قال عند موته: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ [يونس: ١٠/٩٠]. وهذا ازْداد عُتُوًّا عند موته[2].

أيّها المسلمون: من عجائب القدرة الإلهيَّة أنّ أبا جهل فقد ضرَبه كثيرٌ من الْمُقاتِلين المجاهدين بسيفهم، ولكنّه لم

---

[1] "سُبل الهدى والرشاد" للإمام محمد بن يوسف، ٤/٥١-٥٢، ملتقطاً.

[2] "التفسير الكبير"، ١١/٢٢٥، و"نزهة المجالس"، ٢/١٥٦، ملتقطاً.

يَمُت، ثُمَّ بعد ذلك شَدَّ عليه غلامان من الأنصار، وبلَغا به بضربهما إيّاهُ بسيفيهما مَنزِلَةَ المقتول حتّى لم يَبقَ به إلاّ مثلُ حَرَكَة المذبوحِ، وفي تلك الحالة لَقِيَهُ ابن مسعودٍ فوَجده مصروعًا بينه وبين المعركةِ غيرَ كثيرٍ مُتقنِّعًا في الحديد واضعًا سيفَه على فخذه لا يَتحرَّك منه عُضوٌ، فضربَ عُنُقَه[1].

والسّبب في ذلك أنّ ابنَ مسعود رضي الله تعالى عنه لَمَّا أجاب إلى الإسلام كان أبو جهل ضَبَث به وآذاه ولَكَزه، فلذا جعَل ابنُ مسعود رِجلَه على عنقه وتَناول قائمَ سيفه فَاستَلّه وهو مُنكَبٌّ لا يَتحرَّك فرفَع سابِغَةَ البَيضَة عن قَفاه فضرَبه فوقَع رأسُه بين يديه ثُمَّ سلَبه، ثُمَّ حزَز رأسَه ثُمَّ جاء به رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأَلقَى رأسه بين يديه[2].

أيّها المسلمون: إنّ أبا جهل قد قُتِل في غزوة بدر الكبرى، وكانت وَقْعَةُ بدر الكبرى في السَّنَة الثّانية في شهر رمضان في سابعَ عشَرة، وكان عدَّةُ أصحاب النّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم يوم بدر ثلاثَ مئةٍ وثلاثةَ عشَر رجلاً، ولم يكن

---

[1] انظر "فتح الباري"، كتاب المغازي، ٨/٢٥٣.

[2] انظر "سبل الهدى والرشاد"، ٤/٥١، و"السيرة النبوية" لابن هشام، ٢/٥٦١.

فيهم غيرُ فارسَين وكانت الإبلُ سبعين بعيرًا فكانوا يَتعاقبون عليها[1]، وكانت معهم السُّيوف والرِّماحُ الرَّديئَةُ، ومُلِئَت نُفوسُهم بالإيمان ومَحبَّته، فكانوا لا يَتوسّلون إلى غَرَضهم إلاّ بالثِّقة بالله والتَّوَكّلِ عليه والاستغاثةِ به.

وكان عدَّة المشركين تسعَ مئةٍ وخمسين رجلاً وكانت خَيلُهم مئةَ فرَسٍ وكان معهم سبع مئةِ بعيرٍ[2]. وكانوا يَنحَرون الْجُزُر ويطعمون الطّعام ويسقُون الخمر ومع ذلك أنّ أصحاب النّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم غلَبت عليهم السَّكينة والطَّمأنينة في القلوب وزاد خُلوصُهم مع الابتلاءِ وبذَلوا الجهود البارِزةَ في جهاد أعداء الإسلام من غير مُبالاةٍ بسلاحٍ وآلات الحربِ وعدَّة المشركين ولم يكن يَزيدهم ذلك إلاّ إيمانًا وتسليمًا ومُضيًّا على اللَّقَمِ وصبرًا على مَضَض الأَلَم.

أيّها المسلمون: العزم على الحرب وبذلُ الجهود في إظهار الحقِّ وإزهاق الباطل والحرصُ العظيمُ على الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى وتقويضِ صرحِ الشِّرك والجرأةُ

---

[1] انظر "الكامل في التأريخ"، ذكر غزوة بدر الكبرى، ٢/١٤و١٦.

[2] انظر "الكامل في التأريخ"، ذكر غزوة بدر الكبرى، ٢/١٦.

والشُّجاعةُ إنّما هي من ثَمَرات دعاء النّبيِّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم، كما رُوِي عن عليٍّ رضي الله تعالى عنه قال: ما كان فينا فارِسٌ يومَ بدرٍ غيرُ المقداد على فرسٍ أبلقَ ولقد رأيتُنا وما فينا إلاّ نائمٌ إلاّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تحت سَمُرةٍ يُصلّي ويَبكي حتّى أصبح[1].

قال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: لَمَّا كان يوم بدرٍ نظَر رسول الله صلّى الله عليه وسلّم إلى المشركين وهم ألفٌ وأصحابه ثلاثُ مئة وتسعةَ عشَر رجلاً فاستَقبل نبيُّ الله صلّى الله عليه وسلَّم القبلة ثُمَّ مدَّ يديه فجعَل يَهتِف بربّه: «اللّهمّ أَنجِز لي ما وعَدتَني اللّهمّ آتِ ما وعَدتَني اللّهمّ إن تُهلِك هذه العِصابةَ من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض» فما زال يَهتِفُ بربّه مادًّا يديه مُستقبِل القبلة حتّى سقَط رِداؤُه عن مَنكِبيه فأتاه أبو بكرٍ فأخذَ رداءَه فألْقاه على مَنكِبيه ثُمَّ التزمه من ورائِه وقال: يا نبيَّ الله ! كَفاك مُناشَدَتُك ربَّك فإنّه سَيُنجِزُ لك ما وعَدك فأَنزل الله عزّ وجلّ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ

[1] ذكره البيهقي في "دلائل النبوة"، باب ما جاء في دعاء النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم على المشركين... إلخ، ٤٩/٣.

أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩/٨]. فأَمدَّه الله بالملائكة[١]. ورُوي عن ابن عبّاسٍ رضي الله تعالى عنهما قال: بينما رجلٌ من المسلمين يومَئذ يَشتدّ في أثَرِ رجلٍ من المشركين أمامه إذ سمِع ضَرْبةً بالسَّوط فوقه وصوتَ الفارس يقول: أَقدِم حَيزوم[٢]. فنظَر إلى المشرك أمامه فخَرَّ مُستَلقِيًا فنظَر إليه فإذا هو قد خُطِم أنفُه وشُقَّ وَجهه كضَربة السّوطِ فاخضَرَّ ذلك أَجمعُ فجاء الأنصارِيُّ فحدَّث بذلك رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فقال: «صدَقتَ ذلك من مَدَد السّماء الثّالثة فقَتَلوا يومئذ سبعين وأَسَروا سبعين»[٣].

عن أبي داودَ المازنِيِّ رضي الله عنه وكان شَهِدَ بدرًا، قال: إنّي لأَتبَع رجلاً من المشركين ؛ لأضرِبه إذ وقَع رأسه قبل أن يصِل إليه سيفي، فعرفتُ أنّه قد قتله غيري[٤].

---

[١] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم، صـ٩٦٩، (١٧٦٣).

[٢] فرس جبريل عليه السلام ("البحر المحيط" لأبي حيان الأندلسي، ٢٥٠/٦).

[٣] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب الجهاد والسير، صـ٩٦٩، (١٧٦٣).

[٤] "المسند" للإمام أحمد بن حنبل، حديث أبي داود المازني، ٢٠٢/٩، (٢٣٨٣٩)، و"مجمع الزوائد"، ١١١/٦، (٩٩٩١)، وانظر "الكامل في التأريخ"، ٢٦/٢، و"دلائل النبوّة" للبيهقي، ٥٦/٣، و"البداية والنهاية"، ٣٧/٣.

وحدَّث أبو أمامة بنُ سهلٍ قال: قال لي أبي: يا بنيَّ! لو رأَيتَنا يوم بدرٍ وإنَّ أحدنا يُشيرُ بسيفه إلى رأس المشرك فيَقَع رأسُه عن جسده قبل أن يَصِل إليه[1]. وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «الدّعاء سلاحُ المؤمن»[2]. فيجِبُ على كلِّ مؤمنٍ أن لا يَتوسّلَ إلى غَرَضه إلاّ بالتّوكُّل على الله والدّعاء.

عن سعد بنِ أبي وقّاصٍ رضي الله عنه قال: رأيتُ أخي عمير بنَ أبي وقّاصٍ قبلَ أن يَعرِضنا رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يومَ بدرٍ يَتوارى فقلتُ: ما لك يا أخي؟ قال: إنّي أخاف أن يَراني رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ويَستصغرَني فيرُدّني وأنا أُحِبُّ الخروج لعلَّ الله أن يَرزُقني الشهادة. قال: فعُرِضَ على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فاستصغره فرَدَّه فبكَى فأجازه فكان سعد يقول: كنت أَعقِد له حَمائِل سيفه من صغَرِه فقُتِل وهو ابنُ ستَّ عشرة سَنَةً[3].

---

[1] "المستدرك" للحاكم، ٥٠٥/٤، (٥٧٩٠)، و"دلائل النبوّة" للبيهقي، ٥٦/٣، وانظر "الدر المنثور"، ٣٣/٤، و"الكامل في التاريخ"، ٢٦/٢.

[2] "المستدرك"، ١٦٢/٢، (١٨٥٥)، و"مسند أبي يعلى"، ٢١٥/١، (٤٣٥).

[3] "الإصابة في تمييز الصحابة"، ٦٠٣/٤، و"صفة الصفوة"، ٢٠٧/١.

أيّها المسلمون: أرأيتم أنَّ الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا يَرغَبون إلى الشهادة في سبيل الله تعالى ويَحرِصون عليها ويَتعرَّضون لها ويَتحمَّلون المشقَّة والذُّلَّ في طلَب الآخرة وليس لهم مَقصدٌ سواها، وكان اليوم حالُنا هذا إنّما نحن نَحرِص على حُصول الدّنيا لشدَّة الرّغبة فيها ونَتفكَّر فيها ونَتحمَّل المشقَّة والذُّلَّ في طلب الدنيا، ولا نَستعدُّ للآخرة.

اللّهمّ ارزُقْنا شهادةً في سبيلك واغفرْ لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين برحمتك يا أرحم الراحمين وصلَّى الله وسلَّم على نبيِّنا محمّد وآله وصحبه أجمعين.

صَفْقَةُ قَصْرِ الجَنَّة

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الدَّاعِيَةِ الكَبِيرِ أَبِي بِلَالٍ مُحَمَّدٍ إِلْيَاسَ العَطَّارِ
القَادِرِيِّ الرَّضَوِيِّ حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

تعريب
مجلس التراجم

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمّد خاتم الأنبياء وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه الطّيّبين الطّاهرين والتّابعين لهم بإحسان إلى يوم الدّين، **أمّا بعد:**

فقد قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «ما من عبدين مُتحابَّين في الله يَستقبِل أحدُهما صاحبه فيصافحه ويُصلِّيان على النّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم إلاّ لم يَفترقا حتّى تُغفَر ذنوبهما ما تقدَّم منها وما تأخَّر»[1].

صلّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمد

عن جعفر بنِ سليمانَ رحمه الله تعالى قال: مَرَرتُ أنا ومالك بنُ دينارٍ رضي الله تعالى عنه بالبصرة فبينما نحن نَدُور فيها مَرَرنا بقصرٍ يُعمَرُ، وإذا شابٌّ جالسٌ ما رأيتُ أحسن وجهًا منه، وإذا هو يأمُر ببناء القصر ويقول: افعَلوا واصنَعوا، فقال لي مالكٌ: أما تَرى إلى هذا الشابِّ وحُسنِ وجهِه وحرصه على هذا البناء، ما أحوجني إلى أن أسأل ربّي أن يُخلِصه، فلعلَّه

[1] "مسند أبي يعلى"، مسند أنس بن مالك، ٣/٩٥، (٢٩٥١).

يَجعَله من شباب أهل الجنَّة، يا جعفر ! اُدخُل بنا إليه، قال جعفر: فدخلنا إليه فسلّمنا عليه، فرَدَّ السّلام ولم يعرِف مالكًا، فلمَّا عرَفه قام إليه، فقال: ألك حاجةٌ ؟ فقال: كم نَوَيتَ أن تُنفِق على هذا القصرِ ؟ قال: مئة ألف درهمٍ، فقال: ألا تُعطيني هذا المال فأَضَعه في حقِّه، وأَضمَن لك على الله عزّ وجلّ قَصرًا في الجنّة خيرًا من هذا القصر بولِدانه وخَدَمه وقُبَبه وخيَمه من ياقوتة حَمراءَ مُرصَّعة بالجواهر، تُرابه الزعفران، وملاطه المِسك أفيحُ من قصرك هذا، لا يَخرَب أبدًا، ولم تَمَسَّه يدٌ، ولم يَبْنِه بانٍ، بل قال له الجليل سبحانه: "كن" فكان، قال: فأَجِّلني اللَّيلةَ وبَكِّر عليَّ غدًا، فقال: نعم، قال جعفرٌ: فبات مالكٌ وهو يُفكِّر في ذلك الشابِّ، فلمَّا كان وقتُ السَّحَر دعا فأكثر من الدّعاء، فلمّا أصبحنا غَدَوْنا فإذا بالشابِّ جالِس على باب قصره، فلمَّا عايَن مالكًا هَشَّ إليه، ثُمَّ قال: ما تقول فيما قلتَ بالأمسِ ؟ قال: تَفعَل ؟ قال: نعم، فأَحضر البِدَرَ، ودعا بِدَواةٍ وقرطاسٍ ثُمَّ كَتَب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما ضمِن مالكُ بن دينارٍ لفلان بنِ فلانٍ: إنّي قد ضَمِنتُ لك على الله تعالى قصرًا بَدلَ قصرِك بصفته كما وَصَفتُ، والزّيادةُ على

الله تعالى، واشتريتُ لك بهذا المال قصرًا في الجنّة، أفيَحَ من قصرِك هذا، في ظلٍّ ظليلٍ بقرب العزيز الجليلِ، ثُمَّ طَوَى الكتاب ودَفَعَه إلى الشابِّ، وحَمَلنا المال، فما أمسى مالكٌ حتّى ما بَقِي مقدار قُوتِ ليلةٍ، وما أَتَى على الشابِّ أربعون يومًا حتّى وجَد مالكٌ رضي الله عنه كتابًا موضُوعًا في المحراب عندما انفتَل من صلاة الغداة، فأخذه ونَشَرهُ فإذا في ظهرِه مكتوبٌ بلا مِدادٍ: هذه بَراءةٌ من الله العزيز الحكيمِ لمالك بنِ دينارٍ، وَفَّينا الشابَّ القصرَ الذي ضمِنتَ له وزيادةً سبعينَ ضعفًا، قال: فبَقِي مالكٌ رضي الله تعالى عنه مُتعجِّبًا وأخَذ الكتاب، فقُمنا فذَهَبنا إلى منزلِ الشابِّ فإذا البابُ مُسوَّدٌ والبكاءُ في الدّار، فقلنا: ما فعَل الشابُّ ؟ قالوا: مات بالأمسِ، فأحضَرنا الغاسل فقلنا له: ما فعلتَ أنت غسَلته ؟ قال: نعم، قال مالكٌ: فحدِّثنا كيف صَنَعتَ ؟ قال: قال لي قبلَ الموتِ: إذا أنا مِتُّ وغسلتَني وكفَّنتَني اجعل هذا الكتاب بين كَفَني وبَدَني، فجعلتُ الكتاب بين كفنه وبدنه، ودَفَنتُه معه، فأخرج مالكٌ الكتاب، فقال الغاسِل: هذا الكتاب بعينه والذي قَبَضه، لقد جعَلتُه بين كفنه وبدنه بيديَّ، قال: فكَثُر البكاءُ، فقام شابٌّ

فقال: يا مالك ! خُذ منّي مئتَي ألفِ درهمٍ وَاضمَن لي مثل هـذا، قال: هَيْهاتَ ! كان ما كان وفات ما فـات والله يفعـل مـا يـشاء ويحكُم ما يريد، قال: فكان مالكٌ كلّما ذكَر الشابَّ بكى ودعـا له[1]. رحِمَهُم الله تعالى وغَفَرَلنا بِهِم.

أيّهـا المـسلمون: اعلمـوا أنّ لأوليـاءِ الله تعـالى نُعوتًـا ظاهرةً وأعلامًا شاهرةً وكـان لهـم شـأنٌ عظيـمٌ وهـم يَتـصرَّفون بإذن الله تعالى كيف يَـشاءون قـال سيّدنا رسـول الله صـلّى الله عليه وسلّم: «إنّ يسير الرّياء شركٌ، ومن عادى لله وليّا فقد بارَزَ الله بالمحاربة، إنّ الله يُحِبُّ الأبـرار الأتقيـاء الأخفيـاء الـذين إذا غابوا لم يُتفقَّـدوا، وإن حـضَروا لم يُـدعَوا ولـم يُعرَفـوا، قلـوبهم مصابيحُ الْهُدَى يَخرُجون من كلِّ غَبرَاءَ مُظلِمةٍ»[2].

أيّها المسلمون: ليس لِلسُّمعة والرّياء والـشُّهرة عنـد الله قـدرٌ ولا منزلـةٌ، فـالمقبول عنـده هـم الْمُخلـصون الـذين إن استأذنوا على الأُمراءِ لم يُـؤذَن لهـم، وإن خَطَبـوا الْمُتنعِّمـات لم يُنكَحـوا، وإن غـابوا لم يُفتقَـدوا، وإن حـضروا لم يُـدعَوا، وإن

---

[1] "روض الرياحين"، صـ٥٨-٥٩.

[2] "مشكاة المصابيح"، كتاب الرقاق، ٢٦٩/٢، (٥٣٢٨).

طلَعوا لم يُفرَح بطَلْعَتهم، وإن مرِضوا لم يُعاوَدوا، وإن ماتوا لم يُشهَدوا، ولم يُبكَ عليهم، فينبغي ويتأكّد علينا: أن نَتأدّب معهم، وأن نَحترِز من الوُقوع في أعراضِهم ؛ لأنّ الرجل قد يَنطِقُ بكلمة من سُخطِ الله تعالى لا يُلقي لها بالاً يَسقُط بها في مَهاوِي هتك العِرض، ومن لا يقدِر أن يكون من أولياء الله فليكن مُحِبًّا لأوليائِه مؤمنًا بهم فعسى أن يُحشَر مع مَن أحبَّ.

وقد حُكي عن بعض الصالحين أنّه كان يمُرُّ بحانوت الحلَوانِيِّ فقَدَّم إليه الحليب، فذكَر اسم الله عليه وشرِبه، وقال بعد ذلك: الحمد لله، ثُمّ كان يمشي في الوحلِ مُحَرِّزًا عن زَلْقَة رجله حتّى زَلِقَت رِجلُه وأصاب الوحلُ امرأةً فاحشةً كانت جالسةً مع حبيبها خارج البيت، فقام حبيبُها ولَطَم وجهَه، فشكَر الله تعالى وقال: اللّهمّ إنّي رَضِيتُ برِضاك، ثُمَّ ذهَب بعد ذلك، وبعد لَحظَةٍ يسيرةٍ صَعِد حبيب المرأَةِ الفاحشة على السّقف وزَلِقَتْ قَدَمه وسَقَط من السقف على الأرض ومات، ثُمَّ عندما مرَّ ذلك الرجل الصالح ببيتِ المرأَةِ الفاحشة قال له قائلٌ: إنّ حبيب المرأَةِ مات بدعائك عليه، فقال: والله ما دعوتُ عليه، فسأله: إن لم تَدع عليه فلِمَ مات ؟ قال:

أصَاب الوحلُ بالغفلة صديقته فغضِب عليَّ، ولَطَمني، فسخِط الله عليه، وأسقطه من سقف البيت.

أيّها المسلمون: يَظْهَر شَأن الأولياء بالإعراض عن الدّنيا والتجَرُّد لله عزّ وجلّ، وكان هَمُّهم دائمًا في إصلاحِ المسلمين، وكانوا يَضجَرون من أجل بُعد الناس عن الدين وكانوا يَذكُرون الأحاديث في ذَمِّ الدنيا عسى أن يَلتفت الناس إلى الآخرة ويَفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة، وإليكم سبعةَ عشر حديثًا في ذمّ الدنيا:

[١] عن عمرَ بن الخطّابِ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «لو أنّكم كنتم تَوكَّلون على الله حَقَّ تَوكُّله لَرُزِقتم كما يُرزَق الطّير تَغدو خِماصًا وتَروحُ بِطانًا»[1].

قال الشّيخ أحمد يار خان رحمه الله تعالى: حقُّ التّوكُّل: أن تَعلَموا يقينًا أن لا فاعل في الوجود إلاّ الله، وقال بعض العلماء: حقُّ التوكُّل: أن يَكسِب العبدُ ولكن يَعتَمِد على الله

---

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الزهد، باب في التوكل على الله تعالى، ١٥٤/٤، (٢٣٥١).

تعالى، ويكون حالُه مع الله عزّ وجلّ، ومن التّجرِبة: أنّ الْمُتوكِّل على ربِّ العالَمين لا يموت جائعًا، ويشهَد لذلك تَشبيهُه بالطّيرِ، فإنّها تَغدو خِماصًا، ثُمَّ تَسرَح في طَلَب القُوت فتَروح بِطانًا، ويَصِل إلى الأشجارِ رزقُها من الماء والسَّماد بلا سعيٍ، وقد حُكِيَ أنّ فَرخ الغُراب عند خُروجه من بَيضَته يكون أبيَضَ، فيَكرَهه الغراب فيَترُكه ويَذهَب ويَبقَى الفرخ ضائعًا، فيُرسِل الله تعالى إليه الذباب والنّمل، فيَلتقِطهما إلى أن يَكبُر قليلاً ويَسودّ فيَرجِع إليه الغرابُ، فيَراه أسوَد فيَضُمُّه إلى نفسه فيَتعهَّده فهذا يَصِل إليه رزقُه بلا سعيٍ[1].

وقال سيّدنا الإمام أحمد رضا خان رحمه الله تعالى: إنّ معنى التّوكُّل أن يَترُك العبد الاعتماد على الأسباب لا أن يَترك الأسباب[2]. يعني: لا يَمنع التّوكّل عن الكسب ولا تُنافيه حَرَكَة الجوارح وهذا معنى التوكّل لا كما يظُنُّ الجهّال: أنّ معنى التوكّل: تَرْك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسُّقوط على الأرض كالخِرقَة الْمُلقاة أو كلحمٍ على وَضَمٍ.

---

[1] "مرآة المناجيح"، ١١٣/٧، و"مرقاة المفاتيح"، ١٥٧/٩-١٥٦.

[2] "الفتاوى الرضوية"، ٣٧٩/٢٤.

[٢] قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مَوضِع سوطٍ في الجنّة خيرٌ من الدنيا وما فيها»[١].

قال الشيخ عبد الحقِّ المحدِّث الدهلويُّ رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث: أي: أدنى مكانٍ وأقلُّه خيرٌ من الدنيا وما فيها، وخُصَّ السَّوطُ بالذكر ؛ لأنّ العادة جرتْ بإلقاء الراكب سوطَه في موضعٍ يُريدُ النُّزول فيه أوّلاً ؛ لئلاَّ يَسبِق إليه غيرُه، فالمرادُ بذكرِ السوط التمثيل فقط[٢].

وقال الشيخ أحمد يار خان رحمه الله تعالى: إنّ المراد بالسوط: القدرُ اليسيرُ من الجنَّة ؛ لأنّ الجنَّة مع نعيمها لا انقِضاء لها، والدنيا مع ما فيها فانيةٌ، وهذا في مَحلِّ سوطٍ فما الظنُّ بأعلى ما فيها ؟ ولا تَحصُل نعمُ الدنيا إلاّ بالمشَقَّة والعُسرِ، ونعيمُها حقيرةٌ، فالباقي والأعلى وإن قَلَّ خيرٌ من الفاني والأدنَى وإن كثُر، ولا نِسبة بينهما[٣].

---

[١] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب بدء الخلق، ٣٩٢/٢، (٣٢٥٠)، وابن ماجه في "سننه"، كتاب الزهد، باب صفة الجنة، ٥٣٤/٤، (٤٣٣٠)، والترمذي في "سننه"، كتاب التفسير، ١٤/٥، (٣٠٢٤).

[٢] "أشعة اللمعات"، ٤٣٣/٤.

[٣] "مرآة المناجيح"، ٤٧٧/٧.

[٣] عن عائشة رضي الله تعالى عنها عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «الدنيا دارُ من لا دار له، ومال من لا مال له ولها يَجمع من لا عقلَ له»[١].

[٤] عن عبد الله بنِ عمرَ رضي الله عنهما قال: أخذ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بمَنكِبي فقال: «كُن في الدنيا كأنّك غريب أو عابرُ سبيلٍ». وكان ابن عمرَ يقول: (إذا أمسيتَ فلا تَنتظرِ الصباح، وإذا أصبحتَ فلا تنتظر المساء، وخُذ من صحَّتك لمرضك ومن حياتك لموتك)[٢].

[٥] عن ثوبانَ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «يُوشِك الأُمَمُ أن تَداعَى عليكم كما تَداعى الأَكلة إلى قَصعتِها» فقال قائلٌ: ومن قلَّةٍ نحن يومئذ ؟ قال: «بل أنتم يومئذ كثيرٌ ولكنّكم غُثاءٌ كغثاء السّيلِ ولَيَنزعَنّ الله من صدور عدوِّكم الْمَهابَة منكم وليَقذِفنَّ الله في قلوبكم الوهن». فقال قائلٌ: يا رسول الله! وما الوهن ؟ قال: «حُبُّ الدنيا وكَراهِيَة الموتِ»[٣].

---

[١] "مشكاة المصابيح"، كتاب الرقاق، ٢/٢٥٠، (٥٢١١).

[٢] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الرقاق، باب قول النبي صلّى الله عليه وسلم: كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل، ٤/٢٢٣، (٦٤١٦).

[٣] أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب الملاحم، ٤/١٥٠، (٤٢٩٧).

وقال الشيخ أحمد يار خان النعيمي رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث: إنّ فِرَقَ الكفر وأمم الضَّلالة يَدعو بعضهم بعضًا إلى الاجتماع لـمُقاتلتكم وكَسرِ شَوكتِكم وسَلب ما مَلَكتموه من الدِّيار والأموال وقد حان هذا الوقت ؛ لأنَّ اليهود أعداءٌ للنَّصارى والنَّصارى أعداءٌ لليهود لكنَّهم اجتَمعوا اليومَ مع المشركين ويَدعو بعضهم بعضًا إلى قتال المسلمين وكَسرِ شَوكتهم ليَغلِبوا عليهم كما يَدعو أَكَلَةُ الطعامِ بعضهم بعضًا إلى قَصعَتها أي: التي يَتناولون منها بلا مانعٍ ولا مُنازعٍ فيأكُلون عَفوًا صَفوًا كذلك يأخُذون ما في أيدِي المسلمين بلا تَعَبٍ يَنالهم أو ضَرَرٍ يَلحَقهم أو بأسٍ يَمنعهم وليس ذلك التداعي والغلَبة لأجل قلّة بل أنتم يومئذ كثيرٌ عددًا ولكنَّكم غُثاءٌ كغثاء السَّيل ولَيُخرجنَّ الله من صدور عدوّكم المهابة منكم ولَيَرمينَّ الله تعالى في قلوبكم الوهنَ ومعنى الوهن: الضّعفُ أو الكسَل كما قال الله تبارك وتعالى في كتابه العظيم: ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ﴾ [لقمان: ١٤/٣١]. وقال جلّ شأنه في مقامٍ آخَر: ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي﴾ [مريم: ٤/١٩]. ووجه ذلك الوهن: حُبُّ الدنيا وكراهيةُ الموت ومَن جمعهما فلا يُمكنه

أن يَقضي الحياة الكريمة واعلموا أنّ حُبَّ الدنيا وكراهيةَ الموت مُتلازِمان فكأنّهما شيءٌ واحدٌ[1].

[٦] عن حذيفةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول في خُطبتِه: «الخمرُ جماعُ الإثمِ، والنِّساءُ حَبائِل الشيطان، وحُبُّ الدنيا رأسُ كلِّ خَطيئةٍ»[2].

[٧] عن سيّدنا مُستَوردٍ رضي الله تعالى عنه: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «والله ما الدنيا في الآخرة إلاّ مثل ما يَجعَل أحدكم إصبعه هذه» وأشار يحيى بالسَّبَّابة «في اليَمِّ فلينَظُر بِمَ تَرجِع ؟»[3]. قال الشيخ أحمد يار خان: إنّ الدنيا بالنسبة إلى ذاتِها قليلةٌ، وأمّا بالنسبة إلى الآخرة فلا قَدْرَ لها ولا خَطَرَ، وإنّما وقَع ذكرُها على سبيل التمثيل والتّقريب وإلاّ فلا نسبةَ بين الْمُتناهي وبين ما لا يَتناهَى، والحاصل: أنّ الدنيا كالماء الذي يَعلَق في الأُصْبُع من البحر، والآخرة كسائر البحر. واعلموا أنّ العاقِل لا يَشغُل عن ذكر الآخرة، ويُريد

---

[1] "مرآة المناجيح"، ٧/١٧٣-١٧٤.

[2] "مشكاة المصابيح"، كتاب الرقاق، ٢/٢٥٠، (٥٢١٢).

[3] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، صـ١٥٢٩، (٢٨٥٨).

حَرْث الآخرة في الدنيا، وأمّا الغافل فلا يَحملِه على العبادات والطّاعات إلاّ مُراءاةُ الناس، ولا يَخْلُو عمَل العاقل من الثواب، فإنّ أكله وشُربه ونَومه واستيقاظه وحياته ومَماته للآخرة ؛ لأنّه يُريد بها الامتثالَ لأَوامر الله واتِّباع السنَنِ، فمَن كانت حياتُه في الدنيا للآخرة فيكون سعيدًا[1].

[٨] عن جابر بن عبد الله أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مَرَّ بالسُّوق داخلاً من بعض العالية والناس كَنَفَيه فمرَّ بِجَدي أَسَكَّ ميِّت فتَناوله فأَخذ بأُذُنه ثُمَّ قال: «أيُّكم يُحبُّ أنّ هذا له بدرهمٍ» فقالوا: ما نُحبُّ أنّه لنا بشيءٍ وما نَصنَع به؟ قال: «أَتُحبّون أنّه لكم» قالوا: واللهِ لو كان حيًّا كان عيبًا فيه لأنَّه أَسَكُّ فكيف وهو ميّتٌ ؟ فقال: «فواللهِ لَلدّنيا أَهوَن على الله من هذا عليكم»[2]. قال الشيخُ أحمد يار خان: لا يُحبُّ أحدٌ أن يَشتَرِي جَديًا ميّتا بدرهمٍ، وما يَصنَع به ؟ لأنّ جِلدَه لا يُنْتفَع به ولحمه حرامٌ فكيف يُمكن شِراؤُه بشيءٍ ؟! قال الأصفياء: لا يَقدِر جميع الْمُرشِدين على أن يَهدوا عبدًا شاغِلاً

---

[1] "مرآة المناجيح"، ٣/٧.

[2] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب الزهد والرقائق، صـ١٥٨٢، (٢٩٥٧).

في الدنيا ؛ لأنّه لا يَعمَل إلاّ للدنيا ولا يَقدِر جميعُ الشياطين على أن يُضِلّوا مُتديِّنًا ؛ لأنّ عَمَله لا يكون إلاّ للآخرة[1].

[٩] عن سيّدنا سَهل بنِ سعدٍ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لو كانت الدنيا تَعدِل عند الله جَناحَ بعوضةٍ ما سَقَى كافرًا منها شَرْبَة ماءٍ»[2].

[١٠] عن سيّدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «إنّ الله تعالى يقول: يا ابنَ آدم! تَفَرَّغْ لعبادتي أَملأ صدرَك غنًى وأَسُدَّ فقرك وإن لا تَفعَل مَلأتُ يديك شُغلاً ولم أَسُدَّ فقرك»[3].

[١١] عن أبي موسى الأشعرِي رضي الله عنه أنّ النّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «من أحَبّ دنياه أضَرَّ بآخرته، ومَن أحَبّ آخرته أَضَرَّ بدنياه، فآثِروا ما يَبقَى على ما يَفنَى»[4].

---

[1] "مرآة المناجيح"، ٣/٧.

[2] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الزهد، باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عزَّ وجلَّ، ١٤٣/٤، (٢٣٢٧).

[3] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ٢١١/٤، (٢٤٧٤)، وابن ماجه في "سننه"، كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا، ٤٢٥/٤، (٤١٠٧)، والحاكم في "المستدرك على الصحيحين"، ٤٦٤/٥، (٧٩٩٦).

[4] أخرجه الحاكم في "المستدرك"، ٤٥٤/٥، (٧٩٦٧).

[١٢] عن عُبيد الله بنِ مِحصنٍ الخطمِيِّ قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من أصبح منكم آمنًا في سِربِه، مُعافًى في جَسَده عنده قُوتُ يومه فكأنّما حِيْزَتْ له الدنيا»[١].

[١٣] عن سيّدنا أبي هريرة رضي الله عنه يقول: سمِعتُ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يقول: «ألا إنّ الدنيا مَلعُونةٌ، مَلعونٌ ما فيها إلاّ ذكرُ الله وما والاه، وعالِمٌ، أو مُتعلِّمٌ»[٢].

[١٤] عن سيّدنا محمود بنِ لبيد رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «إنّ الله عزّ وجلّ يَحمي عَبدَه الدنيا وهو يُحبّه كما تَحْمون مَرضاكم الطّعامَ والشَّرابَ تَخوُّفًا له عليه»[٣].

[١٥] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «لُعِنَ عبد الدّينار، لُعِنَ عبدُ الدّرهم»[٤].

---

[١] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الزهد، ١٥٤/٤، (٢٣٥٣).

[٢] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الزهد، ١٤٤/٤، (٢٣٢٩)، وابن ماجه في "سننه"، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، ٤٢٨/٤، (٤١١٢).

[٣] أخرجه الإمام أحمد في "مسنده"، حديث محمود بن لبيد، ١٦٠/٩، (٢٣٦٩٤). والبيهقي في "شعب الإيمان"، ٣٢١/٧، (١٠٤٥٠).

[٤] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الزهد، باب ما جاء في أخذ المال بحقه، ١٦٦/٤، (٢٣٨٢).

[١٦] عن سيّدنا كعب بنِ مالكٍ الأنصاريِّ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «ما ذِئْبانِ جائِعانِ أُرسِلا في غَنَمٍ بأَفسَدَ لها من حرص المرء على المال والشَّرَفِ لدينه»[١].

[١٧] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «الدنيا سِجنُ المؤمنِ وجنّةُ الكافر»[٢].

أيّها المسلمون: أرأيتم أنّ سيّدنا مالك بنَ دينارٍ كيف كان رَغَّب الشابَّ الْمُشتغِل ببناء القصر بالدّعوة الفرديَّة[٣] فيما سَبَقَ من القصَّة وكيف اشتَرَى له بالمال قصرًا في الجنَّة؟ وكان رسول الله وجميعُ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يَدعون إلى الخير بالدّعوة الفرديَّة، وقد كان للدّعوة الفرديَّة أثرٌ بارِزٌ في نَشر الأعمال الدينيَّة، فإنّ الدّعوة الفرديَّةَ كثيرة الفائدةِ والنفعِ وقَوِيَّةُ الأَثَر وأشدُّ تأثيرًا من الدعوة الاجتماعيَّة، لكنّ الكثير من

---

[١] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الفتن، ١٦٦/٤، (٢٣٨٣).

[٢] "صحيح مسلم"، كتاب الزهد والرقائق، صـ١٥٨٢، (٢٩٥٦).

[٣] أي: الدعوة إلى الله عزّ وجلّ تنقسم بالنسبة إلى المدعو إلى قسمين، الأوّل: الدعوة الفردية أي: دعوة الناس منفردين فالفردية هنا من حيث المدعو. والثاني: الدعوة الاجتماعية أي: دعوة الناس مجتمعين من خلال الدروس والمحاضرات.

الناس يَجهَلون أهميَّتها، وذلك ظَنًّا منهم أنّ الدّعوة يَنبغي أن تكون للناس عامّةً وذلك بإلقاء المواعظ والْمُحاضرات والدُّروس، والحقيقة أنّ هذا لا يَكفِي؛ لأنّ بعض النَّاسِ يَحْضُر الاجتماعات ويَسمَع الدروس والمحاضرات، ويَعزِم النيَّة على أن يَعمَلَ الصالحات ولكن همَّته قد تَضعُف فلمّا يَحُثُّه أحدٌ على عمل الصالحات بالدَّعْوَةِ الْفَرديَّة يَفوزُ بسعادة العمل. واعلموا أنّ بالدعوة الفرديَّة يُمكن إيصالُ الحقِّ إلى الذين نَفَروا عن السَّماعِ وعن الْمُجالسة وهذا النوعُ من أَنواعِ الدعوة طريقةٌ سريعةٌ لكسب أكبرِ عَدَدٍ من أنصار الدينِ ويُمكنُ أن يقوم بها كلُّ أحدٍ؛ لأنّها لا تَحتاجُ إلى علمٍ كثيرٍ ولسانٍ فصيحٍ فَادعوا إلى الخير بالدَّعوة الفردية تُؤجَروا إن شاء الله عزّ وجلّ. وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣/٤١]. وقال النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: «فوالله لأَن يَهدِي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من أن يكون لك حُمْرُ النَّعَم»[1].

---

[1] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، صـ١٣١١، (٢٤٠٦).

عن سيّدنا أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: أتَى النّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم رجلٌ يَستحمِله فلم يَجِد عنده ما يَتحمَّله فدَلَّه على آخر فحمله فأتى النّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم فأخبَره فقال: «إنّ الدّالَّ على الخير كفاعله»[1].

عن سيّدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «من دعا إلى هُدًى كان له من الأجر مثل أجور مَن تَبِعه لا يَنقُص ذلك من أجورهم شيئًا ومَن دعا إلى ضلالةٍ كان عليه من الإثم مثلُ آثام مَن تبِعه لا يَنقُص ذلك من آثامِهم شيئًا»[2].

قال موسى عليه السلام: يا ربِّ ! ما جزاء مَن دَعَى أخاه وأَمَره بالمعروف ونَهاه عن المنكر ؟ قال عزّ وجلّ: أَكتُب له بكلِّ كلمةٍ عبادةَ سَنةٍ وأَستحِي أن أُعَذِّبه بناري[3].

أيّها المسلمون: إنّ الدعوة الفردية أَدَّتْ دَورًا كبيرًا في ارتقاء جمعيَّة "الدعوة الإسلامية"، وأَشرقَتْ قلوبُ الناس بنور

---

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب العلم، باب ما جاء الدّال على الخير كفاعله، ٣٠٥/٤، (٢٦٧٩).

[2] أخرجه مسلم في "صحيحه"، صـ١٤٣٨، (٢٦٧٤).

[3] ذكره الغزالي في "مكاشفة القلوب"، صـ٤٨.

حبِّ المصطفى صلّى الله عليه وسلّم كما حدَّثني أحد الإخوة الدُّعاةِ أنَّ الإخوة المسلمين حَضَرُوا الاجتماعَ الأُسبوعِيَّ الذي تَعقِده جمعيَّةُ "الدعوة الإسلامية" كلَّ يومِ الخميسِ بعد صلاة المغرب فمَرَرتُ بالسائق الذي كان يَسمَع الغِناءَ فلَقيتُه بالرِّفق واللِّين ودَعَوتُه فتأَثَّر وأطفأَ الْمُسَجِّلَة فأعطيتُه شَرِيطَ المحاضرة المسَمّاة بـ"الليلة الأولى في القبر" فشَغَّله وجعَل يَسمَعه، وكنت أَسمعه معه ؛ لأنّ هذه الطريقة مفيدةٌ لإسماعِ المحاضرة والحمد لله عزّ وجلّ تأَثَّر منها وارْتَعد خوفًا من عذاب النار وتاب من ذنوبه. يا إخواني المسلمين: أرأيتم كم من فائدةٍ تَحصُل بسبب الدعوة الفردية، فيَنبغي لكلِّ مؤمن أن يقوم بها ويَدعُو المسلمين إلى الخير، ويُقدِّم إليهم شَريط المحاضرة، ولَمَّا سَمِعوه قَدَّم شريطًا آخَرَ بعد أن يَسترجع الشريط الأول، فلا يَترُك الدعوة الفردية فقد قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥/٥١]. واعلموا أيّها الأحبة مَن بنى ما زادَ على الحاجة واشتَدَّ حرصُه عليه وعَظُمَتْ رَغْبَته فيه وليس له غَرَضٌ في ذلك إلاّ الكِبْر والرياء وطَلَب المنزلة والتعظيمِ في قلوب النّاس فقد يَعرِض بذلك لآفات كثيرة

وخَطَرات عظيمة، لكن الموفّق الملهَم مَنْ أخذ من ذلك دروسًا وعِبرًا، واستفاد منه مُدّكراً ومُزدَجراً، وتزوّد من الْمَمَرِّ للمَقَرّ، رُوي عن سيّدنا خبّابٍ رضي الله تعالى عنه قال: سَمِعتُ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يقول: «إنّ العبد لَيُؤجَر في نَفَقَته كلّها إلاّ في التُّراب» أو قال: «في البناء»[1].

وقال الشيخ أحمد يار خان النعيمي رحمه الله تعالى تحت هذا الحديث: ما أنفق الرجل بالنيَّة الصالحة في الأكل والشُّرب والكِسوَة والتَّداوي وشراءِ ما يَحتاج إليه إلاّ أُجرِ فيها؛ لأنّها وسيلةٌ إلى عبادةٍ لكن ليس له أجرُ الإنفاق في بناء ما زادَ على الحاجة فينبغي له أن يَتَّصِف بالقناعة من الدنيا وأن يَرغَب في التقَلُّلِ منها وأن يُجانِب الحرص على بناء ما زاد على الحاجة والرغبة فيه، واعلموا أنّ بناء ما زاد على الحاجة للدنيا فهو داخلٌ فيه وأمّا بناءُ المساجد والمدارس ومنازلِ المسافرين والزَّوايا بالنيَّة الصالحة فهو عبادةٌ؛ لأنّه صدَقةٌ جارِيةٌ وهكذا من بنى الدار بِقدرِ الحاجة بالنِّيّة الصالحة أُجِر فيها، لكن من اشتغَل

---

[1] أخرجه ابن ماجه في "سننه"، ٤/٤٥٢، (٤١٦٣)، والترمذي في "سننه"، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ٤/٢١٨، (٢٤٩١).

في تزيين القصور وبناءِ البُنيان كلَّ سَنة بلا حاجةٍ يَدخُل في هذا الحديث[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «النَّفَقة كلُّها في سبيل الله إلاّ البناءُ فلا خير فيه»[2]. قال الشيخ أحمد يار خان رحمه الله تعالى: إنّ بناء ما زادَ على الحاجة إسرافٌ[3]. وفي "تنبيه المغترين"[4]: قد مَرَّ سيّدي الشيخ عبد القادر الجيلاني رحمه الله تعالى على شخصٍ يَبني دارًا ويُحكِمها، فأَنشد يقول:

أتَبني بناء الخالدين ؟ وإنّما مقامُك فيها لو عَقَلتَ قليل
لقد كان في ظلِّ الأَراكِ كِفايةٌ لمن كان يومًا يَقتَفيه رَحيل

كان سيّدي عليٌّ الخوَّاص رحمه الله تعالى يَعيب على الفقير إذا رآه يَبني دارًا ويقول له: إنّ الذي تَصرِفه على هذا البناء، لا تَلحَق تَسكُنُ به[5].

---

[1] "مرآة المناجيح"، ١٩/٧.
[2] أخرجه الترمذي في "سننه"، ٢١٨/٤، (٢٤٩٠).
[3] "مرآة المناجيح"، ٢٠/٧.
[4] "تنبيه المغترين"، صـ١١٠.
[5] "تنبيه المغترين"، صـ١١١.

حُكِي أنّ رجلاً ذَهَب إلى خارج "باكستان" لكسب المالِ وابتَعد عن والديه وإخوانه وأَخَواته وأصدقائه لحبِّ الدنيا، ولَمَّا اكتسَبَ مالاً كثيرًا أرسله إلى أهله، وأمرهم ببناء القصر العظيم بعد المشاورة لهم والتعاونِ بآرائهم ونَظَرِهم، فكان يَجتهِد في الاكتساب ويُرسِل المال الكثير إليهم وكان يَشتغِل أهلُه في بنائه وتزيينه حتّى كَمَل بناؤُه بعد سَنَواتٍ ولَمَّا رجَع ذلك الرجل إلى وَطَنه لم تكن تَتِمُّ الاستعدادات بشَكلٍ كاملٍ للسُّكنِ ولكن مع الأَسَف الشَّدِيدِ مات ذلك الرجلُ ودخل القبر الْمُظلِم بدلاً من القصر العظيم.

أيّها المسلمون: لا بُدَّ للعبد المؤمن من الامتثال لأمرِ سيّده الكريم الرحيم والاجتناب لما نَهاه عنه، وعليه أن يَبذُل جُهده واستطاعته في ذلك ويَستفرغ فيه طاقته ثُمَّ يَرجو بعد ذلك غُفران ربّه ورحمته، ولا يَتمنّى ولا يَغتَرُّ من غير جِدٍّ ولا سَعيٍ ؛ لأنّ انتظارَ الشفاعة بلا سَبَبٍ نَوعٌ من الغُرور وارْتِجَاءُ الرحمة ممّن لا يُطاعُ حُمُقٌ وخِذلانٌ.

قال الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه في "الغنية": فكم من كَفَنٍ مَغسولٌ وصاحِبه في السُّوق مَشغولٌ

وكم من قبرٍ مَحفُورٌ وصاحبه بالسُّرور مَغرورٌ وكم من فمٍ ضاحِكٌ وهو عن قريبٍ هالكٌ وكم من منزلٍ كمَل بناؤُه وصاحبه قد أَزِفَ يعني: قَرُبَ فَناؤه وكم من عبدٍ يَرجُو الثواب فيَبْدُو له العقاب وكم من عبد يرجو البِشارة فتَبدُو له الخسارةُ وكم من عبد يرجو الجنان فتبدُو له النِّيران وكم من عبد يرجو الوَصْل فيبدو له الفَصلُ وكم من عبد يرجو العطاء فيبدُو له البلاء وكم من عبد يرجو الْمُلك فيبدو له الْهُلْك[1].

أيّها المسلمون: إلى متى تَعيشون في الدنيا بالغفلة؟! تَذكَّروا أنّ العاقِل مَن استَعَدَّ لِما يَجوز وُقوعُه فكيف يَغفُل عمَّا لا بُدَّ منه ؟! كيف يُفَرِّط في ساعاته وأوقاته ؟! كيف لا يَحزَن على عُمره الذاهب بغير عِوَضٍ ؟! فلا تَنفَعه الفنون والأسلحة والمناصب والوِزارات والمصانع والجواهر والقصور والْمَحاقل فكيف به إذا مات فاحتَمَله الناس من الفراش الوَثيرِ ووضَعوه في القبر الْمُظلِم؟! واسمعوا إلى هذه الحكايات للعبرة وذكرِ الموت! قد طُبِعَتْ في الجرائِد:

---

[1] "الغنية لطالبي طريق الحقّ عزّ وجلّ"، القسم الثالث: مجالس في مواعظ القرآن والألفاظ النبوية، ١/٣٤٨.

الأولى: أنّ امرأَةً كانت تُسَخِّن الْحَليب فأَصابَتها النار واحتَرَقَتْ.

الثانية: كانت امرأَةٌ قد ماتت بانفجار مَوْقِد الغاز.

الثالثة: كانت مَسيرة الحِزْب السِّياسِيِّ تَذهَب إلى بلد فصَعِدَ رجلان على سَقف القِطار لرؤية القائد السياسيِّ فَاصطَدَمَ رَأسُهما بالقَنْطَرَة وماتا.

الرّابعة: أنّ امرأَةً كانت تَنتظِر المِصْعَد للرجوع من الدَّور الرابعِ وقد شَغَلَتْ في التكلُّم ولَمَّا انفَتَح بابُ المصعد وضَعَتْ قدمَها دُونَ النظرِ إليه فسَقَطَتْ من الدَّور الرابعِ على الأرض وماتَتْ ؛ لأنّ المصعدَ لم يكن يَصِل.

أيّها المسلمون: إنّ كثيرًا من الناسِ يُحبّون الدنيا ويُؤثِرونها على الآخرة ويَطلبون مَتاع الدنيا ويَتَسَبَّبون في حُصوله بكلِّ الوجوه الْمُمكنة ويَصيرون بذلك من جُملة الْمُحِبِّين للدُّنيا والراغبين فيها، وأمَّا الْمُحبّون للآخرة والْمُجتهِدون في الأعمال الصالحات والراغِبون في المغفرة والجنّة فعَدَدُهم قليل جدًّا. فيا من يُحبّ الإيوان والقُصور والبيوت ويُريدها ويَشتدّ حِرصه عليها وتَعظُم رَغبتُه فيها! اسمع

إلى ما قال الله تبارك وتعالى في كتابه العظيم: ﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ۝٢٦ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝٢٧ كَذَٰلِكَ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ۝٢٨ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٤٤/٢٥-٢٩]. وقال تعالى في مَقامٍ آخَرَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [فاطر: ٣٥/٥].

أيّها المسلمون: تَفكَّروا في حياتكم وتأمَّلوا في كثرة تَقصيركم عن القيام بحقوق الله تعالى، كيف تَحرِصون على الدنيا وتُشمِّرون لِعمارتِها وتَقطَعون الليالي والأنهار بالتَّفكُّر في إصلاحها ؟ كيف تُسَوِّفون في العمل لها ؟ كيف تَنكَبّون عليها وتَقطَعون الأيّام لِمَحَبَّتها ؟ كيف بكم عند الصِّراط والميزان؟ تَفكَّروا في سَلَفكم قبلَ تَلفكم، أين الأَقرانُ والإخوانُ ؟ أين مَن شَيَّد الإيوان ؟ والله رَحَلوا عن الأوطان ومُزِّقَتْ في اللُّحود تلك الأكفانُ، وتَقَلَّبَتْ بهم الأحوال، وشُغِلوا عن الأولاد والأموال ونَسِيَهم أحبابُهم بعد ليالٍ، عانَقوا التُّراب وفارَقوا الأموال، أين الذين كَنَزوا الكُنوز وجَمَعوا وثَملوا من الشّهَوات وشَبعوا وأَمَلوا البقاء ؟ وما فعَل الله بهم ؟ فعليكم أن لا تَدَعُوا التفكُّر

في قُرب الأجلِ لِتَحصُل لكُم النَّجاة من طولِ الأمل وزينةِ الدنيا ولذّاتِها، وتَتولَّد عندكم الرَّغبةُ في الحسنات ببركة ذكرِ الموت إن شاء الله عزّ وجلّ. وقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «أَكثروا ذِكرَ هاذِمِ اللَّذَّات» يعني: الموت[1].

الحمد لله إنّ المسلمين يَفوزون بسَعادة الدنيا والآخرة في البِيئَة المتَدَيِّنة لجمعيَّة "الدعوة الإسلامية" واسمعوا إلى القصَّة لزيادة قَدرٍ ومنزلة الإيمان في القلوب وبذلك تَظهَر برَكة البيئة المتديِّنة لجمعيَّة "الدعوة الإسلامية": زُلزِلَتْ أرض الباكستان بتأريخ ٣ رمضانَ المبارك ١٤٢٦هـ الموافقِ ٨ أُكتوبَر سَنَةَ ٢٠٠٥م ومات بسببها مليون إنسانًا وقد ماتتِ المرأَةُ الّتي كانت تَحضُر الاجتماعَ الأُسبوعيَّ لجمعيَّة "الدعوة الإسلاميَّة" فلمَّا نَبَشَ أهلُها قبرَها وَجَدوا القبرَ مُعَطَّرًا وشَمُّوا الطِّيب وبعد مُضيِّ سبعين يومًا كان كَفَنُها سالِمًا وجسمُها ناضِرًا.

فيَتأكَّد على المسلمين: أن يَملَؤُوا كُتَيبَةَ "الجوائز المدنية" كلَّ يومٍ في وقتٍ مَخصوصٍ وأن يُرسِلوها إلى

---

[1] أخرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب الزهد، ٤/٤٩٥، (٤٢٥٨)، والترمذي في "سننه"، كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت، ٤/١٣٨، (٢٣١٤).

مَسؤولهم قبلَ مُضِيِّ العشرِ الأول من كلِّ شهرٍ وأن يُسافروا في سبيل الله مع قوافل الدعاة إلى الله تعالى لثلاثة أيّامٍ في كلِّ شهرٍ، وأن يَقوموا بالدعوة الفرديّة ؛ لِتَظهَر البَرَكات في جميعِ بلاد المسلمين.

ونَرجُو الله جلَّ وعلا أن يَرزُقَنا الإخلاص في جميع أعمالنا ويُجيرنا من فساد القصد في الأعمال إنّه سميع مجيب قريب وصلَّى الله وسلَّم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليمًا كثيرًا.

اَلشَّابُّ الحَيّ

لِفَضِيلَةِ الشَّيخِ الدَّاعِيَةِ الكَبِيرِ أَبِي بِلَالٍ مُحَمَّدٍ إِلْيَاسَ العَطَّارِ
القَادِرِيِّ الرَّضَوِيِّ حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

تعريب
مجلس التراجم

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمد خاتَم الأنبياء وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه الطَّيِّبين الطّاهرين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، **أمّا بعد:**

فقد قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «من صلَّى عليَّ حين يُصبِح عشرًا وحين يُمسي عشرًا أَدرَكَتْه شفاعتي يومَ القيامة»[1].

صلّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمد

قال بعض الصالحين: لَقِيتُ بالبصرة رجلاً يُعرَف بالمِسكِيِّ وذلك لشدَّة ما كان يُوجَد منه من ريحِ المِسك حتّى إنّه إذا دخَل المسجد الجامع يُعرَف أنّه قد جاء من شدَّة الرّائحة وإذا مَرَّ في الأَسواق كذلك، فقَصدتُه وبِتُّ عنده وقلت له: يا أخي ! أنت تَحتاج إلى مالٍ كثيرٍ في ثَمَن الطّيب؟ فقال: ما اشترَيتُ طِيبًا قَطُّ ولا تَطَيَّبتُ بطيبٍ قطُّ وأنا أُحدِّثك بحديثي

---

[1] ذكره المنذري في "الترغيب والترهيب" ١/٢٦١، (٢٩)، والهيثمي في "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"، كتاب الأذكار، ١٠/١٦٣، (١٧٠٢٢).

لعلَّني إذا متُّ تَترحَّم عليَّ إذا ذكرتَني، كان مَولدي ببغداد، وكان أبي مُوسِرًا يُعلِّمني كما يُعلِّم الناس أولادَهم، وكنتُ من أَحسنِ الناس وَجهًا وكان بي حياءٌ، فقيل لأبي: لو أجلستَ ابنَك في السّوق لَيَنشَط، فأَجلسني في دُكّانِ بَزَّازٍ، وكنتُ أَجلس عنده طَرَفَي النهارِ فلمَّا كان بعضُ الأيّام جاءتْ عَجوزٌ فطَلَبَتْ منه متاعًا مُترفِّعًا فأَخرج لها ما طلبتْ فقالت له: وَجِّهْ معي إنسانًا حتّى نَأخُذ ما نَحتاج إليه ونَدفَع له الثَّمَن ونَرُدَّ الباقي معه فقال لي: تَنَشَّطْ وَامْضِ معها فقلت: نعم، فمَضَيتُ معها حتّى أَدخلَتْني إلى قصرٍ عظيمٍ فيه قُبَّةٌ وعلى بابه خَدَمٌ وحُجّابٌ فلمَّا وَصَلتُ إلى صحْن الدار إذا أنا ببُنيانٍ عظيمٍ فيه قُبَّةٌ عليها سِتارَةٌ فقالت لي: اُدخُل القُبَّةَ فاجلِس فيها، فدَخَلتُ فإذا أنا بِجاريةٍ على سريرٍ عليه فَرشٌ وَشْيٌ، وكلُّ ذلك مُذَهَّبٌ لم أَرَ أَحسن منها وعليها من كلِّ الْحُلِيِّ، فنَزلتْ عنه وضرَبتْ بيدها في صدري وجَذبَتْني إليها فقلتُ لها: اللهَ اللهَ قالت: لا بأْسَ عليك، لك عندي ما تُحبُّ فقلت لها: إنّي حاقنٌ فصاحَت بالْجَواري فإذا بهنّ قد أَقبَلنَ فقالت لهن: قُدَّامَ مولاكُنّ إلى الخلاءِ فلمَّا دَخَلتُ الخلاءَ لم أَجِد فيه مَسلَكًا أَفِرُّ منه فحَلَّلْت

سَراويلي وتَغَوَّطْتُ في كَفّي ومَسَحتُ به وجهي ويَدَيَّ وقَلَّبْتُ عينَيَّ، فدخلتْ جارية بيدها ماءٌ ومِنْديلٌ فصحتُ في وجهها كالمجنون فوَلَّتْ هارِبةً منّي وقالتْ: مجنونٌ فجاء الجواري ومعهنّ بِساطٌ فأَدْرَجْنَني فيه وحَمَلنَني وطَرَحنَني في بُستانٍ فلَمَّا علِمتُ أنّهنّ مَضَينَ قُمتُ فغَسَلتُ ثيابي ووجهي وسائِرَ بَدَني، ومَضَيتُ إلى مَنزلي ولم أُحَدِّث به أحدًا فرأَيتُ تلك الليلة في منامي رجلاً، فقال لي: أين يوسفُ بن يعقوبَ بن إسحاقَ بن إبراهيمَ خليل الله على نبينا وعليه الصلاة والسلام منك؟ أتَعرِفُني؟ قلت: لا، قال: أنا جبريلُ فمَسَحَ بيده على وَجهي وبَدَني، فمن ذلك الوقت صار لبدني رائحةُ المِسك تَفُوح على ثيابي فهذه الرائحة من يد جبريل عليه السلام[1].

أيّها المسلمون: أرأيتُم أنّ الشّابَّ الحيَّ نَجا من الزِّنا بخَشية الله تعالى ونُفور المعاصي، فبذا عُرِف: أنّ الحياء وهو السّببُ النافِع والْمُؤثِّرُ في اجتناب الذنوب، فمعنى الحياء: انقِباضُ النفس من شيءٍ وتَركُه حَذرًا عن اللَّومِ فيه[2]. أي:

---

[1] ذكره اليافعي في "روض الرياحين"، صـ٣٣٤-٣٣٥.

[2] "التعريفات"، صـ٦٧.

وهو وَصْفٌ يَمنَع صاحبه من الوقوع في أفعالٍ مَكروهةٍ عند الله وعند الناس ، ويُحذِّره من الرَّذائلِ والسَّيِّئات ولكنّ الحياء من الناس لا يكون حَسَنًا إذا مَنَعَ صاحبَه من طاعة الله تعالى وتأدِيَة الحقوق العامّة ، بحيث يَستحيي من الناس فلا يُؤَدّي حقوق الخالِق ولا المخلوق.

وأمّا الحياء من الله تعالى: فهو أن تكون عَظَمَةُ الله تعالى وخَشيَتُه في قلب الإنسان فيَجتنب كلّ ما يُغضبُ الله تعالى خوفًا من سُخطِه وقال الشيخ السُّهْرَوَرْدِيُّ رحمه الله تعالى: الحياءُ إطراقُ الرُّوحِ إجلالاً لِعَظَمَة المولى سبحانه. ومن هذا القبيل حياءُ سيّدنا إسرافيلَ عليه السلام كما وَرَد: أنّه يَستتر بجَناحه حياءً من الله عزّ وجلّ وكذلك حياءُ سيّدنا عثمانَ رضي الله تعالى عنه كما قال: إنّي لأَغتَسِل في البيت الْمُظلِم فأَنْطَوِي حياءً من الله تعالى[1]. ورَوَى ابن عساكر عن سيّدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه مرفوعًا: «الحياء من الإيمان، وأَحيَى أمّتي عثمان»[2].

---

[1] "مرقاة المفاتيح"، ٨/٨٠٢-٨٠٣.

[2] ذكره ابن عساكر في "تأريخه"، عثمان بن عفان، ٣٩/٩٢.

قال الفقيه أبو اللَّيثِ السَّمَرقَنديُّ رضي الله عنه: الحياء على وجهينِ: حياءٌ فيما بينك وبين النّاس، وحياءٌ فيما بينك وبين الله تعالى، أمّا الحياء الذي بينك وبين الناس أن تَغُضَّ بصَرك عمّا لا يَحِلُّ لك، وأمّا الحياءُ الذي بينك وبين الله تعالى أن تَعرِف نِعمته فتستحِي أن تَعصيه[1].

اعلموا يا إِخواني المسلمين أنّ الحياء يَنقسِم إلى قسمين: الحياء الفِطرِيُّ والحياء الشَّرعِيُّ، أمّا الحياء الفطريُّ: فهو يَتولَّد مع الإنسان، أي: ما خَلَقه الله تعالى في كلِّ نفسٍ، وأمّا الحياء الشَّرعيُّ: فهو أن يَتفكَّر العبدُ فيما أعطاه الله من النِّعمِ والآلاءِ الدّينِيَّة والدُّنيَويَّة ويَتفكَّرَ في تقصيره وعدَم قيامه بالحقوق فيَندَم على ذلك ويَعمَل الصالحات ويَحترِز من المعاصي وإنّما حقيقة الحياء في اصطِلاحِ أهلِ الشَّرعِ: خُلُقٌ يَبعَث على تَرك القبيحِ ويَمنَع من التَّقصير في حَقِّ ذي الحقِّ[2].

وقيل: إنّ الحياء خُلُقٌ رفيعٌ لا يكون إلاّ عند مَن عَزّ عُنصرُه ونَبُل خُلُقه وكَرُم أصلُه، وعلى هذا مَدار الإسلام.

---

[1] "تنبيه الغافلين"، باب الحياء، صـ٢٥٨.

[2] "مرقاة المفاتيح"، ٨/٨٠٠، ملتقطاً.

وتوجيهه: أنّ أفعالَ الإنسان إمّا أن يَستحيِي منها أم لا. فالأوّل: يَشْمَلُ الحرامَ والمكروهَ، وتَركُهما هو المشرُوع. والثّاني: يَشمَل الواجب والمندوب والمباح، وفِعلُها مَشروعٌ في الأوّلين، جائزٌ في الثالث، فعلى هذا يَتضمَّن الحديث: «إذا لم تَستَحيِ فَاصْنَع ما شئتَ» الأحكامَ الخمسةَ[1].

واعلموا أنّ الحياء قد يكون فرضًا كالاستِحياءِ من الحرام وقد يكون مندوبًا كالاستحياء من المكروه التَّنزيهِيِّ، وقد يكون مباحًا كالاستحياء من المباح.

أيّها المسلمون: إن البيئة الْمُحيطَة بالإنسان تَلعَب دَورًا كبيرًا في نُشوء الحياء فالحياء يَتَرَعْرَع في كَنَف أصحابِ الحياء ويَنهَى عن الفحشاء والمنكَر وأمّا صُحبةُ عديمِ الحياء تَسلُب من القلب حلاوةَ الإيمان وطَهارةَ الأعمالِ وتَجعَل جَريئًا على المعاصي والذنوب، فإنّ فاقِدَ الحياء لا يُبالي بالفضيحة ويَتجرَّأُ على المعاصي ويَتعدَّى على حُدود الله ويَتدرَّج شيئًا فشيئًا من سيِّءٍ إلى أَسوَأ ويَهبِط من رَذيلٍ إلى أَرذَل ويُدمِن على

---

[1] ذكره الملا علي القاري في "مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح"، كتاب الآداب، باب الرفق والحياء وحسن الخلق، ٨/٨٠٢.

هذا حتّى إنّه لا يَستطيع أن يُفَرِّق بين الحقِّ والباطل وبين النّور والظُّلمة ويَقَع في الْمَهالك والرَّذائل ويَبتعِد عن المكارم والفضائل ولا يَخشَى لَومَةَ لائمٍ، وقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «إنّ لكلِّ دينٍ خُلُقًا وخُلق الإسلام الحياء»[1]. أي: إنّ لكلِّ دينٍ طبعًا وسَجيَّةً تَغلِب على التَّعليمات كلِّها، وطَبعُ هذا الدّين وسَجيَّتُه الّتي هي قِوامُه ومُروءته وجَمالُه فقد جُمِعَ في الحياء ؛ لأنّه مُتمِّمٌ لمكارم الأخلاق وشُعبَةٌ من الإيمان، وعن سيّدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «الإيمان بِضعٌ وسبعون شُعبةً، والحياءُ شُعبةٌ من الإيمان»[2].

وقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «الحياء من الإيمان»[3]. أي: إنّ الحياء يَمنَع صاحبه من ارتكاب المعاصي

---

[1] أخرجه ابن ماجه في "سننه"، ٤/٤٦٠، (٤١٨١).

[2] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء، صـ٣٩، (٣٥).

[3] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب البر والصلة عن رسول الله، باب ما جاء في الحياء، ٣/٤٠٦، (٢٠١٦)، وابن ماجه في "سننه"، كتاب الزهد، باب: الحياء، ٤/٤٦١، (٤١٨٤).

كما يَمنَع الإيمان صاحبه من الكفر ، فسُمِّي إيمانًا، وحاصِلُه: أنّ إطلاق كونه من الإيمان مَجازٌ، ويُؤيّد ذلك ما رَوَى الحاكم عن عبد الله ابن عمرَ رضي الله تعالى عنهما عن النّبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم قال: «الحياء والإيمان قُرِنا جميعًا فإذا رُفِعَ أحدُهما رُفِعَ الآخر»[1].

ورَوَى الإمام البخاري رحمه الله تعالى عن ابن عمرَ رضي الله تعالى عنهما: أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم مَرَّ على رَجلٍ من الأنصار وهو يَعِظُ أخاهُ في الحياء (أي: يَمنَعه عن كثرةِ الحياء) فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «دَعْه، فإنّ الحياء من الإيمان»[2].

عن عمرانَ بن حُصينٍ رضي الله عنه يُحدِّث عن النّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «الحياء لا يأتي إلاّ بِخيرٍ»[3].

---

[1] أخرجه الحاكم في "المستدرك"، ١/١٧٦، (٦٦).

[2] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الإيمان، باب الحياء من الإيمان، ١/١٩، (٢٤)، ومسلم في "صحيحه"، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء، صـ٤٠، (٣٦)، وأبو داود في "سننه"، كتاب الأدب، باب في الحياء، ٤/٣٣١، (٤٧٩٥).

[3] أخرجه مسلم في "صحيحه"، صـ٤٠، (٣٧).

وقد يُشكل على بعض النّاس أنّ الحياء قد يَمنع صاحبه عن تَعلُّم الأحكامِ الشَّرعيَّةِ وعن الدعوة إلى الله تعالى وعن الأعمال الصالحات فكيف قيل: الحياء لا يأتي إلاّ بخيرٍ؟

فأُجيبَ لذلك أنّ المراد هو الحياء الشَّرعيُّ فهو خُلُقٌ حميدٌ يَبعَث على الخير ولا يَصُدّ عنه، وأمّا الحياء الذي يُؤدِّي إلى ترك العلم فليس بمَشروعٍ، فالحياء الحقيقيُّ لا يَمنَع من الأعمال الصالحات بل يَحُثُّ على العبادات والطّاعات قد رُوِيَ عن عمرانَ بنِ حُصينٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «الحياء خيرٌ كلُّه». قال: أو قال: «الحياء كلُّه خيرٌ»[1]. ولكن مع الأَسَف الشّديد نحن نَرَى في هذا الزَّمَن أنّ المرأة المسلمة قد تَرَكَت الحجاب الإسلاميَّ، واختَلَطَتْ بالرّجال في ميدان التعليمِ والعمَل ، وتَورَّطَتْ في الصَّداقة الْمُحَرَّمة مع الشّباب الأجانبِ، وخَلَعَتْ لباس الحياء فتَخرُج شِبهَ عاريةٍ في الْحَفَلات وتَختَلِط بالرّجال فتُسارِقُهم النظَرات وتُبادِلهم الابتسامات، فتَأمَّلوا حال البعضِ من نساء هذا العصرِ عندما

---

[1] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب الإيمان، باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء، صـ٤٠، (٣٧).

سَمَحْنَ بإظهار ما حرَّم الله فكَشَفْنَ أجسامَهنَّ وخَرَجن كاسياتٍ عارياتٍ مُتبرِّجاتٍ مُترجِّلاتٍ إلى الْحَفَلات والْمُسَرّات والأَفراحِ، وأَصبح حالُهنَّ لا يَختلف عن حال المرأة في الجاهليَّة حين فَقدنَ حياءَهنَّ ، وتَجرّأن على الخلوة الْمُحرَّمة والاختلاطِ مع الأجانب ورَفعِ الصَّوت عند مُحادَثتها وغير ذلك من النظَرات والهَمْسات واللَّمْسات والضحكات، ضَيَّعنَ حياءَهنَّ وتَساهَلنَ في اللباس والحجاب والآداب الشَّرعيّة ولم يَستنكِرن هذه الأفعالَ الشنيعة عندما تَقَع منهن ومع الأَسَف الشديد يَدخُل العَروس على الفَتَياتِ في حَفلَةِ العُرسِ، فيَجلِس معهنَّ ويَضحَك معهنَّ ويُقلِّب بَصَره في حُسنهنَّ فيَقَع في المحرَّمات. وقال الفقهاء الكرام رحمهم الله تعالى: لا تُجبَر البالغةُ البِكْر على النكاح، فإن استأذنَها الوَلِيُّ أو وكيله أو رسوله، أو زَوَّجها وليُّها وأخبرها رسولُه أو فضولِيٌّ فسَكَتَتْ فهو إِذْنٌ[1]. أي: أنّ البالغة البِكْرَ كانت في زمانهم تَستَحيي عن إظهار الرغبة في النكاحِ لكن تأَمَّلوا حال الكثيرِ من الفَتَيات في زَماننا أنّهنَّ يُكثِرن ذكر الزَّواجِ ويُظهِرن الرغبة فيه.

---

[1] ذكره العلامة علاؤ الدين الحصكفي رحمه الله تعالى (ت ١٠٨٨هـ) في "الدر المختار"، ٤/١٥٥-١٥٦، ملتقطاً.

والعَجَب من حال الأولاد الذين يُشاهِدون الأفلام الجِنسيَّة الفاضِحة ويَنظُرون إلى الفَنَّانات السَّافرات الْمُتبرِّجات والرَّاقصات الكاسيات العاريات، لكن مع الأَسَف يكون ذلك مع مُرافقة الآباء والأُمّهات فكيف يَرتَقون إلى درجات الحياء والأهداف السَّامية ، كيف يُمكنهم قيادَةُ الأمّة إلى ذِرْوَة الكمال؟! وقال سيّدنا الإمام أحمد رضا خان رحمه الله تعالى: لا تُعلِّموا البَنات تَفسير سورة يوسفَ ؛ لأنّ فيها ذكر فتنة المرأَة، والقوارير الحسَّاسةُ تَنكسِر بصدمةٍ خفيفةٍ بل عَلِّموهُنَّ سورةَ النور ، فإنّ فيها الْمَواعظ[1].

أيّها المسلمون: إنّ البنت إذا منَعها الشَّرع من قراءة تفسير سورة يوسفَ بسبب تحذيرها من الفتنة فكيف تَأمَن على نفسها إذا قَرَأَتْ الصُّحُف والْمَجَلاّت الْمَشحونةَ بقِصَصِ الحبِّ والعشقِ والأبيات التي كانت فيها كيفيَّة الوَصلِ والفِراقِ التي تُثير الشَّهَوات وتُشبِع النَّزَوات ؟! واعلموا أنّ من تَغافل عن التَّربية الحسنة لأولاده يَقَع في الحسرة والنَّدامة ويَجِد أولاده

---

[1] ذكره سماحة الشيخ الإمام أحمد رضا القادري (ت ١٣٤٠هـ) في "العطايا النبوية في الفتاوى الرضوية"، ٢٤/٤٥٥.

يَقَعون في الصَّداقة المحرَّمة ويَسمعون الأغاني ويُشاهدون الأفلام والْمَسْرَحيَّات الفاضِحة والسَّبب في ذلك أنَّه لا يَكُفُّهم عن الرَّذائل والسَّيِّئات ومُشاهدةِ الأفلام الجنسيَّة وقد أعطاني أحدُ الإخوة الدّعاة رِسالةَ البنت وكان فيها هذا الكلام: جاء أبي بالدِّش فنَجعَل نُشاهِد الأفلامَ، فقالت زَميلَتي ذات يومٍ: إذا شَغَّلْتِ القَناة الفلانيَّة تَستَمتَعين بالمناظر الجنسيَّة الْخَليعَة وذات يومٍ كنتُ وحيدةً في البيت فَشَغَّلتُ تلك القناة فلمَّا رأيتُ المناظر الجنسيَّةَ لم أَملِك نفسي فغَلَبَتني الشَّهوة وحَمَلَتني إلى الفاحِشة فخَرَجْتُ من البيت بباعث الشهوةِ ووَقَعتُ في الزِّنَى فأخبِرني يا سيّدي مَن الْمُجرِم ؟ أنا التي سَقَطَتْ في مَهاوِي الفحشاء والرَّذائل أم أبي الذي يَسَّرَ لنا سبيل الهلاك والفساد ؟.

اعلموا أيّها المسلمون قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ثلاثةٌ قد حرَّم الله عليهم الجنّة: مُدمِن الخمرِ والعاقُّ والدَّيُّوث الذي يُقِرُّ في أهله الْخَبَث»[1]. قال الشيخ أحمد يار خان رحمه الله تعالى تحت قوله صلّى الله عليه وسلّم: «الدَّيُّوث

---

[1] ذكره الإمام أحمد في "المسند"، ٢/٣٥١، (٥٣٧٢)، والبيهقي في "شعب الإيمان"، والسيوطي في "الجامع الصغير"، والتبريزي في "المشكاة".

الذي يُقِرُّ في أهله الْخَبَث»: قال بعض الشارحينَ: الظاهر أنّ المرادَ من الخبَث: الزِّنا ودَواعيه أي: من لا يَمنَع أهله من الزِّنا والفواحش والسُّفور مع القدرة ، ولا يُبالي باختلاطهنَّ مع الأجانب فهو دَيُّوث[1]. قال الإمام أحمد رضا خان رحمه الله تعالى: إنّ الدَّيُّوث من أَخْبَثِ الفاسقين، وتُكرَه الصلاة خَلفَ فاسق مُعلِنٍ، ولا يَصحُّ تقديمه للإمامة، ومَن صلَّى خلفَه يكون آثمًا، وكلُّ صلاةٍ أُدِّيَتْ مع كراهة التَّحريم تَجب إعادَتُها[2]. فيَجب على كلِّ مسلمٍ أن يَحُثَّ أهلَه على قراءة الكُتُبِ والرسائلِ الدِّينيَّة ويَمنَع من التَّبرُّجِ والسُّفور على حَسب استطاعته مع الحِكْمة والموعظة الحسَنَة ؛ لأنّ التَّشديد والتَّغليظَ قد يُؤَدِّي إلى النُّفور والفساد، فَلْتَكُن في القلب حُرْقَةٌ لهداية نفسه وأهله عملاً بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦/٦٦]. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «كلُّكم راعٍ وكلُّكم مسؤولٌ عن رعِيَّته»[3]. اعلموا أنّ العوام رعِيَّةُ السلطان

---

[1] "مرآة المناجيح"، ٣٣٧/٥.

[2] "الفتاوى الرضوية"، ٥٨٣/٦.

[3] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الجمعة، ٣٠٩/١، (٨٩٣).

والحاكمِ، والأولادُ رعيَّة الوالدينِ، والتلاميذُ رعيَّة الْمُعلِّم، والمريدون رعيَّةُ الشيخِ، فيَجِبُ على كلّ مسؤولٍ أن يَمنَع رعيَّته عن المعاصي والذنوب.

أيّها المسلمون: لا نَعرِف كيف نُوَجِّه هذه الأمَّة إلى طاعة الله ورسوله وكيف نُغَيِّر طريقَها من نار الجحيم إلى جنَّات النّعيمِ فإنّ كلّ أحد يَتجرَّأُ على المعاصي كما نُشاهِد في الْحَفَلات والْمُسَرَّات من التَّبَرُّجِ والسُّفور والرَّقص واختلاط النساء بالرجال الأجانب وغيرها من المحرَّمات، وتَختَلِط النظَرات والْهَمساتُ واللَّمْساتُ والضِّحكاتُ، فدَلَّت هَذِهِ الأفعالُ السَّيِّئةُ على التساهل في الدين وعَدَمِ الْمُرُوءةِ وضُعف الغيرةِ، ولذلك شاع الْفحشُ والبَذاءُ في كلِّ مكانٍ.

أيّها المسلمون: ليس من الحياء أن يَسكُتَ الإنسان على الباطل والعَجَبُ كلُّ العجَبِ أنّه إذا شاهَد خارج البيت رجلاً وامرأةً يَرتكبان الفاحشة من التَّقبيل وما شابَهَه فيَغضب عليهما ويَنهَرهما ويَزجُرهما.

ولا شَكَّ أنّ ذلك بسَبَبِ الحياء ولكن مع الأَسَف الشديد يشاهد الأفلامَ الفاحشةَ والْمَسْرحيّات الماجنة على

التِّلفاز في البيت بتَلذُّذٍ وَانهماكٍ، فأين ذَهَب حياؤُه الآن ؟ فليس هذا دليلٌ إلاّ على قلَّة الحياء وعدمِ المروءة وضُعف الغيرة منه، ولا يَحسُن أن يكون ذلك الفعلُ خارِج البيت فُحشًا وبَذاءً، ويكون على شاشَة التِّلفاز داخل البيت مع مُرافَقَة الآباءِ والأُمَّهات والبنات والأَخَوات مثالُ التَّطَوُّرِ والْحَضارَة، فتَفكَّروا يا أهلَ الإيمان والإسلام إلى متى نَتعرَّض لِغَضَب الله العزيز الجبَّار، ومتَى نَتوب إلى الله تعالى؟.

أيّها المسلمون: إنّ وسائل الإعلامِ تَلعَبُ دَورًا كبيرًا في نَشر الفحش والْبَذاءِ والتَّعَرِّي فهي تُرَبِّي على ضعف الغيرة ولذلك هَبَطَ مُجتمعنا في قَعر الهلاك والرَّذيلة، فوَقَع الجيلُ الجديدُ في المحرَّمات والأخلاق الذَّميمة، وتَرَك أقداره العالية التي كانت عليها أسلافه، فيَتجرَّأُ على المعاصي والمنكرات ولا يَخشَى لومةَ لائِمٍ، وانتشَرت الأفلام والمسرحيّات والأغاني الماجِنة الهابطةُ والاحتفالاتُ الفاحشة، فكم من بيتٍ مَليءٌ بالأفلام ؟ كم من مجلسٍ مليء بالأغاني ؟ ومن أجل ذلك فَقَدَ الحياء، وأصبح الإيمان في خَطَرٍ عظيمٍ. وقال النّبيُّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم: «أربعٌ من سُنن المرسلين: التَّعطُّر

والنكاحُ والسِّواك والحياء»[1]. واعلموا إخواني المسلمين أنّ عديم الحياء لا يُعدُّ من عباد الله الصالحين ؛ لأنّه يَتطلَّع على عورات المسلمين ويَنظُرُ إلى النساء الأجنبيَّات بباعث الشّهوة، ويُشاهِد الأفلام الخليعة، ويَسمع الأغاني ويَتكلَّم بكلامٍ فاحشٍ ويَسُبُّ ويَشتِم فهو عديم الحياء والْمُرُوءة وضعيف الغيرة والنُّخُوَّة، ولا يُمكن أن تَظهَر منه مَعالِم الخير والفلاحِ؛ لأنّه قد سُلِبَتْ منه معالِمُ التّقوى والحياء، ومن الْمُشاهدة: أنّ كثيرًا من الْمُتَدَيِّنين يَتَساهلون في الحجاب وينظرون إلى المحرَّمات ويَتكلَّمون مع أَصدقائهم بكلامٍ فاحشٍ للتَّلذُّذ والاستمتاعِ ولا يُبالون بما يتكلَّمون.

أيّها المسلمون: اعلموا أنّ من يَسمع الأغاني ويُشاهِد الأفلام والمسرحيَّات ، ويَنظُر إلى الأجنبيَّات والصُّوَرِ الجميلةِ بباعث الشهوة فهو يكون من الأشقياء ولو اجتَهَدَ في العبادات والطاعات، لأنَّ الاحتراز من الذَّنب الصغير أفضل من الازدياد في النوافل والصدقات ؛ إذ لا إثم ولا وعيدَ في تَركِ التطَوُّعِ،

---

[1] أخرجه الإمام أحمد في "المسند"، باقي مسند الأنصار، حديث أبي أيوب الأنصاري رضي الله تعالى عنه، ٩/١٤٧-١٤٨، (٢٣٦٤١).

أمَّا الذَّنبُ الصغيرُ فيجِبُ الابتعادُ عنه ؛ لأنَّه قد يُؤاخَذُ في ارتكابِه فيُعاقَب عليه يوم القيامة.

أيّها المسلمون: اعلموا أنّ مَن يُفْشِي ما جَرَى بينه وبين امرأَته من قولٍ أو فِعلٍ أو نحوه حال الاستمتاعِ بها لمشاركة الأشرار والفُجَّار والارتباطِ بالبيئةِ السَّيِّئة فليَستَمِعْ إلى هذا الحديث وليَعتَبِرْ فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنَّ من أشَرِّ الناسِ عند الله منزلَةً يوم القيامة الرجلَ يُفضي إلى امرأَته وتُفضي إليه، ثُمَّ يَنشُر سِرَّها»[1].

عن سيّدنا عبد الله بن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «استَحيوا من الله حقَّ الحياء». قال: قلنا: يا رسول الله إنّا نَستحيي والحمد لله، قال: «ليس ذاك ولكنَّ الاستحياءَ من الله حَقَّ الحياء أن تَحفَظ الرَّأْس وما وَعَى والبطن وما حَوَى، ولتَذكُر الموتَ والبِلَى، ومَن أراد الآخرةَ تَرَكَ زينةَ الدنيا، فمَن فعَل ذلك فقد استَحيا من الله حقَّ الحياء»[2]. فاعلم أيّها المسلم أنّ حياء الرَّأْس وهو

---

[1] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب النكاح، صـ٧٥٣، (١٤٣٧).

[2] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب صفة القيامة، ٢٠٧/٤، (٢٤٦٦).

حِفظُه من الْمَنهِيّات كالأفكار الفاسِدة وسوء الظَّنِّ بالمسلمين، وحِفظُ أعضائه من اللّسان والعينِ والأُذُن من المنكرات، وأمّا حياء اللِّسان فهو حفظُه من الكلام الذي لا يُرضِي الله تعالى من الفحش والغيبةِ والنّميمة وغيرها من الْمَنهيَّات، وتحذيرُه من السَّيِّئات، فمَن تَكلَّم بالقبيحِ حرُمت عليه الجنّة كما قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «الجنّة حرامٌ على كلِّ فاحشٍ أن يَدخُلها»[1]. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «أربعةٌ يُؤذون أهلَ النّار على ما بهم من الأذَى، يَسعَوْن بين الحميمِ والجحيمِ، يَدعُون بالوَيلِ والثُّبور: ورجلٌ يَسيل فُوهُ قَيحًا ودمًا فيُقال له: ما بالُ الأَبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول: إنّ الأَبعَد كان يَنظُر إلى كلِّ كلمة قَذِعَة خبيثة فَيَستلذُّها كما يَستلذُّ الرَّفَثَ»[2]. عن شعيب بن أبي سعيد قال: يُقال: مَن استلَذَّ من الرَّفَثِ سال فُوهُ قَيحًا ودَمًا يوم القيامة[3].

---

[1] ذكره السيوطي في "الجامع الصغير"، صـ٢٢١، (٣٦٤٨).

[2] ذكره ابن أبي الدنيا في "موسوعته"، كتاب الصمت وآداب اللسان، ٢٠٥/٧، (٣٢٦)، والطبراني في "الكبير"، ٣١١/٧، (٧٢٢٦)، وأبو نعيم في "الحلية"، ١٩٠/٥، (٦٧٨٦)، والغزالي في "الإحياء"، ١٥٠/٣.

[3] أورده ابن أبي الدنيا في "موسوعته"، ٢٠٥/٧، (٣٢٧).

أيّها المسلمون: في هذا الحديث عبرةٌ وموعظةٌ لِمن تَكلّم بكلمةٍ فاحشةٍ خبيثةٍ لإثارة الشَّهوة، وشاهَد الأفلام والمسرحيّات الجِنسيَّةَ الفاضِحَة، وقد قال سيّدنا إبراهيم بن ميسرةَ رحمه الله تعالى: يُقال: يُؤتَى بالفاحشِ الْمُتفحِّش يوم القيامة في صُورةِ كلبٍ[1].

واعلموا أيّها المسلمون أنّ الإنسان قد يَستحيي أن يَتكلَّم بكلمة فاحشةٍ قبيحةٍ أمامَ الرجال الأشرافِ ولكن مع الأسف الشديد لا يَستحيي من خالقه الذي يَسمعه ويَراه عند اقتراف الذُّنوب والسّيِّئات.

وكان بِشر الحافي رحمه الله تعالى قليل الكلامِ جِدًّا، وكان يقول لأصحابه: انظُروا ما تُمْلونه في صَحائفكم فإنّه يُقرَأُ على ربِّكم، فيا وَيْحَ مَن تَكلَّم بقبيحٍ، ولو أنّ أحدكم أَمْلَى لأخيه كلامًا فيه قُبحٌ لكان ذلك قلّة حياء معه، فكيف بالرَّبِّ سبحانه وتعالى؟[2].

---

[1] ذكره الإمام ابن أبي الدنيا في "موسوعته"، كتاب الصمت وآداب اللسان، ٢٠٥/٧، (٣٢٩)، والغزالي في "إحياء علوم الدين"، ١٥١/٣.

[2] "تنبيه المغترين"، صـ٢٢٨.

قال النّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم: «الحياء والعِيُّ شُعبَتان من الإيمان، والبَذاءُ والبيان شعبتان من النِّفاقِ»[1]. وقال الشيخ أحمد يار خان تحت هذا اللَّفظ: «البيان»: إنّ من علامة المنافق كثرة الكلام من غير احتياط واحترازٍ وعَدَمَ المبالاةِ بالطُّغيان، فمن كثُر كلامه كثُرت ذُنوبه.

أيّها المسلمون: إنّ أولى الناس بالحياء النّساء، ولذلك كانت المرأة الصالحة تذكر زوجَها دائمًا بما يدُلُّ على التعظيم والإجلال فكانت تقول له: يا أبا فلان بدْلَ أن تذكره باسمه تكريمًا له وصونًا لكرامته، فيَنبغي على كلِّ امرأَةٍ: أن تَدعُو بأَحَبِّ الأسماء إليها وتَلتزِمَ بحُسنِ الأَدب وأُسلوب الحياء، ولكن لا حَرَجَ في ذكْرِ اسمِ الزَّوجِ أو الزَّوجَة عند الحاجة، ويَجِبُ على كلِّ مسلمٍ: أن يَحفَظ عينَيه من النَّظَر إلى ما لا يُرضِي الله تعالى وقال سيّدنا سلمانُ الفارسيُّ رضي الله تعالى عنه: لأن أَمُوت ثُمَّ أُحْيا ثُمَّ أَموت ثُمَّ أُحْيا ثَلاثًا أَحَبُّ إليَّ من

---

[1] ذكره الترمذي في "سننه"، ٣/٤١٤، (٢٠٣٤)، والإمام أحمد في "مسنده"، ٨/٣٠٨، (٢٢٣٧٥)، والبغوي في "شرح السنة"، ٦/٤١٠، (٣٢٨٧)، والسيوطي في "الجامع الصغير"، صـ٢٣٥، (٣٨٦٦).

أن أنظُر إلى عورةِ أحدٍ أو يَنظُر أحدٌ إلى عورتي[1]. وسُئِلَ حكيمٌ عن الفاسق قال: الذي لا يَغُضُّ بَصَرَهُ عن أبواب الناس وعَوراتِهم[2].

واعلموا إخواني أنّ من أعظم الْمَفاسد التي تُوجِبُ اللَّعنة النَّظَر إلى عورات الناس فقال رسولُ الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «لَعَنَ اللهُ الناظِر والمنظورَ إليه»[3].

قال الشيخ أحمد يار خان: مَن نَظَر إلى عوراتِ النساء الأجنبيَّات بالقصد والاختيار من غير عُذرٍ فعليه لعنة الله تعالى، ومَن كَشَفَتْ عن جَسَدها أمامَ الرجال الأجانبِ من غير عذرٍ واضطرارٍ فعليها لعنة الله تعالى[4]. وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لا تُبرِز فَخذَك، ولا تَنظُرنَّ إلى فَخِذ حَيٍّ ولا ميِّتٍ»[5]. فيجِب على كلِّ مسلمٍ أن يَحترِز من لُبسِ الرقيق من

---

[1] "تنبيه الغافلين"، صـ٢٥٨.

[2] المرجع السابق.

[3] "شعب الإيمان"، ١٦٢/٦، (٧٧٨٨).

[4] "مرآة المناجيح"، ٢٤/٥.

[5] أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب الجنائز، باب في ستر الميت عند غسله، ٢٦٣/٣، (٣١٤٠)، وابن ماجه في "سننه"، باب ما جاء في غسل الميت.

الثياب الواصِفَة الشَّفَّافَة للأَجسامِ عند اللَّعب والرِّياضَة البَدَنِيَّة والْمُصارَعَة والسِّباحَة، ولا يَلبَس الثِّياب التي تَكشف أكثر مِمّا تَستُر وتَشِفُّ وتَصِف مَفاتِن الجسد، ولا يَتطلَّع إلى عورات الناس ويَنبغي عند الاغتسال بالفَضاء الواسع أن يَلبَس الثِّيابَ الثَّخينَةَ الْخَشِنَةَ حَذرًا من كَشف العورة.

ورُوي عن سيّدنا يعلى رضي الله تعالى عنه: أنّ رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلَّم رأى رجلاً يَغتسِل بالبَرازِ بلا إزارٍ فصَعِدَ المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثُمَّ قال صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله عزّ وجلّ حيِيٌّ سِتِّيرٌ، يُحِبُّ الحياءَ والسِّترَ، فإذا اغتَسَلَ أحدُكم فليَستَتِر»[1].

وعن الحسن البَصرِيِّ رضي الله عنه أنّه قال: لا يَصلُح دُخول الحمَّامِ إلاّ بإزارين: إزارٍ للعورة وإزارٍ للعين يعني: يَغُضُّ بَصَرَه عن عورات الناس[2]. قال العلامة عبد الغني النابْلُسِيُّ رحمه الله: إنّ النظَر إلى عورَته أو عورة غيره يُورث الفقرَ والنسيانَ[3].

---

[1] أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب الحمام، ٥٦/٤، (٤٠١٢).

[2] "تنبيه الغافلين"، صـ٢٥٨.

[3] "الكشف والبيان فيما يتعلّق بالنسيان"، صـ٢٧.

أيّها المسلمون: إذا كان هذا حال النَّظَر إلى عورته فكيف بالنظر إلى عورات الناس؟ كيف بالمشاهدة للأفلام الفاضِحة والمسرحيّات الماجِنة؟.

كان النَّبيُّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم إذا أراد القُعود للغائط أو للبول لم يَرفَع ثوبه حتّى يَقرُبَ من الأرض مُحافظةً على التَّستُّر واحترازًا عن كشف العورة، وهذا من أَدَبِ قَضاء الحاجة كما رُوِي عن أنسٍ رضي الله عنه قال: «كان النّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم إذا أراد الحاجةَ لم يَرفَع ثوبه حتّى يَدنُوَ من الأرض»[1]. فلا بُدَّ لأَبناء الإسلام من ملازَمة الحياء في كلِّ وقتٍ، ورُوِيَ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيِّ صلّى الله عليه وسلَّم قال: «فزِنا العينِ النَّظَرُ»[2]. ومن المنقول في النَّظَر إلى الحرام: «مَن مَلأَ عينَه من الحرام ملأَ الله تعالى يوم القيامة عينه من النار»[3]. وقال ابن الجوزيِّ: النَّظَر إلى محاسن المرأَةِ سَهمٌ مَسمومٌ من سِهام إبليسَ، فمَن لم يَغُضَّ بَصَرَه عن

---

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الطهارة، ١/٩٢، (١٤).

[2] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب القدر، ٤/١٦٩، (٦٢٤٣).

[3] ذكره الغزالي في "مكاشفة القلوب"، صـ١٠.

الْمَحارم كُحِّلَ بصرُه يوم القيامة بمِروَدٍ من النار[1]. فيَجبُ على كلِّ مُسلمٍ أن يحذر من الفُحش والبَذاء ولا ينظر إلى عورات الناس ولا يختلط مع النساء، ويَغُضّ بصرَه عن المحرَّمات حياءً من الله تعالى. وقد قال الله تعالى في كتابه العظيم: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٢٤/٣٠-٣١].

أيّها المسلمون: كان رسولُ الله صلّى الله عليه وسلَّم يَغُضُّ بَصَرَه من شدَّة حيائه ولكن مع الأَسَف الشَّديد يَتطلَّع كثيرٌ من الناس إلى عورات المسلمين وعُيوبهم ويَنظُرون إلى الأجنبيّات والصُّوَر الجميلة بباعث الشَّهوةِ ويَقَعون في الفُحش والبَذاء ويَتجرَّؤون على المعاصي ولا يَخشَون لومة لائمٍ والسببُ في ذلك فُقدان الحياء فمَن قَرَأَ الرواياتِ الفاضِحة والجرائد الماجنة ومن شاهد الصُّور الفاحشة يَفسُد فكرُه

---

[1] ذكره العلامة أبو الفرج عبد الرحمن بن علي الجوزي (ت ٥٩٧هـ) في "بحر الدموع"، صـ١٧١-١٧٢.

ويَتغافلُ في الحجاب الإسلاميِّ ولا يَلتَزِمُ الحجاب عن زوجة أخيه، مع أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شَدَّدَ في هذا الأمرِ. عن عُقبةَ بنِ عامرٍ أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «إيَّاكم والدُّخول على النِّساءِ». فقال رجلٌ من الأنصار: يا رسول الله ! أفرأَيتَ الْحَمو ؟ قال: «الحموُ الموت»[1].

فاعلموا إخواني المسلمين أنّ دُخول الْحَمو على زوجة أخيه أَشدُّ من دُخول غيره من الأجانب بل ذلك يُشبِهُ الموتَ في الاستقباحِ والْمَفسَدَةِ وإنّما بالَغَ النّبيُّ صلّى الله عليه وسلّم في الزَّجر عنه لتَساهُل الناس فيه والشرُّ يُتوقَّعُ منه أَكثَرَ من غيره لتَمَكُّنه من الوُصول إلى امرأَة أخيه والمحادَثَةِ معها والنّظَر إليها بخلاف الأَجنَبيِّ ولكن مع الأَسَف الشديد أنّ الحموَ الَّذي يَرتبِط بالبيئة الْمُتديِّنة فإذا استحا أن يَدخُل على زوجة أخيه يَسخَر الناس منه ويُشَدِّد عليه أهلُ بيته ومع ذلك يَنبغي عليه: أن يَصبِر على أذاهم ولا يَقِفُ مَوقِف الْمُجادِل الْمُخالف بل يَدعُوهم إلى الخير بالحكمة والموعظة الحسَنَة، مُحافظًا على

---

[1] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب النكاح، ٤٧٢/٣، (٥٢٣٢)، والمسلم في "صحيحه"، كتاب السلام، والطبراني في "الكبير"، عقبة بن عامر الجهني.

الأحكام الشَّرعيَّة وآداب الحياء، ويَحفَظ عينَيه من النَّظَر إلى الأجنَبيَّات ومَحاسنها ويُخوِّف نفسه من العذاب كلَّما اشتَهَى أن يَنظُر إلى الْحَرام وفي "الهداية": مَن نَظَر إلى مَحاسنِ امرأَةٍ أَجنَبِيَّة عن شهوةٍ صُبَّ في عينَيه الآنُكُ يوم القيامة[1].

ويَجبُ على كلِّ مسلمٍ أن يحفظ أُذُنه من الإصغاء إلى الغيبة والنَّميمة والفُحشِ والْبَذاءِ وذكْرِ مَساوِئِ النَّاسِ، فإذا أَصغَى بها إلى شيءٍ من الْمَكارِهِ صار ما كان له عليه.

وقد رُوِيَ عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيِّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «مَن استَمَعَ إلى حديث قومٍ وهم له كارِهون، أو يَفِرُّون منه صُبَّ في أُذُنه الآنُكُ يوم القيامة»[2].

وقال صلّى الله عليه وسلّم في الحديث الطّويل: «ثُمَّ انطَلَقنا فإذا نحنُ برجالٍ ونساءٍ مُسَمَّرةٌ أعيُنهم وآذانُهم فقلت: ما هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يُرُون أعيُنَهم ما لا يَرَون ويُسمِعون آذانَهم ما لا يَسمعون»[3].

---

[1] "الهداية"، ٣٦٨/٢.

[2] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب التعبير، ٤٢٢/٤-٤٢٣، (٧٠٤٢).

[3] أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير"، ١٦٨/٧.

فيَجِب على كلِّ مسلمٍ أن يُطَهِّر نفسَه من الأَخلاق الذميمة مع تطهيرِ الجسَد ويَحترِز من لُبسِ الثِّياب التي تَكشِف أكثَر ممّا تَستُرُ وتَشِفُّ وتَصِفُ مَفاتِنَ الجسد، فقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٦/٧]. ولكن مع الأَسَف الشديد نَشَرَ بِساطُ الفُحشِ والبَذاء وخَلَعَ الإنسانُ لباس الحياء والتقوَى في لباسِ ما حَرَّمَ الله عليه ويَنبَغي على كلِّ مُؤمنٍ أن يُراعِي آداب الحياء عند الْجُلوس والرُّقودِ لئلاَّ يَقَع الناس في النظَر إلى الحرام ؛ لأنَّ صاحب اللِّباسِ الضَّيِّقِ والرَّقيق إذا وَضَع إحدى رجلَيه على الأُخرَى، أو نَصَبَ رُكبَتَيه ، أو جَلَس أو اضطَجَع على هَيئَة تُظهِر مَفاتِن الجسد يَقَع الناظِر إليه في وَرطَةٍ بسبب الحياء، فليَحذَرِ الإنسان من لُبسِ الرَّقيق الضَّيِّق من الثياب ، ولْيَلتزِم بالرِّداءِ الْمُمْتَدِّ على رُكبَتَيه مُحافَظَةً على التَّستُّر واحْترازًا من كَشف العورةِ وليَستخدِم الرِّداء الساتِر عند النوم.

عن سيّدنا بَهْز بن حكيمٍ عن أبيه عن جدِّه رضي الله تعالى عنه قال: قلتُ: يا رسول الله! عوراتُنا ما نأتي منها وما

نَـذَرُ ؟ قـال: «احفَـظ عورتَـك إلاّ مـن زوجتـك أو مـا مَلَكَـتْ يَمينُك». قال: قلت: يا رسـول الله إذا كـان القـومُ بعـضُهم في بعضٍ ؟ قال: «إن استطعتَ أن لا يَرَيَنَّها أحدٌ فلا يرينَّها». قال: قلت: يا رسول الله إذا كان أحدُنا خالِيًـا ؟ قـال: «اللهُ أحـقُّ أن يُستَحيا منه من الناس»[1].

أيّها المسلمون: احترزوا من التَّعَرِّي وكَشفِ العورة في الْخَلوة من غير ضرورةٍ، ومَن يَقتصِرون على الملابِس الداخلِيَّـة فقد يتَبَيَّن لعـوراتِهم تحـت الـسَّراويل حَجْـمٌ فيَنبغـي علـيهم أن يُبالِغوا في التَّستُّر حياءً من ربِّهـم، والعَجَـبُ ممّـن اعتَقَـدَ أنّ الله يراه، كيف يَتطَلَّع إلى عورات المسلمين ؟ كيف يَتَتَبَّع عُيوبَهم؟ كيف يَنظُر إلى النساء الأجنَبيّات والصُّوَرِ الْمُـشتَهَيات الـتي تُـثيرُ الشَّهوات والنَّـزَوات ؟ وقال النّبي صلّى الله عليه وسـلّم: «إذا لـم تَستَحيِ فَاصنَع ما شِئتَ»[2]. فالأمرُ هنا للتَّهديـد والتَّـوبيخِ أي: اصنَع ما شِئتَ فإنّ الله سَيَجزِيك، واعمَل ما شِـئتَ فإنّـك كمـا تَدِيْنُ تُدَان ؛ لأنّ الجزاء من جِنس العمل، وقـال بعـض الـسَّلَف

---

[1] أخرجه أبو داود في "سننه"، ٤/٥٧-٥٨، (٤٠١٧).

[2] أخرجه البخاري في "صحيحه"، ٤/١٣١، (٦١٢٠).

لابْنِه: إذا دَعَتْك نفسُك إلى كبيرةٍ فَارْمِ ببصرك إلى السَّماء واسْتَحِ ممَّن فيها فإن لم تَفعَل فارمِ ببصرك إلى الأرض واستَحِ ممَّن فيها، فإن كنت لا ممَّن في السَّماء تَخافُ ولا ممَّن في الأرض تَستَحِي فاعدُد نفسَك في عدَدِ البهائم[1]. قال العلماءُ الكرامُ رحمهم الله تعالى: لو قيل لرجلٍ: استَحيِ من الله تعالى وقال ذلك: لا أستَحيِي ، فهذا كفرٌ[2].

أيّها المسلمون: اعلموا أنّ صاحب الحياء يكون مُتَخَلِّقًا بأخلاق المرسلين وآداب الصالحين ؛ لأنّ الحياء والأدب مُتلازِمان كأنّهما شيءٌ واحدٌ، فلا يَنفَصِل أحدهما عن الآخر، كما كان كلُّ مؤمن في الزَّمن السابق يَتخلَّق بآداب الإيمان كالتَّعظيمِ والحياء والحِرصِ على تَوقيرِ الكبارِ والشَّفقة والرحمة بالصِّغارِ، ويَتخلَّق بأخلاقِ الإسلام وآدابه وسُنن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم، ويَستحيِي من الحضور عند الوالدين والْمُعلِّم من غير حاجةٍ فَضْلاً من أن يُحَدِّقَ النَّظَر إليهم، وكان يَغُضُّ بصره وصوتَه عند مُحادثتهم ولا يَرفَع صوتَه

---

[1] "تنبيه الغافلين"، صـ٢٥٩.

[2] "الفتاوى التاتارخانية"، ٥/٤٧٠، ملتقطاً.

فـوق صـوتِهم ويَمتثِـل أوامِـرهم ويُنـادي الكِبـار بالألقـابِ المحمودةِ، وكان يُنـزِّل الناس منازلهم.

ولكن مع الأَسَف الشديد تَغَيَّرَت الأحوال في زماننا وحَلَّت الأخلاقُ الذَّميمة وتَقاليدُ الأغيارِ مكانَ آداب الإسلام والسنَّة، وانتَشَرَ الفُحش والبَذاءُ، وعَمَّ الهلاك والفسادُ، وانْعَدَمَ الحياء والإيمان ، وقلَّ التَّمَسُّك بالشَّريعة المصطَفَوِيَّة فالصغير لا يَحترِمُ الكبير ، والكبيرُ لا يُشفِقُ على الصَّغيرِ، والوَلَد يَعُقُّ والديه ويُقَصِّر في الخدمة والإحسان إليهما ، ولا يُؤَدِّي حقَّهُما كما أمَرَ الإسلام ، والآباءُ لا يَقومون بحُسنِ التَّربية لأولادهم، ولا يكونون قُدوَةً لهم في التَّخَلُّقِ بالقرآن، وأصبَحَ التِّلميذ عارِيًا من الآداب والإخلاص ومُقَصِّرًا في طَلَبات الأستاذ وحُقوقه، ولم يَبقِ الأستاذُ شفيقًا وحليمًا وقُدوةً في التَّطبيق والالتزام فعَمَّ الفسادُ في الْمُجتمَعِ ، وأَصبَحَت الحياةُ مُرَّةً وشَنيعَةً ، بل فَقَدَت السكينة والاطمئنان، أمّا السَّلَفُ الصَّالِحُ فقد كانت حياتُهم قُدوَةً في الحياءِ والإيمانِ وَالالتزامِ بالشَّريعة والتَّمَسُّك بِقِيَم الإسلام، ها هو سيّدنا أبو يزيدَ البسطامِيُّ رحمه الله تعالى قد قال له الأستاذ: جِئْ بالكتاب من عند المحراب، فسَأَلَه عن

المحراب، قال الأستاذُ: إنّك عندي مُنذُ زَمَنٍ طويلٍ، ولم تَرَ المحراب، قال البسطاميُّ رحمه الله تعالى: لم أَرفَع رأسي بحَضرَتك قطُّ فضلاً عن أن أَرَاهُ[1].

أيّها المسلمون: إنّ سيّدنا البِسطامِيَّ رحمه الله تعالى كان من الأولياء الكبار، وكان يَغُضُّ بَصره ويَخْفِضُ رأسه ولا يَنظُر إلى متاعِ غيره ؛ لأنّ زيادةَ الحياء تُثمِرُ زيادةَ الأدب، فيَنبغي على كلِّ مؤمنٍ: أن يُراعِيَ آداب العلمِ والعُلَماءِ.

عن ابن أبي الْهُذيلِ قال: عاد عبدُ الله رجلاً ومعه رجلٌ من أصحابه، فلمَّا دخَل الدّار جعل صاحبُه يَنظُر، فقال له عبد اللهِ: والله لو تَفَقَّأَتْ عيناك كان خيرًا لك[2].

عن سيّدنا ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ من الشَّجر شَجَرةً لا يَسقُطُ وَرَقُها، وإنّها مَثَلُ المسلم، فحدِّثوني ما هي ؟» فوقَع الناس في شَجَرِ البَوادي، قال عبد الله: ووقَع في نفسي أنّها النَّخْلَةُ، فاسْتَحيَيتُ، ثُمَّ قالوا: حدِّثنا ما هي يا رسول الله؟ قال:

---

[1] "تذكرة الأولياء"، صـ١٣٠.

[2] أخرجه البخاري في "الأدب المفرد"، صـ٣٣٣، (١٣٠٥).

«هي النَّخلة»[1]. في هذا الحديث صُورةٌ عظيمة من الحياء والأدب ودرسٌ عظيمٌ في توقيرِ الكِبار وآداب حُضور المجالس، فيَنبغي للمُتعلِّمِ أن يُصغِي إلى الشَّيخ ، ويَجتنب المداخلةَ إلاّ حال الضّرورة.

ويَنبغي على كلِّ مؤمنٍ: أن يَعزِم النيَّة من الآن على أن يُواظِب على السَّفر في سبيل الله مع قوافل الدّعاة إلى الله تعالى لثلاثة أيّامٍ في كلِّ شهرٍ، ويَمْلأُ كُتَيبَةَ "الجوائز المدنيَّة" الْمُحتوِية على الأعمال الصالحات.

اللَّهم طَهِّر مجتمعَنا من أسباب الفتن والفساد وجنِّبنا موجِبَات الهلاك والعقاب وهَيِّئ لنا من أمرِنا رُشدًا وأصلِح لنا شُؤُوننا واغفر لنا ذنوبنا وكَفِّر عنَّا سَيِّئاتنا وتَوَفَّنَا مع الأبرار يا ذا الجلال والإكرام، اللَّهم صلِّ وسلِّم على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

---

[1] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب العلم، باب قول المحدث: حدثنا أو... إلخ، ١/٣٧، (٦١)، والمسلم في "صحيحه"، صـ١٥١٠، (٢٨١١).

القصر الخراب

لفضيلة الشيخ الداعية الكبير أبي بلال محمد إلياس العطار
القادري الرضوي حفظه الله تعالى

تعريب
مجلس التراجم

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمد خاتَم الأنبياء وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه الطَّيِّبين الطّاهرين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، **أمّا بعد:**

فقد قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلَّم: «من صلّى عليَّ في يومٍ ألف مَرَّةٍ لم يَمُتْ حتّى يَرَى مَقْعَدَه من الجنّة»[1].

صلّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمد

عن أبي القاسم الجنيد رضي الله تعالى عنه قال: دَخَلْتُ الكوفةَ في بعض أسفاري، فرأَيتُ دارًا لبعضِ الرُّؤَساءِ وقد شَفَّ عليها النَّعيم وعلى بابها عَبيدٌ وغِلمانٌ، وفي بعض رَواشِنها جارِيةٌ تُغَنِّي، وهي تَقول:

أَلا يا دارُ لا يَدخُلكِ حُزْنٌ	ولا يَعْبَثُ بِساكِنكِ الزَّمانُ
فنِعْمَ الدّارُ أنتِ لكلِّ ضَيفٍ	إذا ما الضَّيفُ أَعوَزَه المكانُ

[1] أورده عبد العظيم المنذري (ت ٦٥٦هـ) في "الترغيب والترهيب"، ٣٢٦/٢، (٢٥٩١)، والزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) في "الاتحاف"، ٢٧٤/٥.

قال: ثُمَّ مَرَرْتُ بها بعدَ مُدَّةٍ فإذا البابُ مُسَوَّدٌ والجميعُ مُبَدَّدٌ، وقد ظَهَرَ عليها كآبةُ الذُّلِّ والهوان وأَنشَدَ لسانُ الحال:

ذَهَبَتْ مَحاسِنُها وبانَ شُجُونُها	وَالدَّهْرُ لا يُبْقِي مَكانًا سالِمًا
فَاسْتَبْدَلَتْ من أُنْسِها بِتَوَحُّشٍ	ومن السُّرُورِ بِها عَزَاءً راغِمًا

قال: فسأَلْتُ عن خَبَرِها فقيل لي: مات صاحبها فَآلَ أَمرُها إلى ما تَرَى فَقَرَعْتُ الباب الذي كان لا يُقْرَعُ فكَلَّمَتني جاريةٌ بكلامٍ ضَعيفٍ فقلتُ لها: يا جاريةُ ! أينَ بَهجَةُ هذا المكان وأين أنوارُه وأين شُمُوسُه وأَقْمارُه وأين قُصَّادُه وأين زُوَّارُه ؟ فبَكَتْ ثُمَّ قالت: يا شيخ ! كانوا فيه على سبيل العارية ثُمَّ نَقَلَتْهُم الأَقْدار إلى دار القَرارِ وهذه عادة الدنيا تُرَحِّلُ مَن سَكَنَ فيها وتُسِيءُ إلى مَن أَحسَنَ إليها فقُلتُ لها: يا جاريةُ! مَرَرْتُ بها في بعض الأَعْوامِ وفي هذا الرَّوشَنِ جاريةٌ تُغَنِّي:

ألا يا دارُ لا يَدْخُلكِ حُزْنٌ

فبَكَتْ وقالت: أنا والله تلك الجاريةُ ولم يَبقِ من أهلِ هذه الدّار أحدٌ غيري فَالوَيلُ لِمَن غَرَّتْهُ دُنياهُ[1].

---

[1] ذكره اليافعي في "روض الرياحين"، الحكاية الرابعة عشرة بعد المئتين، صـ٢٠٤، وابن الجوزي في "التبصرة"، ٢٦٩/١، واللفظ لليافعي.

أيّها المسلمون: انظُروا إلى هذه الحكاية كيف وَقَعَتْ هذه على أهل هذه الدّار وهم مع ذلك مُشتغِلون بزينة الدنيا ولذّاتِها ومُنْهَمكون في شَهَواتِها، وهم مُتشاغِلون عن ذكرِ قبورِهم، ومُستَغرِقون في المعاصي والْخُمُور والملاهي والمزْمارِ، ومُنْغَمِسون في اتِّخاذ البُيوت والقُصُور ولكن قد خَرَجَتْ أكفانُهم من عند القَصَّارِ، وهم غافلون عنها، فجاءَتْهم الآجالُ، وخَذَلَتْهم الآمال، فأَصبَحوا في ظُلُمات القبُور وأَصْبَحَتْ أَصواتُهم هامِدةً، خامِدةً من بعد طُولِ تَقَلُّبِها، وأَجسادُهم بالِيةً وديارُهم خالِيةً وآثارُهم عافِيةً، هذه الحكايةُ مَليئَةٌ بالعبرة والموعظة، فالعَجَبُ لمن يَعلَم أنّ الحياة الدنيا زائلةٌ وفانِيةٌ ومَتاعُ الغُرور، فكيف يَنْكَبُّ عليها مع نسيانِ الموتِ نسيانًا كاملاً ؟ وهذا الخبرُ ممَّا يُنبِّه على الْحَذَر من غرُور الدنيا وقد قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٣٥/٥]. وَاتَّخَذَ سيِّدنا نوحٌ عليه السلام بَيتًا من جِصٍّ، فقيل: لو بَنَيْتَ ما هو أحسَنُ مِن هذا، قال: هذا كثيرٌ لمن يَموت[1].

---

[1] "العقد الفريد" لأحمد بن محمد الأندلسي (ت ٣٢٨هـ)، كتاب الزمردة في المواعظ والزهد، قولهم في الموت، ١٣٦/٣.

ولكن مع الأَسَف الشَّديد نحنُ مُنهمِكون في بِناءِ البُنيان وتَشْييدِ الْمَعاقِل، وغافِلون عن الموت وسَكَراتِه والقبرِ وأهوالِه، وقال شاعرٌ:

زَيَّنْتَ بيتَك جاهلاً وعَمَرْتَهُ	ولَعَلَّ غيرَك صاحبُ البيتِ
مَنْ كانتِ الأيّامُ سائِرَةً به	فكأنّه قد حلَّ بالموتِ
والمَرءُ مُرتَهَنٌ بِسَوْفَ ولَيْتَني	وهَلاكُهُ في السَّوْفِ وَاللَّيْتِ
للهِ دَرُّ فَتًى تَدَبَّرَ أَمْرَهُ	فغَدا وراحَ مُبادِرَ الْمَوتِ[1].

واعلموا إخواني المسلمين أنّ النبيَّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم كان يَكرَه التَّطاول في البُنيان والاستِغراقَ في زَخْرَفَته، كما رُوِيَ عن سيِّدنا أنس بن مالكٍ رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم خَرَجَ، فرأى قُبَّةً مُشْرِفَةً فقال: «ما هذه؟». قال له أصحابه: هذه لفلان، رجل من الأنصار قال: فسَكَتَ، وحَمَلَها في نفسه حتّى إذا جاء صاحبُها رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم، يُسَلِّمُ عليه في الناس أَعْرَضَ عنه، صَنَعَ ذلك مِرارًا حتّى عَرَفَ الرجلُ الغَضَب فيه والإعراضَ عنه،

---

[1] أورده الأندلسي في "العقد الفريد"، ١٣٧/٣، والإمام ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١هـ) في "موسوعته"، كتاب المتمنين، ٣٥١/٣، (٢١٦).

فشَكا ذلك إلى أصحابه رضي الله عنهم أجمعين، فقال: والله ! إنّي لأُنْكِرُ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قالوا: خَرَج فرَأَى قُبَّتَك فرجَع الرجلُ إلى قُبَّته فهَدَمَها حتّى سَوَّاها بالأرض، فخَرَجَ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم ذات يومٍ فلَم يَرَها، فقال: «ما فَعَلَت القبَّة؟». قالوا: شَكا إلينا صاحبُها إعراضَك عنه فأخبَرناه فهَدَمَها، فقال: «أما إنّ كلّ بناءٍ وَبالٌ على صاحبه إلاّ ما لا، إلاّ ما لا». يعني: ما لا بُدَّ منه[1].

قال الشيخ أحمد يار خان النَّعيميُّ رحمه الله تعالى في شرح هذا الحديث: إنّ النّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم لم يأمُره بِهَدمِ القُبَّة، ولم يَقُل بِعَدَمِ الجواز، ولكنّه رضي الله عنه عَرَفَ أنّ النّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم كان غَضِب عليه لأَجْلِ بناءِ القبَّة فهدَمها إرضاءً لِلنّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم.

واعلموا أيّها المسلمون أنّ هذا ليس بإسراف ؛ لأنّه يَقومُ به غَرَضٌ أساسِيٌّ، وهو إرضاءُ الحبيب صلّى الله تعالى عليه وسلّم، بل هذه الصَّفْقَةُ رابحةٌ، رَخِيصةٌ إن رَضِيَ رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم بِهَدْم القبَّة، كما ظَهَر من قصَّة سيِّدنا

---

[1] أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب الأدب، ٤/٤٦٠، (٥٢٣٧).

إبراهيمَ خليل الله على نبيِّنا وعليه الصلاة والسلام أنَّه استَعَدَّ لذَبْحِ وَلَده لرِضَا الله عزّ وجلّ[1].

عن أبي زَكريَّا التَّيميِّ قال: بينما سليمانُ بن عبد الملك في المسجد الحرامِ إذ أُتيَ بِحَجَرٍ مَنقورٍ، فطَلَبَ مَن يَقرَؤُه، فأُتيَ بوهب بنِ مُنَبِّه، فقَرَأَه، فإذا فيه: يا ابن آدمَ ! إنّك لو رَأَيتَ ما بَقِيَ من قُربِ أَجَلك لَزَهِدْتَ في طول أمَلك ولَرَغِبتَ في الزِّيادة من عمَلك، ولَقَصَّرْتَ من حِرصك وحِيَلك، وإنّما يَلقاك غَدًا نَدَمُك لو قد زَلَّتْ بك قدمُك، وأَسْلَمَكَ أهلُك وحَشَمُكَ فبانَ منك الولدُ القريب ورَفَضَك الوالدُ والنَّسيبُ، فلا أنت إلى دنياك عائدٌ، ولا في حَسَناتك زائدٌ، فَاعمَل لِيومِ القيامة قبل الحسرة والنَّدامة[2].

فيَنبغِي على المسلم أن يُحاسبَ نفسَه وأن يُراجِع أعمالَه، وأن يُدَقِّقَ فيها النَّظَرَ، وأن يُقلِعَ عن المعصية، وأن يَنْدَمَ على فعلها، ولا يَغْتَرُّ بطولِ الأمَل، ولا يَقترِف الذّنوب ويَشتغِل

---

[1] "مرآة المناجيح"، ٢١/٧.

[2] أورده الإمام ابن أبي الدنيا في "موسوعته"، كتاب قصر الأمل، ٣١٨/٣، (٦٨)، وأبو الفرج عبد الرحمن المعروف بـ"ابن الجوزي" في "ذمّ الهوى"، الباب الخمسون فيه وصايا ومواعظ وزواجر، صـ٤٣٦.

بالأعمال الصالحات ويَستعِدُّ للآخرة، وإنّما يَنفَعه الطَّاعة في الدنيا والآخرة، ولا يَحصُل على الفكر في الآخرة إلا إذا جَعَلَ الموتَ نصبَ عينه، ولم يَتأَثَّرْ بمَتاعِ الدنيا، ولَمَّا فَرِحَ بالدنيا فيَجب عليه أن يَعلَم أنّه يَقُودُه عُمُره إلى أجَله، وتَقُودُهُ حياتُه إلى موته، وحُكِيَ أنّه نَظَر ابنُ مُطيعٍ رحمه الله تعالى ذات يومٍ إلى داره، فأعجَبَه حُسنُها، فبَكَى وقال: والله ! لولا الموتُ لكنتُ بك مَسْرورًا، ولولا ما نَصيرُ إليه من ضَيْقِ القبور لَقَرَّتْ بالدنيا أعيُنُنا، ثُمَّ بَكَى بُكاءً شديدًا حتّى ارتَفَعَ صوتُه[1].

وحُكِيَ أنّه دَخَلَ مَلَك الموت على سيِّدنا داود عليه السلامُ، فقال له: مَن أَنت؟ قال: أنا الذي لا يَهابُ الملوك، ولا تَمنَع منه القصُور، ولا يَقبَل الرِّشَا، فقال: إذَنْ أنت مَلَك الموت، وإنّي لم أَستَعِدَّ بعد، فقال له: يا داود ! أين فلانٌ جارُك ؟ أين فلانٌ قريبُك ؟ قال: ماتا، قال: أما كان لك في موت هؤُلاء عِبرةٌ ؛ لِتستعِدَّ بها، ثُمَّ قبَضَه عليه السلام[2].

---

[1] أخرجه الإمام ابن أبي الدنيا في "موسوعته"، كتاب قصر الأمل، ٣/٣٦٢، (٢٧٢)، وذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذكر الموت وما بعده، الباب الثاني في طول الأمل وفضيلة قصر الأمل وسبب طوله وكيفية معالجته، ٥/١٩٦.

[2] "المستطرف" لمحمد بن أبي أحمد الأبشيهي، ٢/٤٧٤.

فينبغي لكلّ مسلم أن يُكثر من ذكر موته ويستعدّ للآخرة ومع ذلك يُزَكِّي قلبَه ويُطَهِّرهُ من المهلكات، ويَجلِس مع حُضور القلب السَّليم من مُنكَرات الأخلاق، ويَتَذَكَّرُ أحبابه وأصدِقاءَه الَّذين ماتوا ويَتخيَّلهم عنده، ثُمّ يَنظُر ويَتفكَّر في أحوالهم كيف كانوا يَحرِصون على الدنيا ويُشَمِّرون لِعمارتِها مع نِسيان الآخرة ؟ كيف كانوا يَشتغِلون عنها ويُسَوِّفون في العمَل لها ؟ كيف كانوا يُطيلون الآمال ؟ كيف كانوا يَتحمَّلون الْمَشَقَّة وَالذُّلَّ في طَلَب الدنيا ؟ وكم من عَمَلٍ لم يَستكمِلوه وكم مِن هَدَفٍ لم يَصِلوه ؟ وكانوا راغبين في زينة الدنيا ولذّاتِها، ولكن قد خَرَجَتْ أكفانُهم من عند القَصَّار، وهم غافِلون عنها، فجاءَتْهم الآجال، وخَذَلَتْهم الآمالُ وسَلَبَتْهم بَهاء النّعمة ففارَقوا الأَحبَّةَ والأهلَ، وصار آباؤُهم في غمٍّ، ورَكِبَ أزواجَهم الْهَمُّ وتَرَدَّدَتْ في الطُّرُقاتِ أبناؤُهم، وتَوَزَّعَتْ وَرَثَتُهم ديارَهم وأموالَهم.

ثُمّ يتفكَّر وينظُر في أحوال قبورهم، لَعَلَّها خَرَقَتِ الأكفانَ، ومزَّقَتِ الأَبدانَ، ومَسَخَتِ الوجوهَ، وهَدَمَتِ الأَسنان اللامِعَة، وسارَتِ العُيُونُ الْحَسَنَةُ على الْخُدود، وانتَثَرَتِ

الأشعار، ولَصِقَت الدِّيدانُ بالأبدان، ومَصَّت الدَّمَ وأَكَلَت اللَّحْمَ، وصَارَ الماءُ الَّذي في الفمِ صَديدًا، والذي في العينينِ قيحًا، والذي في الأنفِ دَمًا، وسَقَطَت الْحَدَقَتانِ على الوجه، وفَرَقَتِ الكَتِفان من الذِّراعين، والرُّكبتان من الساقين، وَالسَّاقان من القدمين، والدُّودُ يَدخُل من الفمِ ويَخرُج من الْمَنخَرِ.

ثُمّ يَتفكَّر في نفسه كيف أنّه يصير إلى هذه الحالة ويكون في حال النزعِ ويحضُر الأقارب وفي أثناءِ ذلك تُغْمَضُ العينانِ، ويُوضَع الرِّداءُ، وتَرتفِع الأصواتُ، ثُمّ يُدْعَى الغَسَّالُ فيَضَعه على السَّرير ويُغَسِّله، ويُكَفِّنه ثُمّ يَضَع الناس جَنازتَه على عواتقهم، ويُخرِجونه من بيته الذي قَضَى عُمره فيه، وبَذَلَ كلَّ جُهْدٍ في بنائه ويَذهَبون بجَنازته إلى الْمَقبرة.

ثُمّ يَهِيلون عليه التُّراب ويُدَفِّنونه، ويَنْصَرِفون عنه، ولا يَدخُل قبرَه معه غيرُه مع ضَيْقه ووَحشَته، ثُمّ يُخَوِّفُ نفسه أنّه يَتغيَّر لونُه ويَتمزَّق بَدَنُه وتأكُله الدِّيدان، وتَنتشِر العِظَام، ويَجيءُ مُنكَرٌ ونكيرٌ، ويَسألانه، ثُمّ يتفكّر فيما بعد القبر من حَشر ونَشر وصراطٍ وموقَف وانصِراف إلى الجنَّة أو إلى النَّار، فبالاستِحْضَارِ لهذه المعاني يَحصُل الفِكْرُ في ذكرِ الموت،

ويَميل القلبُ إلى الأَعمال الصَّالحات ويَزْداد نَشاطُ الامتثال للأوامر والاجْتناب عن الذّنوب، وينبغي على كلِّ مسلمٍ أن يَتعَوَّد قراءةَ هذه الرسالة أو سماع هذه المحاضرةِ مرَّةً على الأقلِّ في كلّ شهرٍ فيُفيدُه ذلك إن شاء الله عزّ وجلّ.

أيّها المسلمون: إنّ السَّلَف الصالح رحمهم الله تعالى كانوا يُكثرون من ذكر الموت ولذلك كانوا يَحترِزون من الذُّنوب والانهماك في لذَّات الدنيا ويَستعِدّون للأعمال الصالحات ويَخافون من ربِّهم.

وعن يزيد الرَّقاشيِّ قال: دَخَلنا على عامر بنِ عبد الله وهو يَبكي بُكاءً شديدًا، قلنا له: ما أبكاك؟ فقال: أبكاني الليلة الَّتي صَبِيحَتُها يوم القيامة[1].

قال الإمام الغزاليُّ رحمه الله تعالى: جَديرٌ بمن الموت مَصرَعُه والتُّرابُ مَضجَعُه والدُّودُ أنيسُه ومُنكَرٌ ونَكيرٌ جليسُه والقبرُ مَقَرُّه وبَطنُ الأرضِ مُستقَرُّه والقيامة مَوعِده والجنَّة أو النارُ مَورِدُه: أن لا يكون له فِكرٌ إلاّ في الموت ولا ذِكرٌ إلا له

---

[1] ذكره الإمام ابن أبي الدنيا في "موسوعته"، كتاب الرقة والبكاء، ٢٣٠/٣، (٣٠٠)، وابن عساكر في "تأريخ مدينة دمشق"، ٣٦/٢٦.

ولا استعدادٌ إلاّ لأجلِه ولا تَدبيرٌ إلاّ فيه ولا تَطَلُّعٌ إلاّ إليه ولا تَعريجٌ إلاّ عليه ولا اهتمامٌ إلاّ به ولا حَولٌ إلاّ حَولَه ولا انتظارٌ ولا تَرَبُّصٌ إلاّ له وحَقيقٌ بأن يَعُدَّ نفسه من الموتَى ويَراها في أصحاب القبور فإنّ كلَّ ما هو آتٍ قريبٌ والبعيدُ ما ليس بِآتٍ[1]. وقال النَّبيُّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «الكَيِّسُ مَن دَانَ نفسَه، وعَمِلَ لِما بعدَ الموت»[2].

كان يزيدُ الرَّقاشيُّ رضي الله تعالى عنه يقول: مَن كان الموتُ مَوعِدَه، والقبرُ بيتَه، والثَّرَى مَسكَنَه، والدُّودُ أنيسَه، وهو مع هذا يَنتظِر الفَزَعَ الأَكبَرَ، كيف تكون حالتُه، ثُمّ يَبكي حتّى يُغشَى عليه[3]. وعن سيِّدنا مالك بن دينارٍ رضي الله عنه قيل له: كيف أَصبَحتَ ؟ قال: كيف يُصبِح مَن كان مُنقَلَبُه من دارٍ إلى دارٍ، ولا يَدرِي إلى الجنَّة يصير أم إلى النار[4].

---

[1] "إحياء علوم الدين"، كتاب ذكر الموت وما بعده، ٥/١٩١.

[2] ذكره الترمذي في "سننه"، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، ٤/٢٠٨، (٢٤٦٧)، وابن ماجه في "سننه"، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، ٤/٤٩٦، (٤٢٦٠)، والحاكم في "المستدرك على الصحيحين"، ٥/٣٥٧، (٧٧١٤)، والطبراني في "المعجم الصغير"، صـ٣٦.

[3] "المستطرف"، الباب الحادي والثمانون، ٢/٤٧٧.

[4] "تنبيه الغافلين" لأبي الليث السمرقندي، صـ٣٠٦.

قال سيِّدنا عمرُ بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه في خُطبته: إنّ الدنيا لَيْسَتْ بدارِ قرارِكم دارٌ كَتَبَ الله عليها الفَناء، وكَتَبَ على أهلِها الظَّعْنَ عنها ، فكَم من عامرٍ مُوثِقٍ عمَّا قليلٍ يَخرَبُ ، وكَم من مُقيمٍ مُغْتَبِطٍ عمَّا قليلٍ يَظعَنُ ، فأَحسِنوا رَحِمَكم الله منها الرِّحلَةَ بأحسنِ ما بحَضرتِكم من النُّقْلَة، وتَزَوَّدوا، فإنّ خير الزَّاد التَّقوى[1].

وَعِظَ الإمام الشَّافعيُّ رحمه الله تعالى أخًا له في الله وخَوَّفَه بالله فقال: يا أخي ! إنّ الدنيا دَحضٌ مَزَلَّةٌ، ودارٌ مَذَلَّةٌ، عِمْرانُها إلى الخراب صائرٌ وساكنُها إلى القبُور زائرٌ، شَمْلُها على الفُرقَة مَوقوفٌ وغِناها إلى الفقر مَصروفٌ، الإكثارُ فيها إعْسارٌ والإعسارُ فيها يَسارٌ فَافْزَعْ إلى الله وَارْضَ برزق الله لا تَتَسَلَّفْ من دارِ بَقائك إلى دار فنائك، فإنّ عِيشَتَك فَيْءٌ زائلٌ وجدارٌ مائلٌ، أكثر من عَمَلك وأَقصر من أمَلك[2].

قال عليٌّ بن أبي طالبٍ رضي الله تعالى عنه: إنّ أَخوَفَ ما أخافُ عليكم اثنَتين: اتِّباعُ الْهَوَى، وطُولُ الأَمَلِ، فأمَّا اتِّباعُ

---

[1] "إحياء علوم الدين"، كتاب ذكر الموت وما بعده، ٥/٢٠١.

[2] "إحياء العلوم"، ٣/٢٥٩، و"الزهد وقصر الأمل" للشيخ أسعد الصاغرجي، صـ٦١.

الْهَوَى فيَصُدُّ عن الحقِّ، وأمّا طُولُ الأملِ فيُنسِي الآخرة، أَلا وإنّ الآخرة قد ارتَحَلَتْ مُقبِلَةً، ألا وإنّ الدنيا قد ارتَحَلَتْ مُدْبِرَةً، ولكلٍّ واحدةٍ منهما بَنُونٌ، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإنّ اليوم عَمَلٌ ولا حِسابٌ، وغَدًا حِسَابٌ ولا عَمَلٌ[1]. وآخرُ خُطبَةٍ خَطَبَ بها عثمان رضي الله تعالى عنه في جَماعة: إنّ الله عزّ وجلّ إنّما أعطاكم الدنيا لِتَطلُبوا بها الآخرة، لم يُعْطِكموها لتَرْكَنوا إليها، إنّ الدنيا تَفْنَى والآخرةُ تَبقَى، لا تُبْطِرَنَّكم الفانية ولا تَشغَلَنَّكم عن الباقية، فَآثِرُوا ما يَبقَى على ما يَفنَى فإنّ الدنيا مُنقطِعةٌ وإنّ المصيرَ إلى الله، اتَّقوا الله فإنّ تَقواهُ جُنّةٌ من بأسِه ووسيلةٌ من عنده[2].

فنسأل الله تعالى أن يُوقظَنا من رقدات الغفلة، ويُوَفِّقَنا للتَّزَوُّدِ من التقوى قبل النُّقلة، ويَرْزُقَنا اغتنامَ الأوقات في ذي المهلة، ويَغْفِرَ لنا ولوالدينا ولجميعِ المسلمين.

---

[1] ذكره الإمام ابن أبي الدنيا في "موسوعته"، ٣/٣١٣، (٤٩)، وابن الجوزي في "صفة الصفوة"، الجزء الأوّل، ١/١٦٩، وأبو نعيم في "الحلية"، ١/١١٧، (٢٣٥)، وأخرجه البخاري في "صحيحه"، بلفظ: قال علي رضي الله تعالى عنه: ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت... إلخ، ٤/٢٢٤.

[2] وردت هذه الخطبة في "تأريخ مدينة دمشق"، عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أميّة، ٣٩/٢٣٨، و"البداية والنهاية" لابن كثير، ٥/٣٠٨.

الخزينة المليئة بالأسرار

لفضيلة الشيخ الداعية الكبير أبي بلال محمد إلياس العطار
القادري الرضوي حفظه الله تعالى

تعريب
مجلس التراجم

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمد خاتَم الأنبياء وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه الطَّيِّبين الطّاهرين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، **أمّا بعد:**

فقد قال محمّد بن سعيد بن مُطَرِّف: كنتُ جَعَلتُ على نفسي كلَّ ليلةٍ عند النَّوم إذا أَوَيتُ إلى مَضْجَعي عَدَدًا معلومًا أُصَلِّي على النَّبيِّ فإنّي في بعض اللَّيالي قد أكمَلْتُ العَدَدَ فأخَذَتْني عَيْنايَ وكنتُ ساكنًا في غُرْفَةٍ وإذا أنا بالنَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم قد دَخَل عليَّ من باب الغرفة فأضاءَت الغرفةُ به نورًا ثُمّ نَهَضَ نَحْوي وقال: هاتِ هذا الفمَ الذي يُكثِرُ الصلاةَ عليَّ أُقبِّله فكنتُ أَستَحيي أن أُقبِّلَه في فيه فاستَدَرْتُ بوجهي فقبَّلَ في خَدِّي فَانتَبَهتُ فَزِعًا من فَوري وانتَبَهَتْ صاحِبَتي التي لِجَنْبي وإذا البيتُ يَفوح مِسكًا من رائِحَته وبَقِيَتْ رائحة المسكِ من قُبْلَته في خَدِّي نَحوَ ثمانيةِ أيّامٍ، تَجِدُ زَوجَتي كلَّ يومٍ الرَّائحة في خَدِّي[1].

صلّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمد

---

[1] ذكره السخاوي في "القول البديع"، صـ٢٨١.

أيّها المسلمون: إنّ الله سُبحانه وتعالى ذَكَرَ في سورة الكَهْفِ قِصَّة الْخَضِرِ مع موسى عليهما الصلاة والسلام، وكانتْ فيها عبرةٌ ومَوعِظَةٌ لمن يَعتبِر ويَتدبَّر:

إنّ موسى والخضِر عليهما السلام انطَلَقا حتّى إذا أَتَيا أهل قَريَةٍ استَطْعَما أهلَها فأَبَوا أن يُضَيِّفوهما فوَجَدا فيها جدارًا يَقْرُب أن يَسقُطَ لِمَيلانه فأقامه الخضر عليه السلام بيَده قال له موسى عليه السلام: لو شِئْتَ لاتَّخَذْتَ عليه أَجرًا حيثُ لم يُطْعِمونا ولم يُضَيِّفونا مع حاجَتنا إلى الطَّعام فقال له الخضر عليه السلام: هذا الجِدارُ كان لِغُلامَينِ يَتيمَيْنِ وكان تَحتَه مالٌ مدفونٌ من ذهبٍ وفضَّةٍ لهما وكان أبوهما صالحًا فَحُفِظَا بصلاحه في أنفسهما ومالهما وأَراد رَبُّك أن يَبْلُغا أشُدَّهما ويَستخرِجا كَنْزَهما رَحمَةً من رَبِّك وقيل: هو الأَبُ السَّابع وقيل: العاشر[1]. وعن ابن عبّاسٍ رضي الله عنهما قال: إنّ الله يُصلِح بصَلاحِ الرجلِ وَلَدَهُ ووَلَدَ وَلَدِه ويَحفَظه في ذُرِّيَّته وأهل دُوَيْرَتِه ودُوَيْرَاتٍ حَولَه فما يَزالون في سِترٍ من الله وعافيةٍ[2].

---

[1] "حاشية الصاوي"، ١٢١٣/٤.

[2] "الدر المنثور"، ٤٢٢/٥.

عن سيِّدنا ابنِ عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله لَيَدفَع بالمسلمِ الصَّالحِ عن مئة أهلِ بيتٍ من جيرانِه البلاءَ»[1].

أيّها المسلمون: اعلموا أنّ المسلمَ الصالح تَنتظِم به مَصالِح وَلَدِه ووَلَد ولَده وتَنْصَلِحُ أحوالُ ذُرِّيَّته حتّى يَستفيد الجيران ببَرَكَته ويندفعُ البلاءُ عنهم بصَلاحه. وعن عثمانَ رضي الله عنه أنّه قال في قوله تعالى: ﴿وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ٨٢/١٨]: الكَنزُ لَوْحٌ من ذَهَبٍ، وعليه سَبعَةُ أَسْطُرٍ، مَكتُوبٌ في أَحد جانبيه: عَجِبْتُ لِمَن عَرَفَ الموتَ وهو يَضحَك وعَجِبتُ لمن عرَف الدنيا فانيةً وهو يَرْغَبُ فيها وعجبت لمن عرف أنّ الأُمور بإِقدارٍ وهو يَغْتَمُّ للفَواتِ وعجبت لمن عرف الحسابَ وهو يَجمَع مالاً وعجبتُ لمن عرف النارَ وهو يُذْنِبُ وعجبتُ لمن عرف الله يقينًا وهو يَذكُر غيرَه وعجبتُ لمن عرف الجنّة يقينًا وهو يَستريح بالدنيا وعجبتُ لمن عرف الشَّيطان عدُوًّا فأطاعه[2].

---

[1] "المعجم الأوسط"، ١٢٩/٣، (٤٠٨٠)، و"الجامع الصغير"، صـ١١٢، (١٧٩٤).
[2] "المنبّهات"، صـ٨٣-٨٤.

أيّها المسلمون: إنّ في هذا الحديث العظيم من الآيات البيِّنات والدُّرُوس والْعِبَر البالغات، والعَجَبُ كلُّ العجَبِ لمن يُؤمِن بالموت وهو يَضحَك بالغفلة والعَجَبُ لمن يَعرِف الدنيا وتَقَلُّبَها وهو يَطمئِنُّ إليها والعَجَبُ لمن يُؤمِن بالقَدرِ وهو يَحزَن للفَواتِ والعجبُ لمن يُؤمِن بالحساب وهو يَغْفُل ويَجمَع مالاً والعجبُ لمن يَعلَم أنّه يُفارِق الدنيا وهو يَنكَبُّ عليها ويَقطَع أيَّامَه لِمَحَبَّتها! والعجبُ لمن يَعلَم أنّه راجعٌ إلى الله تعالى وهو يَنحرِفُ عنه ويَلتفِت لغيرِه والعجب لمن يَعلم أنّ في جهنَّمَ عَقارِبَ وحَيَّاتٍ وهو يَرتَكِبُ السَّيِّئاتِ.

رَوَى الطَّبراني عن عمرَ بن الخطَّابِ رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «يا جبريل ! صِفْ لي النارَ، وانْعَتْ لي جهنَّم» فقال جبريلُ: فهي سَوْداءُ مُظْلِمَةٌ، لا يُضِيء شَرَرُها، ولا يُطْفَأُ لَهَبُها، والذي بَعَثَك بالحقِّ لو أنّ قَدرَ ثَقْبِ إِبْرَةٍ فُتِحَ من جهنَّم لَمات من في الأرض كلُّهم جميعًا من حَرِّه، والذي بَعَثَك بالحقِّ لو أنّ ثَوبًا من ثياب النار عُلِّق بين السماء والأرض لمات من في الأرضِ جميعًا من حَرِّه، والذي بعثك بالحقِّ لو أنّ خازِنًا من خَزَنَةِ جهنَّم بَرَزَ إلى أهلِ الدنيا،

فنظروا إليه لمات من في الأرض كلّهم من قُبْحِ وجهه ومن نَتنِ ريحه، والذي بعثك بالحقِّ لو أنّ حَلْقَةً من حِلَقِ سِلْسِلَةِ أهل النار التي نَعَتَ الله في كتابه وُضِعَتْ على جبالِ الدنيا لارْفَضَّتْ وما تَقارَّتْ حتّى تَنتَهِيَ إلى الأرضِ السُّفْلَى[1]. وقال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «إنّ في النار حيّاتٍ كأَمْثالِ أعناقِ البُخْتِ تَلْسَعُ إحداهنَّ اللَّسْعَةَ فيَجدُ حَمْوَتَها أربعين خريفًا، وإنّ في النار عَقارِب كأمثالِ البِغالِ الْمُوكَفَةِ تَلسَع إحداهنَّ اللَّسعَةَ فيَجدُ حَمْوَتَها أربعين سَنَةً»[2]. عن أبي سعيد عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «الصَّعودُ جَبَلٌ من نارٍ يَتَصَعَّدُ فيه الكافرُ سبعين خريفًا ويَهوِي به كذلك منه أبدًا»[3].

فالعجبُ لِمَن يَعلَم ذلك كيف يَغفُل عمَّا لا بُدَّ من كونه؟! كيف يَحرص على الدنيا ويُشَمِّرُ لِعمارتها حتّى يَقطَعَ ليلَه ونَهارَه بالتَّفكُّر في إصلاحها ويَشتغِل عنها ويُسَوِّفُ في العَمَلِ لها، ولا يَزال في هذا الطريق حتّى إنّه لَيَصِلُ إلى الْمُنحدَرِ

---

[1] أخرجه الطبراني في "الأوسط"، اسمه إبراهيم، ٢/٧٨، (٢٥٨٣)، ملتقطاً.

[2] أخرجه الإمام أحمد في "المسند"، ٦/٢١٦، (١٧٧٢٩).

[3] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم، باب: تفسير سورة المدثر، ٤/٢٦٠، (٢٥٨٥).

فيَقَع في الْمُحَرَّمات دون أن يُبالي ويَتجرَّأ على المعاصي ولا يَخشَى لَومَةَ لائِمٍ، ويَتغافل عن جوعِ أهلِ النار وعذابهم عند التَّلذُّذ بالأَطعِمَةِ الشَّهِيَّةِ والنِّعَمِ الرَّفيعَةِ في هذه الدنيا التي نِعَمُها في الزَّوال سَريعَةٌ.

عن سيّدنا أبي الدَّرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «يُلقَى على أهل النار الجوعُ فيَعدِلُ ما هم فيه من العذاب فيَستغيثون فيُغاثون بطَعامٍ من ضَريعٍ لا يُسْمِنُ ولا يُغني من جوعٍ، فيَستغيثون بالطَّعامِ فيُغاثون بطَعامٍ ذي غُصَّةٍ، فيَذكُرون أنّهم كانوا يُجيزون الْغُصَصَ في الدنيا بالشَّراب، فيَستغيثون بالشَّراب فَيُرفَعُ إليهمُ الحميم بكلاليبِ الحديد، فإذا دَنَتْ من وُجوههم شَوَتْ وجوهَهم، فإذا دَخَلَتْ بُطونَهم قَطَّعَتْ ما في بطونهم»[1].

ورَوى سَمُرَة بن جُنْدَبٍ رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «رأيتُ اللَّيلَة رجلَين أتياني، فأَخَذا بيدي، فأَخرجاني إلى الأرض الْمُقَدَّسة فإذا رجُلٌ جالسٌ ورجلٌ قائمٌ بيده كَلُّوبٌ من حديدٍ، إنّه يُدخِلُ ذلك

[1] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب صفة جهنم، ٤/٢٦٣، (٢٥٩٥).

الكلُّوب في شِدْقه، حتّى يَبلُغَ قَفاهُ، ثُمَّ يَفعَل بشِدقه الآخَر مثل ذلك، ويَلتَئِمُ شِدقُه هذا فيَعود فيَصنَع مثلَه، قلتُ: طَوَّفتُماني اللَّيلة فأَخْبِراني عمّا رأيتُ، قالا: نَعَم، أمّا الذي رأيتَه يُشَقُّ شِدْقُه فكذَّابٌ يُحَدِّثُ بالكَذْبَةِ، فتُحْمَلُ عنه حتّى تَبلُغَ الآفاقَ، فيُصنَع به إلى يومِ القيامة»[1].

عن أنس بنِ مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «لَمَّا عُرِجَ بي مَرَرْتُ بقومٍ لهم أظْفارٌ من نُحاسٍ يَخمُشون وُجوهَهم وصُدُورهم، فقلتُ: من هؤلاء يا جبريلُ ؟ قال: هؤلاء الذين يأكُلون لُحومَ الناس، ويَقَعون في أَعراضِهم»[2].

أيّها المسلمون: احتَفِظُوا بأوقاتكم الثَّمِيْنَة، فإنّ مُدَّةَ حياتكم مَحدودةٌ، وأنفاسَكم مَعدودةٌ، فكلُّ نفَسٍ يَنقُصُ به جُزءٌ منكم، والعُمُرُ كلُّه قَصيرٌ، والباقي منه هو اليسير، وكلُّ جُزءٍ منه جوهرةٌ نفيسةٌ لا عَدلَ لها ، ولا خَلْفَ منها ، فإنّ

---

[1] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الجنائز، باب ما قيل في أولاد المشركين، ٤٦٧/١، (١٣٨٦)، ملتقطاً.

[2] أخرجه أبو داود في "السنن"، ٣٥٣/٤، (٤٨٧٨)، والبيهقي في "شعب الإيمان"، باب في تحريم أعراض الناس...إلخ، ٢٩٩/٥، (٦٧١٦).

بهذه الحياة اليسيرة خُلودَ الأبد في النَّعيمِ ، أو العذابَ الأَليمَ في الجحيمِ، واجْتهدُوا وشَمِّرُوا وبادِروا دائمًا بالأعمالِ الصالحاتِ من قبلِ ألاَّ تَجِدوا إليها سبيلاً، واغْتَنموا فُسْحَةَ الْمَهْلِ من قبلِ أن يَفجَأَكم الأجلُ ثُمّ بعد الموت سَتُنْزَلون وتُحْبَسون في قبر شديدِ الظَّلام وضَيقِ المكان، إنّكم تَسمَعون وتَرَون كلَّ شيءٍ لكن لا تَستطيعون الْحَراك، ولا يَنفَع الْمَرءَ في قبره غيرُ التَّقوى والعَمَلِ الصَّالحِ، فإيَّاكم أن تُضَيِّعوا أوقات العُمُرِ وأيّامَه وأَنفاسَه فيما لا خيرَ فيه، وإيّاكم أن يُحَجِّبَكم حُبُّ الدنيا عن طريقِ الوُصول إلى الله.

حُكِيَ عن صالحِ الْمَرقَدِيِّ رضي الله عنه أنّه مَرَّ بِبَعْضِ الدِّيارِ، فقال: يا ديارُ! أين أهلُك الأوَّلون ؟ وأين عُمَّارُك الماضُون ؟ وأين سُكَّانُك الأمونُ ؟ فهَتَفَ به هاتفٌ: انقَطَعَتْ آثارُهم وبَلِيَتْ تحتَ التُّرابِ أجسامُهم وبَقِيَتْ أعمالُهم قلائد في أعناقهم[1]. واعلَموا إخواني المسلمين أنّ العبدَ الصالِح يكون فِكرُه عظيمًا ؛ لأَنَّ حُسنَ تَفكُّره في الدنيا وسُرعةِ زَوالها وكثرة أَكْدارِها وأَشغالِها يُثمِرُ الزُّهد في الدنيا والتَّجافي عنها

[1] "المنبّهات"، صـ١٩-٢٠.

وقِلَّةَ الرَّغبَة فيها ويَبعَث على التَّشميرِ والجِدِّ في طاعة الله تعالى وإقامةِ حقِّه تعالى وحالُنا هذا نحنُ كلَّما نَرَى الدِّيارَ نَغبِطُ ويَصيرُ القلبُ والجسمُ مُستغرِقَينِ في التَّفكُّر في الدِّيارِ ونَتَكاسلُ عن الطَّاعات والقُرُباتِ ونَتشاغلُ عنها بأمورِ الدنيا والشَّهَوات ويَنبَغي علينا أن نَعكِسَ الأمرَ فنُشَمِّرُ للآخرة التي هي دارُ البقاءِ ومَوطِنُ الإقامة وأمّا الدنيا فهي دارُ زوالٍ وانتقالٍ وسَنَرتَحِلُ منها إلى الآخرة، وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ أَخْوَفَ ما أَتَخوَّف على أمّتي الْهَوَى وطُولُ الأمَلِ، فأمّا الهوى فيَصُدُّ عن الحقِّ، وأمّا طُولُ الأمَلِ فيُنسِي الآخرةَ، وهذه الدنيا مُرتَحِلةٌ ذاهبةٌ، وهذه الآخرةُ مُرتحِلةٌ قادِمةٌ، ولكلٍّ واحدةٍ منهما بَنُونٌ، فإن استَطَعتُم أن لا تكونوا من بني الدنيا فافعلوا فإنّكم اليومَ في دار العَمَلِ ولا حسابَ وأنتُم غَدًا في دار الحسابِ ولا عَمَلَ»[1].

أيّها الأحبّة: إنّ من المهلكات العظيمة اتِّباعَ الهوَى وإنّ من أَضَرِّ الأشياء على الإنسان طُولَ الأَمَلِ وذلك يَحمِل على الحرص على الدنيا والتَّشميرِ لعمارتِها حتّى يَقطَعَ الإنسان ليلَه

[1] أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"، ٧/٣٧٠، (١٠٦١٦).

ونَهارَه بالتَّفكُّر في إصلاحها ويَجمَع مالاً ويَحصُل على شَهادات العلومِ العصريَّة ويكون في أمرِ دنياه مُبادرًا مُشَمِّرًا وفي أمرِ الآخرة مُسَوِّفًا مُقَصِّرًا حتّى إنّه يكون من أبناءِ الدنيا لكن اعلموا يا أهلَ الدِّيارِ أنّ الدنيا لا يَشبَع أحدٌ منها قَطُّ وإنّما هي فانيةٌ. وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿كَمْ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ۝٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ۝٢٦ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ۝٢٧ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ۝٢٨ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ﴾ [الدخان: ٤٤/٢٥-٢٩].

أيّها المسلمون: أرأيتم كَم من الأَغنياءِ باغَتْهم الموتُ فذَهَبوا إلى ربِّهم بلا زادٍ ولا مَتاعٍ ولا زُرُوعٍ ولا مَقامٍ كريمٍ، ووَرِثَ أموالَهم قومٌ آخَرون، وما بَكَتْ عليهم السماءُ والأرضُ ولم يَدخُل قبرَهم معهم غيرُ العمَل.

أيّها المسلمون: كان في موت هؤلاء عبرةٌ فاعتَبِروا بها وارجعوا إلى ربِّكم وأَنيبوا إلى خالقكم لَعَلَّ الله سبحانه وتعالى يُحَوِّلُ أحوالَكم إلى أَحسَن أحوالٍ وتُوبُوا إلى الله توبةً نصوحًا لَعَلَّكم تُفلِحون فإنّ أَبوابَ التّوبةِ مَفتوحةٌ واجْتَهِدوا في جَبْرِ ما انْكَسَرَ وتَقوِيَةِ ما ضَعُفَ وإصلاحِ ما فَسَدَ من عباداتِ الناس

وأخلاقهم وعاداتِهم فإنّ ذلك من أحسَن الأقوال وأفضلِ الأعمالِ وشَمِّرُوا وبادِرُوا دائمًا بالأَعمالِ الصالحاتِ من قبلِ ألاَّ تَجِدوا إليها سبيلاً وَاغْتَنِموا فُسْحَةَ الْمَهْلِ من قبلِ أن يَفجَأَكم الأجلُ ويُغَسِّلكم الغاسِلُ ويُكفِّنُكم ويَحملكم ويُدْلِيكم في قبوركم فإنّكم غَرَضٌ للآفاتِ وهَدَفٌ مَنْصوبٌ لسِهامِ الْمَنِيَّاتِ.

وفي الختام نسأل الله تعالى أن يَتُوبَ علينا قبل أن تشهد علينا الجوارح ويسامحنا فإنّه الحليم المسامح وينفعنا بما عَلَّمَنا ويعَلّمنا ما ينفَعُنا فَمنهُ الفضل والْمَنائح، وصلَّى الله وسلَّم على سيّدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليمًا كثيرًا.

أسباب سوء الخاتمة

لفضيلة الشيخ الداعية الكبير أبي بلال محمد إلياس العطار
القادري الرضوي حفظه الله تعالى

تعريب
مجلس التراجم

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، **أمّا بعد:**

فقد حُكِي أنّ رجلاً رأَى في المنامِ شخصًا واحدًا وعلى رأسه قَلَنْسُوةُ المجوسِ فسألَهُ وقال: بِماذا؟ قال: إذا جاء ذكرُ النَّبيِّ صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم لَم أُصلِّ عليه فسَلَبَني اللهُ الإيمانَ والمعرفةَ[1].

أيّها المسلمون: إنّ الْمَعاصي من الأسباب الْمُؤَدِّية إلى سوء الخاتمة، ولكن اعلَموا أنَّ من رأى في المنامِ رجلاً يقول: سَلَبَني اللهُ الإيمانَ والمعرفةَ فلا يُحكَمُ عليه بالكفرِ؛ لأنَّ منامَ غيرِ النَّبيِّ ليس بحُجَّة شرعًا.

قال العلماءُ الكِرامُ: إنَّ الصلاةَ على النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم تَكونُ فرضًا في العمُرِ مرّةً، وتجب في كلِّ مجلس مرّةً وإن تَكرَّرَ ذِكرُه صلّى الله عليه وسلّم، ويَنْدُبُ تكرارُ الصّلاةِ في

[1] "سبع سنابل" لعبد الواحد البلغراميّ، صـ٣٥.

المجلس الواحد كلَّما جَرى ذكرُه صلّى الله عليه وسلّم[1].

فينبغي للمسلمِ أن يُلْزِمَ نفسَه تكرارَ الصّلاةِ على النبيِّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم كلّما ذُكِرَ عملاً بظاهرِ الأحاديثِ ولا يَحْرِمُ نفسَه الثوابَ والأجرَ، وإذا كتبَ اسمَ النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم فينبغي أن يُصلِّي عليه ولا يَستَعمِل حَرفَ (ص) أو (صَلْعَمْ) رمزاً لكلمةِ (صلّى الله عليه وسلّم)، بل يَكتُبُ صلّى الله عليه وسلّم، فقد قال العلامةُ الطَّحْطَاوِيّ رحمه الله تعالى: يُكْرَهُ الرَّمزُ بالصلاة والتَّرَضِّي بالكتابة بل يُكتبُ ذلك كلُّه بكماله[2].

فينبغي أن يعمَلَ بالأسباب التي تُوْصلُ إلى حُسْن الخاتمة ويَبتعد عن جميعِ الأسباب التي تَنْشَأُ عنها سوءُ الخاتمة، وقال بعضُ العلماء: الأسبابُ المُقْتَضِيَةُ لسوء الخاتمة والعياذ بالله أربعةٌ: التَّهاوُنُ بالصّلاة وشُرْبُ الْخَمر وعُقُوقُ الوالدَين وأذَى المسلمين[3]. فمِن الْمُؤْسِفِ نحنُ نجد من المسلمين اليومَ من لا يُقيمون الصّلاة ولا يُحافِظون عليها فلا يُصَلّون مع الجماعة

---

[1] انظر "الدر المختار" و"ردّ المحتار"، ٢/٢٧٨.

[2] "حاشية الطحطاوي" على "الدر"، ١/٦.

[3] "شرح الصدور"، باب علامة خاتمة الخير، صـ٢٧.

ولا يأتون بشروطها وأركانها وواجباتها ولا يُبالون بالطّهارة ولا يُصَلّون في الوقت ولا يَطْمَئنّون في القيام والقعود والركوع والسجود، ونجدُ من المسلمين اليومَ من يَنْغَمِسون في شُرْب الخمر وعُقُوق الوالدَين وتَحْزينهما ونَهْرِهما وزَجْرِهما والتَضَجُّرِ من أوامرِهما وتقطيب الْجَبينِ أمامَهما والنّظَرِ إليهما شَزْرًا والإشاحةِ بالوجه عنهما وقلَّة الاعتداد برأيهما وإثارَةِ الْمُشْكلاتِ أمامَهما ونجدُ من المسلمين اليومَ من يَنْهَمِكون انهماكَ الغافلِ في التعَدِّي على الخلقِ في دمائهم وأَمْوالِهم وأعراضِهم وإزهاق نُفوسِهم ظلمًا وعُدوانًا فيا أيّها المسلمون اجتَهِدوا وشَمِّروا وبادِروا بالأعمال الصالحة، واستَغفِرُوا لذنوبِكم وارجِعوا إلى ربِّكم وتُوبوا إلى الله تعالى تَوبةً نَصوحًا.

فإنَّ التوبةَ في اللغةِ: الرُّجُوعُ إلى الله تعالى، وأركانُها ثلاثةٌ لا بُدَّ منها حتَّى تَصِحَّ التوبةُ: النَّدَمُ على ما عَمِلَ من السيِّئاتِ، وتَرْكُ الْمَعصيَةِ في الحالِ، والعزمُ على أن لا يَعُودَ إلى مثلِها، وبهذا القدرِ تَتِمُّ التوبةُ إلاّ في الفرائضِ التي يَجِبُ قضاؤُها فتَحتاجُ التَّوبةُ فيها إلى القضاء، وينبغي للمسلمِ أن يَتُوبَ إلى الله تعالى بردِّ الْمَظالمِ إلى أهلِها وقضاء الدُّيونِ

وإرضاء الْخُصوم، ويجتنب الأسبابَ التي تُفْضِي إلى سوء الخاتمة، ويحتَرِز من المعاصي؛ لأنّ المعاصي بَرِيدُ الكفرِ.

فقد حُكيَ أنّ تلميذًا لِلْفضيلِ بنِ عِياضٍ رضي الله تعالى عنه حَضَرَتْه الوفاةُ، فدَخَلَ عليه الفضيلُ وجلَس عند رأسه وقرَأَ سورةَ يس، فقال: يا أستاذُ لا تَقْرَأْ، فسَكَتَ؛ ثمّ لَقَّنَه، فقال: قُل: لا إله إلاّ الله، فقال: لا أقولُها؛ لأنّي منها بَريءٌ، وماتَ على ذلك؛ فدخل الفضيلُ منزلَه وجعل يَبْكِي أربعين يومًا لَم يَخرُجْ من البيت، ثُمّ رآه في النّوم وهو يُسْحَبُ به إلى جهنّمَ، فقال: بِأيِّ شيء نَزَعَ اللهُ المعرفةَ منكَ، وكنتَ أعْلَمَ تلامذتي؟ قال: بثلاثة أشياء: أوّلُها: النَّمِيْمَةُ: فإنّي قلتُ لأصحابي بخلاف ما قلتُ لك. والثّاني: الحسد: حَسَدْتُ أصحابي. والثّالثُ: كان بي علّةٌ فجئتُ إلى الطبيب فسألتُه عنها، فقال: تَشرَب في كلِّ سنة قَدَحًا من خمر، فإن لم تَفعَل تَبْقَى بكَ العلّةُ، فكنتُ أشرَبُه[1]. نعوذ بالله من السّخْط الَّذي لا طاقةَ لنا به ونَستَغفِرُه من جميع سَيِّئاتنا، وفي "الدرّ المختار": ما ظَهَرَ من الْمُحْتَضَرِ

---

[1] ذكره حجّة الإسلام الإمام الغزالي في "منهاج العابدين"، الأصل الثالث في ذكر ما وعد وأوعد في المعاد، صـ١٦٥.

من كلمات كُفرِيَّة يُغتَفَرُ في حقِّه ويُعامَلُ مُعاملَةَ موتى المسلمين حملاً على أنّه في حالِ زوالِ عقله[1].

أيها المسلمون: إنّ داءَ النَّميمة انْتَشَرَ بينَ بعضِ النّاس وهي أن يَنْقُلَ الرجلُ كلامَ الغيرِ بينَ النّاس يذهَبُ إلى الشخص ويقولُ: قال فيكَ فُلانٌ كذا وكذا بقصدِ الإفساد وإلقاء العَداوة والبَغْضاءِ بينَ المسلمين ولا يَعْلَمُ أنّه بنميمته هذه أصْبَحَ من الْمُفسِدين في الأرض والْمُتَعَرِّضين لعقوبة الله تعالى.

فقد قال رسولُ الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «الْهَمَّازون واللَّمَّازون والْمَشَّاؤون بالنَّميمة الباغون للْبُرَآءِ العَنَتَ يَحْشُرُهم اللهُ في وُجوهِ الكِلاب»[2]. وقال سيِّدنا حُذَيْفَةُ رضي الله تعالى عنه: سمعتُ النَّبيَّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم يقول: «لا يَدْخُلُ الجنَّةَ قَتّاتٌ»[3].

فَيَنبغي للْمُسلمِ أَن يَحترِزَ من الحسد والغيبة والنَّميمة وغيرِها من الْمُهْلِكات العظيمة التي هي من كَبائرِ الذُّنوب ومن

---

[1] "الدر المختار"، كتاب الصلاة، باب صلاة الجنازة، ٣/٩٦.

[2] "الترغيب والترهيب"، الترهيب من النميمة، ٣/٣٢٥، (١٠).

[3] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الأدب، ٤/١١٥، (٦٠٥٦).

أسباب عذاب القبرِ وعذاب النّارِ وسوء الخاتمة، ومع الأَسَف الشَّديد نحن نَجدُ من أكثرِ النّاس اليومَ من لا يَحْفَظون اللّسانَ ولا يُلْزِمون أنفسَهم السُّكوتَ، ويَحْسُدون على القليلِ والكثيرِ ويُغْرون الإخوانَ على الإخوان بالنَّميمة والغيبة والبُهتان في كلِّ مجلس، وما عَلِموا أنّهم بذلك وَقَعوا في المهلكات العظيمة.

أيّها المسلمون: إنّ خَطَرَ اللّسانِ عظيمٌ وأمْرَه مُخيفٌ، ولا نَجاةَ من خطَرِه إلاّ بالصَّمْت وتَرْكِ النُّطق إلاّ عند الحاجة بقدرها، فقد قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: «مَن كَثُرَ كلامُه كثُرَ سَقَطُه، ومن كثر سقطه كثرت ذنوبُه، ومن كثرت ذنوبُه كانت النّارُ أولى به»[1]. وقال صلّى الله عليه وسلّم: «طُوْبى لِمن عَمِلَ بعلم وأَنْفَقَ الفضلَ من مالِه وأمْسَكَ الفضلَ من قولِه»[2]. وعن بعضِ الصّحابة قال: إنّ الرجل ليُكَلِّمُني بالكلامِ، لَجَوابُه أشْهى إلَيَّ من الماء الباردِ إلى الظَّمْآنِ، فأتْرُكُ جوابَه، خِيْفةً أن يكونَ فُضولاً[3].

---

[1] "حلية الأولياء"، ٨٧/٣، (٣٢٧٨)، و"المعجم الأوسط"، ٤٧/٥، (٦٥٤١).

[2] أخرجه الطبراني في "الكبير"، ٧١/٥، (٤٦١٦).

[3] ذكره الغزالي في "الإحياء"،كتاب آفات اللسان، ١٤١/٣.

إخـواني المـسلمين ومـن أعْظَـمِ المهلكـات: الحـسَدُ للمسلمين، عن أنسٍ رضي الله عنه أنّ رسولَ الله صلّى الله عليـه وسـلّم قـال: «الحـسدُ يأكـلُ الْحَـسَنات، كمـا تأكُـلُ النّـارُ الْحَطَبَ»[1]. ومعنى الحسد: أن تَتَمَنّى زوالَ نعمةِ المحسودِ إليكَ[2]. ومن علاماته أن تَجدَ في الصدر والقلب ضَيقًا وحرجًا وكَراهيةً لنعمـة أنْعَـمَ اللهُ بهـا علـى عبـد مـن عبـاده في دينـه أو دنياه، حتّى إنّكَ تَحْسُدُه بـأن تتمنَّـى زوالَ نعمتِـه عنـه وتَتَمَتَّـعَ بنعمتـه وتَفْـرَحَ بمـصيبته وأن تَـشْمَتَ بِبَلِيَّتِـه وتَهْجُـرَه وتُقاطِعَـه وتَتَكَلَّمَ فيه بما لا يحلُّ مـن كـذْب وغيبـةٍ ونميمـة وإفـشاء سِـرٍّ وهَتْكِ سِتْرٍ وغيرِه، وأن تَهْزَأَ وتَسْخَرَ منه وتَمْنَعَه حَقَّه من قـضاءِ ديـنٍ أو صـلةِ رَحْـمٍ أو ردِّ مَظْلِمَـةٍ وكـلُّ ذلـك شـديدُ الإثم والتَّحريم، ومع ذلك انتـشَرَت المعاصـي بـين النَّـاس وانعـدمت مُؤاساةُ ذوي الحاجاتِ والرّحمـةُ بالمـسلمين والـشَّفقةُ علـيهم، وأمّا السلفُ الصّالحُ فكانوا يُعاشِرون المسلمين مُعاشرةَ الإخْـوَةِ في التَّحابُب والتّـصافي وتَجَنُّـبِ التَّجـافي والتـزامِ اللِّـين والرِّفـقِ

---

[1] أخرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب الزهد، باب: الحسد، ٤/٤٧٣، (٤٢١٠).

[2] ذكره ابن منظور في "لسان العرب"، ١/٨٢٦.

والبَشاشَةِ وجَلْبِ الْمَنافِعِ ودَفْعِ الْمَضارِّ والإغاثَة والإعانة وجَلْبِ الْمَسارِّ، فقد حُكِيَ أنّ الشيخ ضياء الدّين أحمد القادري المدني رحمه الله تعالى فقد قيل له: كيف وجدتَ أهلَ المدينة؟ قال: إنّهم كانوا من أهلِ الخيرِ والصّلاحِ، وقد بلَغَنا أنّ رجلاً أراد توزيعَ ثِياب على الفقراء والمساكين فخَرَجَ إلى بزّازٍ؛ ليَشْتَرِي منه ثِيابًا، فقال: بِكَم هذه الثّيابُ؟ قال البزّازُ: إنّي أقدِرُ على أن أبِيْعَكَ هذه الثيابَ، ولكِن ألتمسُ منك أن تَشْتَرِي من هذا البزّازِ، فإنّي كَسَبْتُ كثيرًا من المال، ولكنّه كَسَبَ قليلاً من المالِ، رحمهم الله تعالى وغفر لنا بهم. فينبغي للمسلمِ أن يحرِصَ على تفريجِ كَرْبِ المسلمين وقضاء مَصالحِهم وحاجاتِهم، ويحترز من الكذب والغيبةِ والنّميمةِ وغيرِها من المهلكات العظيمة التي تُفضي إلى سوء الخاتمة.

أيها المسلمون: ومن أسباب سوء الخاتمة: النّظرُ إلى الْمَرأةِ والأَمْرَدِ مع الشَّهوة كما ظَهَر من هذه الحكاية أنَّ عبد الله بن أحمد الْمُؤَذِّن رحمه الله تعالى قال: كُنْتُ أطوفُ حولَ الكعبةِ وإذا برجلٍ مُتَعَلّقٍ بأستارِها وهو يقول: اللّهمّ أخْرِجْني من الدنيا مسلماً لا يَزيدُ على ذلك شيئًا، فقلتُ له: ألا تَزيدُ على

هذا الدُّعاء شيئًا ؟ فقال: لَو علِمتَ قصّتي ! فقلتُ له: وما قِصّتُكَ؟ قال: كان لي أخوان وكان الأكبرُ منهما مُؤَذِّنًا، أذَّنَ أربعين سنةً احتسابًا فلمّا حَضَرَه الموتُ دَعا بالمَصحف فظَنَنَّا أنّه يَتَبَرّكُ به ويقرَأُ منه شيئًا، فأخَذَه بيده وأشْهَدَ على نفسه مَنْ حَضَرَ: أنّه بَرِيءٌ ممَّا فيه، ثم تَحَوّلَ إلى دينِ النّصرانيَّة فماتَ نصرانيًّا، فلمّا دُفِنَ أذّنَ الآخَرُ ثلاثين سنةً فلمّا حَضَرَه الموتُ فعَلَ كما فعَلَ الأَخُ الأَكبرُ، فمات على دينِ النّصرانيّة أيضًا، نعوذ بالله من مكرِه، وإنّي أَخافُ على نفسي أن أصيرَ مثلَهُما، فأنا أدْعُو اللهَ أن يَحْفَظَ عليَّ ديني، قال: فقُلْتُ: ما كان ذنبُهما؟ قال: كانا يَتْبَعانِ عورات النِّساء ويَنْظُران إلى الشَّباب[1].

أيّها المسلم: ابتَعِدْ عن المعاصي وَاتَّقِ اللهَ، إلى متى تَميلُ إلى المهلكات ؟ وإلى متى تَنْظُرُ إلى النِّساء الأجنبيَّات؟ وإلى متى تَرْغَبُ بمُشاهَدَةِ الصُّوَرِ الجميلة بباعِثِ الشَّهوة ؟ أمَا آنَ لك أنْ تتوبَ وتَلْتَزِمَ بالحجاب الشَّرعيّ عن الأجنبيّات وتُبالِغَ في الإعراض عن الْمُرْدانِ وعن النَّظَرِ إليهم وعن التَّلذُّذ

---

[1] ذكره الشيخ شعيب الحريفيش (ت ٨٠١هـ) في "الروض الفائق"، المجلس الثاني في قوله: ﴿الرحمن، علّم القرآن﴾ صـ١٤.

بمُخالَطَتهم ومُجالَستهم ومُصافَحَتهم ومُلاعَبَتهم ومُباسَطَتهم ومُعانَقَتهم مع الشَّهوة؟ وَاعْلَمْ أنّ النَّظَرَ إلى وَجْه الصَّبِيِّ الأَمْرَدِ الْحَسَنِ الوجهِ بالشَّهوة حرامٌ، بل كُلُّ من يتأَثَّرُ قَلْبُه بجمالِ صورةِ الأمردِ فيَجِبُ عليه أن يَحْفَظَ عَيْنَه عن وجهه، وذكر إسماعيل حَقّي رحمه الله تعالى في "روح البيان": أنّ القاضي قال: سمعتُ الإمامَ يقول: إنّ مع كلِّ امْرَأةٍ شيطانين ومع كلِّ غلامٍ ثمانيةَ عَشَرَ شيطانًا[1].

أيّها الأحبّة ومن أسباب سوء الخاتمة: تَرْكُ الحجِّ مع الاستطاعة كما رُوِيَ عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: «من لم يَمْنَعْه عن الحجّ حاجةٌ ظاهرةٌ، أو سلطانٌ جائرٌ، أومرضٌ حابسٌ، فماتَ ولم يَحُجّ، فَلْيَمُتْ إن شاء يهوديًّا، وإن شاء نصرانيًّا»[2].

في هذا الحديث نهايةُ التَّشديد على من مات ولم يَحُجّ مع الاستطاعة وخِيْفَ عليه زوالُ الإيمان، فينبغي للمسلم أن يعْمَلَ بالأسباب التي تُوْصِلُ إلى خَيْرَيِ الدّنيا والآخرةِ ويحترزَ

---

[1] "روح البيان"، سورة الأعراف، ١٩٨/٣.

[2] "سنن الدارمي"، ٤٥/٢، (١٧٨٥)، و"شعب الإيمان"، ٤٣٠/٣، (٣٩٧٩).

من جميعِ الأسباب التي توصِلُ إلى النّار، وقد جاء في رجلٍ ممَّن كان يَلْعَبُ بِالشِّطْرَنْج أنّه اُحتُضِر فقيل له: قُل: لا إلهَ إلاّ اللهُ، فقال: شَاهَك، ثم ماتَ فَغَلَبَ على لسانه ما كان يَعْتادُه في حال حياته من اللَّعب بها، فقال ذلكَ اللَّغْوَ الْباطِلَ عِوَضَ كلمَةِ الإخلاصِ ونظيرُ ما ذُكِرَ عَن هَذا الْمَختُومِ لهُ بقوله: [شَاهكَ] ما جاء عن إنسان كان يُجالِسُ شَرَبَةَ الْخَمرِ، فلمَّا اُحتُضِرَ لُقِّنَ الشَّهادَةَ فقال لمن يُلَقِّنُهُ: اشْرَبْ وَاسْقِنِي ثُمَّ مات فلا حَولَ ولا قُوَّةَ إلاّ باللهِ العليِّ العظيم.

وهكذا مَن عظم معه شرّه تتعَذَّرُ توبَتُه ويُخْشى عليه من سوءِ الخاتمة وهذا من خَذلانِ الشيطان للإنسان عند الموت، فإنّ هَذه المعرَكة هي مَعْرَكَتُه الأَخيرةُ. وعن سفيانَ الثَّوريّ رضي الله تعالى عنه أنّه خَرَجَ إلى "مكّة" حاجًّا فكان يَبْكي من أوّلِ اللّيلِ إلى آخرِه في المحملِ، فقال له شيبانُ الراعي: يا سفيانُ لِم بكاؤُك ؟ إن كان لأجلِ المعصيةِ فلا تَعْصِه، فقال سفيانُ: أمّا الذّنوبُ فما خَطَرَتْ ببالي قَطّ صغيرُها ولا كبيرُها، وليس بُكائي يا شيبانُ من أجلِ المعصية، ولكن من خوفِ الخاتمة؛ لأنّي رأيتُ شيخًا كبيرًا كَتَبْنا عنه العلمَ وعَلَّمَ النّاسَ

أربعين سنةً، وجاوَرَ بيتَ الله الحرامِ سنين، وكانت تُلْتَمَسُ بَركتُه ويُسْتَسْقى به الغيثُ، فلمَّا ماتَ تَحَوَّلَ وجهُه عن القبلةِ وماتَ إلى الشرق كافرًا فما أخافُ إلاّ من سوء الخاتمة، فقال له: إنّ ذلك من شُؤْمِ المعصيةِ والإصرار على الذّنوب، فلا تَعْصِ رَبَّك طَرْفَةَ عينٍ[1].فينبغي للمسلم أن يخافَ من سوء الخاتمة ولا يَعْجَب بعلمه وعمله ولا يأمَنُ مَكْرَ الله، فإنّه لا يَدري أيَسْلَمُ له الإيمانُ عند الموت أم لا؟ ويَسأل اللهَ حسنَ الخاتمة بالإيمان، فإنّ الشيطانَ كان عَبَدَ اللهَ ثمانين ألفَ سنةٍ فَلم يَتْرُكْ موضعَ قدمٍ إلاّ وسَجَدَ لله تعالى فيه سجدةً، ولكنّه تَكبَّرَ على أمرِ الله له بالسّجودِ وكَفَرَ، وهو يُريدُ أن يأخُذَ معه بني آدمَ إلى النّار ويُحرِّف الإنسانَ ويُعوِّقه عن الاستجابة للحقِّ حتَّى إنَّه يشدِّدُ عليه في ساعةِ الرّحيلِ ويُشَكِّكُه في أصلِ الدّينِ ويُخَيِّلُ إليه خيالات باطلةً كما قال سيّدُ الأنام ومصباحُ الظَّلام وحبيبُ المَلِك العلاّمِ عليه أفضلُ الصّلاة والسّلام: «أنّ العبدَ إذا كان عند الموت قَعَدَ عنده شيطانان ، الواحدُ عن يمينه والآخرُ

---

[1] ذكره الشيخ شعيب الحريفيش (ت ٨٠١هـ) في "الروض الفائق"، المجلس الثاني في قوله تعالى: ﴿الرحمن، علّم القرآن﴾، صـ١٤.

عن شماله فالذي عن يمينه على صِفَةِ أبيهِ يقول له: يا بُنيّ ! إنّي كنتُ عليك شفيقًا ولك مُحِبًّا ولكن مُتْ على دينِ النّصارى فهو خيرُ الأديانِ ، والذي على شماله على صفة أُمِّه تقول له: يا بنيَّ ! إنّه كان بَطَني لكَ وِعاءٌ و ثَدْيي لك سِقاءٌ و فَخِذي لك وِطاءٌ ولكن مُتْ على دينِ اليهودِ وهو خير الأديانِ»[1].

أيّها المسلمون: في حالة الاحتضارِ يكونُ الإنسانُ أَضْعَفَ وفي نفسِ الوقت يكونُ الشّيطانُ عليه أقْوى؛ لأنّ هذه السَّاعةَ هي الفرصةُ الأخيرةُ أمامَه لغَوايَة هذا العبد الْمُحتَضَرِ، فيَسْتَعْمِلُ كلَّ قوّةٍ وكلَّ حيلة ويَسْتَنْفِرُ عليه كلَّ أعْوانه، فلا تأمَنوا مكرَ الله وتَفكَّروا بشدّةِ سَكَرات الموت وظهورِ أهوالِه وغَمَراته، وَاحترِزوا من الأسباب التي تُفْضِي إلى سوء الخاتمةِ واعلموا أنّ أَلَمَ الموت أفْظَعُ هولٍ في الدنيا والآخرة، وعندما يرى الْمُحْتَضَرُ مَلَكَ الموت تحصل لديه السَّكَراتُ والعَبَراتُ فهو يسمعُ ولا يستطيعُ أن يرُدَّ، ولا يستطيعُ أن يُعَبِّرَ، ويَحصُل لديه ارتباكُ القلب وعدمُ انتظامِ ضَرَباته، فيَصْحُو أحيانًا ويَغْفُو

---

[1] ذكره القرطبي في "التذكرة"، باب ما جاء أنَّ الميت يحضر الشيطان عند موته وجلساؤه في الدنيا... إلخ، ٣٨/١، [المكتبة الشاملة].

أحيانًا من شدَّة سَكَرات الموت فقد رُوِي: لو أنّ قَطْرَةً من ألمِ الموت وُضِعَتْ على أهلِ السّماء والأرضِ لَماتوا جَميعًا[1].

وكَان أَبُو الدَّرداء رضي الله تعالى عنه يَحْلِفُ بالله: ما أحَدٌ آمَنَ على إِيمانِه أن يُسْلَبه عند الموتِ إلاّ سُلِبَه[2].

وقَال الإمام الْغَزالِيُّ رحمه الله تعالى: عند استقرارِ النفس في التَّرَقّي والارتفاعِ يُعْرَضُ عليه الفِتَنُ، وذلك أنّ إبليسَ قد أنْفَذَ أعوانَه إلى هذا الإنسان خاصَّةً واستعمَلَهم عليه ووكَّلَهم به فيأتون المرء وهو في تلك الحال فيَتَمَثَّلون له في صورة من سَلَف من الأحبّاء الْمَيِّتين الباغينَ له النُّصْحَ في دارِ الدّنيا كالأب والأُمِّ والأَخِ والأُخت والصَّدِيقِ الْحَميمِ فيقول له: أنتَ تموتُ يا فلانُ ونحن قد سَبَقْناكَ في هذا الشّأن فَمُتْ يهوديًّا فهو الدّين الْمَقبولُ عند الله، فإن انصَرَفوا عنه وأَبَى جاءَه آخرون وقالوا له: مُتْ نصرانيًّا فإنَّه دينُ المسيحِ ونُسِخَ به دينُ موسى ويَذْكُرون له عقائدَ كلِّ مِلَّة، فعند ذلك يَزِيغُ اللهُ من يُرِيدُ زَيغَه[3].

---

[1] "شرح الصدور"، باب من دنا أجله وكيفية الموت وشدته، صـ٣٢.

[2] ذكره الغزالي في "الإحياء"، كتاب الخوف والرجاء، ٤/٢١١.

[3] "الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة" مع مجموعة رسائل الغزالي، صـ٥١١.

إخوَاني الْمُسلمين قَال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: «أيّها الناس اتَّقُوا هذا الشرك فإنَّه أَخفَى من دَبيبِ النملِ» فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نَتَّقيه وهو أخفى من دبيب النَّملِ يا رسول الله؟ قال: «قولوا: اللَّهُمَّ إنّا نعوذُ بك من أن نُشْرِكَ بِك شيئًا نعلمُه ونستغفِرُك لما لا نعلمُ»[1].

وقَال الإمام أَحمد رضا خان رحمه الله تعالى: مَن قال كلَّ يوم في الصَّباح: (يا حيُّ يا قَيّومُ لا إلهَ إلاّ أنت) إحدى وأربعين مرّةً، وقَرَأَ سورةَ الكافرونَ عند النَّومِ تكونُ خاتمتُه بالإيمان إن شاء الله[2].

وقال أيضاً: من قال ثلاثَ مرّاتٍ في الصَّباح والْمَساء: (بِسْمِ اللهِ على ديني بسم الله على نفسي ووُلدي وأهلي ومالي) يَحفَظ الله عليه دينَه وإيمانَه ونفسَه ومالَه وأولادَه[3].

أيّها المسلمون: اعلَموا أنَّ مَن ختم له بالكفر والعياذُ بالله يَخْلُدُ في النَّارِ ويَسْتَحِقُّ العذابَ، وقد رُوِي عن سويد بن

---

[1] "مسند أحمد"، ١٤٦/٧، (١٩٦٢٥)، و"المعجم الأوسط"، ٣٤٠/٢، (٣٤٧٩).

[2] "الملفوظ الشريف"، صـ٣١١.

[3] "الوظيفة الكريمة"، صـ٨.

غفلة رضِي الله عنه قال: إذا أرادَ اللهُ أن ينسى أهل النَّارِ جَعَلَ للرجلِ منهم صُنْدُوقًا على قدرِه من نارٍ لا يَنْبِضُ منه عِرْقٌ إلاَّ فيه مسْمارٌ من نار ثُمَّ تُضْرَمُ فيه النّارُ ثُمّ يُقْفَلُ بقُفْلٍ من نارٍ ثُمّ يُجْعَلُ ذلك الصندوقُ في صُنْدوق من نارٍ ثم يُضْرَمُ بينهما نارٌ ثم يقفل بقفل من نار ثم يجعل ذلك الصندوقُ في صندوق من نارٍ ثم يضرم بينهما نارٌ ثم يقفل ثم يُلْقى أو يُطْرَحُ في النّار[1].

وقال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: «يُؤتى بالموت كهيئةِ كَبْشٍ أمْلَحَ فيُنادي مُنادٍ: يا أهلَ الجنّة فَيَشْرَئِبّون وينظرون فيقول: هل تَعْرِفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموتُ وكلُّهم قد رآه، ثُمّ ينادي: يا أهلَ النّار فَيَشْرئبُّون وَيَنْظُرون فيقول: هل تعرِفُون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموتُ وكُلّهم قد رآه، فيُذْبَحُ ثمَّ يقول: يا أهلَ الجنّة خُلُودٌ فلا موتَ ويا أهلَ النّارِ خلودٌ فلا موتَ»[2].

وقد أخرج البخاري في كتاب الرقاق بهذا اللفظ: أنّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «إذا صارَ أهلُ الجنّةِ إلى

---

[1] ذكره المنذري في "الترغيب والترهيب"، ٢٦٨/٤، (٩٢).

[2] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب التفسير، ٢٧١/٣، (٤٧٣٠).

الجنّةِ وأهلُ النّارِ إلى النّار جِيءَ بالموت حتّى يُجْعَلَ بين الجنّة والنّار ثم يُذْبَحُ ثم يُنادي مُنادٍ: يا أهلَ الجنّة لا موتَ ويا أهلَ النّارِ لا موتَ ، فيَزْدادُ أهلُ الجنّةِ فَرَحًا إلى فرَحِهم ويزداد أهلُ النّار حُزْنًا إلى حُزْنهم»[1].

واعلَموا أيّها المسلمون أنَّ سيِّدَ الأوّلين والآخرين وحبيبَ ربِّ العالَمين صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم كان يَتَفَكَّرُ في حِفْظِ إيمان المسلمين ويَبْكي بُكاءً شديدًا من الخوف على إيمانهم كما حُكِيَ أنّ إبليسَ عليه اللَّعنةُ تَمَثَّلَ للنبيِّ عليه الصلاة والسلام يومًا وبيده قارُوْرَةُ ماءٍ فقال: أبِيْعُه بإيمانِ النَّاس حالةَ النَّزعِ، فبكى النّبيُّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم حتَّى بَكَتْ أهلُ بيته فأوحى اللهُ تعالى إليه: أنِّي أحْفَظُ عبادي في تلك الحالة من كيده[2].

فينبغي على كلِّ مسلمٍ أن يسألَ اللهَ عزّ وجلّ حُسْنَ الخاتمة ومحمودَ العاقِبةِ ولا يَقْنَط من رحمته ويسافِر في سبيل

---

(١) أخرجه الإمام محمد بن إسماعيل البخاري في "صحيحه"، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار، ٤/٢٦٠، (٦٥٤٨).

(٢) ذكره الحقي في "روح البيان"، سورة النازعات، ١٠/٣١٥.

الله معَ قوافل الإخوة الدُّعاة إلى الله تعالى، فبذلك يَتَوَلّدُ الفِكْرُ في حِفْظِ الإيمان إن شاء الله عزّ وجلّ.

وفي الختام نسأل الله المنَّان بفضله أن يَتوفَّانَا مسلمين لا مُبدلين و لا مغيرين و لا ضَالِّين و لا زائغين إنّه جواد كريم. وصلّى الله تعالى على رسوله الأمين محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين وبَارَك وسلَّم.

نِدَاءُ النَّهَر

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الدَّاعِيَةِ الْكَبِيرِ أَبِي بِلَالٍ مُحَمَّدٍ إِلْيَاسَ الْعَطَّارِ
الْقَادِرِيِّ الرَّضَوِيِّ حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

تعريب
مجلس التراجم

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، **أمّا بعد:**

فقد حُكي أنّ أبا العباس أحمدَ بن منصور لَمَّا مات رآه رجل من أهل "شيراز" وهو واقفٌ في المحراب بجامع "شيراز"، وعليه حُلَّةٌ ، وعلى رأسه تاجٌ مُكلَّلٌ بالجوهر ، فقال له: ما فعَل اللهُ بكَ ؟ قال: غَفَر لي وأَكْرَمَني وتَوَّجَني وأَدْخَلَني الجنّة ، فقال له: بماذا ؟ قال: بكَثرة صلاتي على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم[1].

صلُّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمّد

رُوِيَ عن كعب الأحبار رضي الله تعالى عنه: أنَّ رجلاً من بني إسرائيلَ أَتَى فاحشةً ، فدَخَل نهرًا يغتَسلُ فيه ، فناداه الماء: يا فلان! أمَا تَستحيِي؟ أَلَم تَتُبْ من هذا الذنب وقلتَ:

---

[1] ذكره السخاوي في "القول البديع"، الباب الثاني: في ثواب الصلاة على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم تسليمًا كثيرًا لمن صلّى عليه، صـ٢٥٤.

إنّكَ لا تعودُ فيه؟ فخرَج من الماء فزِعًا، وهو يقول: لا أَعصي اللّهَ، فأتَى جَبَلاً فيه اثنا عَشَرَ رَجلاً يعبُدون اللّهَ عزّ وجلّ، فلم يَزَل معهم حتّى قَحَطَ مَوضعُهم فنَزَلوا يطلُبون الكَلأَ فمَرّوا على ذلك النهر، فقال لهم الرجلُ: أمّا أنا فلستُ بذاهب معكم قالوا: لِم؟ قال: لأنّ ثَمّ من قد اطّلع منّي على خطيئة، فأنا أستحيي منه أن يراني، فترَكوه ومَضَوا فناداهم النهرُ: يا أيّها العباد ما فعل صاحبُكم ؟ قالوا: زَعَمَ أنّ له هاهنا من قد اطّلع منه على خطيئة فهو يَستَحيي منه أن يراه، قال: يا سبحان الله! إنّ أحدكم يغضَب على وَلَده أو على بعض قُراباته، فإذا تاب ورجَع إلى ما يُحِبُّ أحبّه ، وإنّ صاحبَكم قد تاب ورجع إلى ما أُحِبُّ ، فأنا أُحبُّه فأتُوه فأخبِروه واعبُدوا اللّهَ على شاطئي، فأخبَروه فجاء معهم فأقاموا يعبدون اللّهَ زمانًا ، ثُمّ إنّ صاحبَ الفاحشة تُوُفِّي، فناداهم النهرُ: يا أيّها العباد والعبيد الزُّهّاد! غَسِّلوه من مائي، وادفِنُوه على شاطئي حتَّى يُبْعَثَ يوم القيامة من قُربي، ففعلوا ذلك به، وقالوا: نَبِيتُ ليلتَنا هذه على قبره نَبكي، فإذا أصبحنا سِرْنا، فباتُوا على قبره يبكون، فلمَّا جاء وجهُ السَّحَر غَشِيَهُم النُّعاسُ ، فأصبَحوا وقد أنبت اللّهُ على قبره

اثنتَي عشَرةَ سَرْوَةً، وكان أوّل سَرْوٍ أنبته اللهُ عزّ وجلّ على وجه الأرض، فقالوا: ما أنبت اللهُ هذا الشجر في هذا المكان إلاَّ وقد أَحَبَّ اللهُ عبادتَنا فيه، فأقاموا يعبُدون اللهَ عزَّ وجلَّ على قبره، كلَّما مات رجلٌ دَفَنوه إلى جانبه، فماتوا بأجمعهم[1].

أيّها المسلمون: إنّ الله سبحانه وتعالى ذو رحمة واسعة، ذو رحمة خاصَّة بالمؤمنين، وإذا تاب العبدُ من ذنوبه توبةً صادقةً فإنّ الله تعالى يقبَل توبتَه ويرضَى عنه ويُعَظِّم أجْرَه ويجازيه على ما فَعَل من الخير، ولكن اعلموا أيّها المؤمنون أنَّ من يرتكب الذنوبَ ثُمَّ يتوب عن فعلها، ثُمَّ يُكرِّر ذلك باستمرار فينبغي بل ويتأكَّد عليه أن يَحذَر من أن يَقنَطَ من رحمة الله أو يَيْأَسَ من رَوحِه بل يرجو رحمةَ الله ويخاف من مكره، ويتوب من ذنوبه توبةً صادقةً مستوفيةً لشُروطها وأركانها وذلك بالنَّدَم على ما فات والإقلاع عن الذنب والعَزْم على أن لا يرجِع إليه في المستقبل، فمن فعل هذا فقد قبِل اللهُ عزّ وجلّ توبتَه، كما قال الله تبارك وتعالى في كتابه الكريم:

---

[1] ذكره الإمام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد في "كتاب التوابين"، ذكر التوابين من آحاد الأمم الماضية، توبة صاحب فاحشة، صـ٩٠-٩١.

﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٣٩/٥٣].

وروى الإمام ابنُ ماجه وغيرُه عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «التائبُ من الذنب كمن لا ذنبَ له»[1]. وقال سيِّدُ الأنام ومصباحُ الظَّلام وحبيبُ الْمَلِك العَلاّم عليه أفضلُ الصلاة والسلام: «النَّدَم توبةٌ»[2].

فعلى كلّ مسلمٍ أن يتوبَ إلى الله تعالى توبةً نَصوحًا، ويحذَر من أن تكون التوبةُ باللسان فقط، غير صادرةٍ من القلب النَّادمِ على ما حَدَثَ والْمُصَمِّم على ألاّ يعود، فالله يعلَمُ السِّرَّ وأخفى، والأعمال بالنيّات.

أيّها المسلمون: إنَّ هذا مُتَوَقِّفٌ على مَشيئة الله تعالى، فإن شاء عاقَب على الذنب الصغير بِعَدْله وحكمته، وإن شاء تفضَّل فَرَضِيَ بالعمل اليسير، وعفا عن الْجُرْم الكبير، ورحِم بالإدخال في دار كرامته واعلموا أيّها المؤمنون أنّ النَّدَم والْحُزْن على المعصية طريقٌ يؤكِّد دُخولَ العبد جَنَّات النعيم

---

[1] أخرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، ٤/٤٩١، (٤٢٥٠).
[2] "سنن ابن ماجه"، ٤/٤٩٢، (٤٢٥٢)، و"المستدرك"، ٥/٣٤٦، (٧٦٨٧).

ويُنْجِيه من عذاب جهنَّمَ، وإنّ العبد قد يعمَل الذنبَ ولا يَزال نصب عينيه خائفًا منه، باكيًا، نادمًا، مستحيًّا من ربِّه تعالى، ناكِسَ الرأس بين يديه، مُنْكَسِرَ القلب له فيكون ذلك الذنب أَنْفَعَ له من طاعات كثيرة بما ترَتّب عليه من هذه الأمور الَّتي بها سعادةُ العبد وفَلاحه حتَّى يكونَ ذلك الذنب سبب وُصوله إلى دَرَجاتِ الصِّدِّيقين ودُخُوله جنَّات النَّعيم.

فَمن ذَلك ما رُوِي عن كعب الأحبار رضي الله تعالى عنه أنَّه قال: أصاب رجلٌ من بنِي إسرائيلَ ذنبًا، فحَزِنَ عليه وجعل يجيء ويذهب ويجيء ويقول: بم أُرْضِي ربّي؟ بم أرضي ربّي؟ بم أرضي ربّي؟ فكُتِب صِدِّيقًا[1].

ورُوِيَ عنه أيضًا أنّه قال: انطَلق رجلان من بني إسرائيل إلى مسجد من مساجدهم، فدَخَل أحدُهما، وجَلَس الآخَر خارجًا، فجعل يقول: ليس مثلي يَدْخُل بيتَ الله وقد عصَيْتُ اللهَ، فكتب صدّيقًا[2].

---

[1] "كتاب التوابين"، توبة رجلين من بني إسرائيل، صـ٨٣، و"روض الرياحين"، الحكاية السابعة والخمسون بعد الثلاث مئة، صـ٢٩٣.

[2] "كتاب التوابين"، صـ٨٣، و"روض الرياحين"، صـ٢٩٣.

وحُكيَ عن الشِّبلي رضي الله تعالى عنه أنّه قال: كنتُ في قافلة بـ"الشام"، فخرج الأعرابُ فأخَذوها، وجعَلوا يَعْرِضونها على أميرهم فخرَج جِرابٌ فيه سُكَّرٌ ولَوزٌ، فأكلوا منه ولم يأكُل الأمير فقلتُ له: لِم لا تأكل؟ فقال: أنا صائمٌ فقلتُ: تقْطَعُ الطريقَ وتأخُذ الأموال وتقتُل النفس وأنتَ صائمٌ؟ فقال: يا شيخ اترُكْ للصُّلح مَوضعًا، فلمَّا كان بعد حين رأيتُه يَطُوفُ حولَ البيت وهو مُحْرِمٌ، وقد أَنْحلَته العبادةُ حتَّى صار كالشَّنِّ البالي، فقلتُ له: أنت ذاك الرجلُ، فقال: نعم ذلك الصيامُ أوقع الصُّلحَ بيني وبينه[1].

فيتأَكَّد على كلِّ مؤمن أن يحرِص على الازدِياد في النوافل والسُّنَن والأذكار والصدَقات مع أداء الواجبات المفروضة؛ لأنّه من أفضل الْمُنْجياتِ وأجَلِّ القُرُبات وينبغي أن يحذَر من أن يَحتقِر شيئًا من الأعمال الصالحات؛ لأنَّ القليلَ مع الإخلاص سببُ الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة، فمن ذلك ما نقَل سيّدنا الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: قال الشيخ

---

[1] ذكره عبد الله اليافعي اليمني (ت ٧٦٨هـ) في "روض الرياحين"، الحكاية السابعة والخمسون بعد الثلاث مئة، صـ٢٩٣.

الكتاني رحمه الله تعالى: رأيتُ الجنيد في الْمَنام فقلتُ له: ما فعَل الله بك؟ قال: طاحَتْ تلك الإشارات وذَهَبَت تلك العبارات وما حَصَلْنَا إلاَّ على ركعتين كُنَّا نُصَلِّيهِما في اللَّيلِ[1].

أَيّها الْمُسلمون: لا شكّ أنّ رحمة الله ومغفرته واسعةٌ ولكن لا ينبغي للعاقل أن يغترّ بهذا الكلام فيَفتُر عن وظائف عبادته ويترُك الصلاة والصيام، ويشاهد الأفلام والمسرحيّات الفاضحة، وينظُر إلى النساء الأجنبيات والصُّوَر الجميلة بباعث الشَّهوة ويغتاب المسلمين ويكذِب ويظلِم ويَسْخَر ويغُشُّ ويخدَع ويغدِر ويتخلَّق بأخلاق الأرذال والأنذال ويقطَع الطريق ويروِّع الناس بالقتل والنَّهْب والسَّرِقة بل يَجب الْحَذرُ من ذلك ومع هذا يرجو رحمةَ الله تعالى ويخاف أن يَطرَحه في النار ويخاف من مَكْره وعقابه وعذابه ويكون على ما قاله أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطاب رضي الله تعالى عنه حيث قال: لو نادى مناد من السماء: أيّها الناسُ إنّكم داخلون الجنَّةَ كُلُّكم أجمعون إلاَّ رجلاً واحدًا لَخِفْتُ أن أكون أنا هو، ولو نادى

---

[1] ذكره الغزالي (ت ٥٠٥هـ) في "الإحياء"، كتاب ذكر الموت وما بعده، بيان منامات المشايخ رحمة الله عليهم أجمعين، ٥/٢٦٥.

مناد: أيّها الناسُ إنّكم داخلون النارَ إلاّ رجلاً واحدًا لرَجوتُ أن أكون أنا هو[1]. فيا عبادَ الله إذا كان هذا حال أصحاب النبي صلّى الله عليه وسلّم فحَرِيٌّ بنا أن يكون خوفُنا من النار أشدَّ منهم؛ لأنّ أعمالنا وإخلاصنا لا يقاس إلى أعمالهم وإخلاصهم. والخوفُ وحدَه لا يُنْجِي أحدًا من النار فَالْقَدْر الواجب من الخوف ما حمَل على أداء الفرائض واجتناب المحارم.

أيّها المسلمون: اعلموا أنّ بعضَ المسلمين ليدخُلون النار بسبب معاصيهم وشهَواتهم فينبغي لكلّ مؤمن أن يخاف أن يكون من أهل النَّار ولا يكون من أهل الجنَّة وينبغي أن يحذَر من العذاب والنَّكال وما احتَوتْ عليه من الزَّقُّوم والضَّرِيع والْحَميم والسَّلاسل والأغلال إلى غير ذلك ممَّا فيها من العظائم والأهوال وألوانِ العذاب.

وفي "صحيح مسلم": عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ أهونَ أهل النار عذابًا من له نَعلان وشِراكان من نار، يَغلي منهما دماغُه

---

[1] ذكره الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) في "إتحاف السادة المتقين"، كتاب الخوف والرجاء، بيان أن الأفضل هو غلبة الخوف... إلخ، ٤٢٥/١١.

كما يغلي المِرجَل، ما يَرَى أنّ أحدًا أشدُّ منه عذابًا، وإنَّه لأهونُهم عذابًا»[1]. فيا إخواني المسلمين: ما بالكم في أشدّ العذاب، لا يتَصَوّر فعلاً؟ وانظُروا إلى عَظَمة هذا الحديث أنَّ أخفّ أهل النار عذابًا يوم القيامة لَرَجلٌ تُوضَعُ في أَخْمَصِ قدميه جَمرَتان يَغْلي منهما دماغُه، فمن منَّا لا يَعرِفُ شدَّة حرارة الْجَمْرِ فكيف يكون حال مَن وقَع في هذا العذاب بسبب ذنوبه؟ وكيف يَتَحَمَّل هذا العقاب؟ وفي "صحيح البخاري": عن أبي عمران رضي الله عنه قال: سمعتُ أَنَس بن مالك رضي الله عنه عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «يقول اللهُ تعالى لأهونِ أهلِ النار عذابًا يومَ القيامة: لو أنَّ لك ما في الأرض من شيءٍ أَكنتَ تَفْتَدي به؟ فيقول: نعم»[2].

أيّها المسلمون: تفكّروا في الأهوال التي تكون في يوم القيامة والْفَزَع الأكبر وتأمّلوا في أنواع العذاب الأليم واعلَموا أنّ النجاةَ كلَّ النجاة في الاستقامة على طاعة لله واتّباعٍ لرسوله صلّى الله تعالى عليه وسلّم، وعليهما مَدارُ النجاة والفلاح،

---

[1] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب الإيمان، صـ١٣٤، (٢١٢).

[2] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الرقاق، ٢٦١/٤، (٦٥٥٧).

واجتنبوا كبائر الذنوب فإنَّها مُهْلِكَةٌ، مسَبِّبةٌ لدخول النار، فالحسد والكذب والغيبة والبهتان والظُّلْم والْفُحْش والبَذاء والغَدْر والخِيانة وقَطِيْعَة الرَّحِمِ والبُخْل وتَرْك الفرائض والرياء والسُّمْعة وعُقوق الوالدين وشهادة الزُّور والنظَر إلى النساء الأجنبيات ومحاسنها ومَلابسها بباعث الشهوة ومشاهدة الأفلام والْمَسرحيّات واتّباع الشهَوات وإضاعة الصلاة وجمع المال من المكاسب المحرَّمة وغيرها من الكبائر مُوجِبَةٌ لدُخول النار والعياذُ بالله تعالى من عذاب أهل النار.

فاجتَنبوا إخواني المسلمين هذه الكبائرَ، واستعينوا بالله في عمل الصالحات، والواجب على المسلم ما دامَ على قَيْد الحياة أن يكون مُتَعادلاً بين الخوف والرَّجاء، فلا يُغلِّب جانبَ الرَّجاء لئلاَّ يُفْضي به ذلك إلى الأمن من مَكْر الله فيكون من الخاسرين ولا يغلِّب جانبَ الخوف لئلاَّ يُفْضي به إلى اليَأس من رحمة الله فيكون من الضَّالِّين.

فنسأل اللهَ تعالى أن يُوَفّقَنا وإيّاكم لتقوى الله والوِقاية من عذابه وصلّى الله تعالى على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين وبارَكَ وسلَّم.

عِلَاجُ الغَضَب

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الدَّاعِيَةِ الكَبِيرِ أَبِي بِلَالٍ مُحَمَّدٍ إِلْيَاسَ العَطَّارِ
القَادِرِيِّ الرَّضَوِيِّ حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

تعريب
مجلس التراجم

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّد الأنبياء وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، **أمّا بعد:**

فقد روي عن عامر بن ربيعة رضي الله عنه عن النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم قال: «ما من مسلم يصلّي عليَّ إلاَّ صلَّت عليه الملائكة ما صلّى عليَّ فَلْيُقِلّ العبدُ من ذلك أو ليُكثِرْ»[1].

صلّوا على الحبيبِ! صلّى الله تعالى على محمّد

رُوِي عَن وَهب بن منبِّه رضي الله عنه قال: كان عابد في بني إسرائيلَ أراد الشيطان أن يُضلَّه فلم يستطع، فخرَج العابدُ ذاتَ يومٍ لحاجة وخرج الشيطانُ معه لكي يجد منه فُرْصَةً فأتاه من قِبَلِ الشَّهوة والغضب فلم يستطع منه على شيء فأتاه من قِبَلِ الخوف وجعل يُدْلِي عليه صَخْرَةً من الْجَبَل فإذا بلَغتْه ذكَر اللهَ تعالى فنَأَتْ عنه ثم جعل يتمثَّل بالأسد والسِّبَاع

---

[1] أخرجه ابن ماجه في "سننه"، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب الصلاة على النبي صلّى الله تعالى عليه وسلّم، ١/٤٩٠، (٩٠٧).

فذكَر اللهَ تعالى فلم يُبال به، ثم جعل يتمثَّل له بالْحَيَّة وهو يصلّي فجعل يتَلَوَّى على قدمَيْه وجَسَده حتّى بلَغ رأسَه، وكان إذا أراد السُّجودَ الْتَوَى في مَوضع رأسه من السجود، يعني: وجْهه فلمّا وضَع رأسَه ليسجُد فتَح فاه ليلتقم رأسَه فجعل يَنْحيه حتّى استمكَن من الأرض ليسجُد، فلمّا فرَغ من صلاته وذهب جاء إليه الشيطانُ فقال: أنا فعلتُ بك كذا وكذا فلم أستطع منك على شيء وقد بدَا لي أن أُصادقَك ولا أريد ضَلالتَك بعد اليوم فقال له العابدُ: لا، اليوم الذي خَوَّفْتَني بحمد الله ما خفتُ منْك ولا لي حاجة اليوم في مُصَادَقَتك فقال له: ألا تسألني عن أهلك ما أصابهم بعدَك؟ فقال له العابدُ: أنا متُّ قبلهم، فقال له: ألا تسألني عما أُضلُّ به بني آدم؟ قال: بلى، فأخبِرْني بما تَصِلُ به إلى ضَلال بني آدم؟ قال: بثلاثة أشياء: الشُّحُّ والغَضَب والسُّكْر، فإنّ الإنسان إذا كان شَحيْحًا قلَّلْنا مالَه في عينه فيمنَعه من حُقُوقه ويرغَب في أموال الناس، وإذا كان الرجل غَضُوبًا أَدَرْناه بيننا كما يُدير الصبيانُ الكُرَةَ بينهم ولو كان يُحْيي الْمَوتى بدعوته لم نَيْأَس منه، فإنَّما يَبْني ويَهْدِمُ في كلمة واحدة، وإذا سَكِرَ قُدْناه إلى كلِّ سوء كما تُقَادُ الغنَمُ

بأذنها حيث نشاء فقد أخبَره الشيطانُ أنَّ الذي يغضَب يكون في يد الشيطان كالكُرَة في أيدي الصبيان فينبغي للذي يغضَب أن يصبر لكيلا يصير أسير الشيطانِ ولا يحبط عملُه[1].

وقَال حجَّة الإسلام الإمام محمد الغزالي رحمه الله تعالى: كثير من الناس يدخُلون النارَ بالغَضَب[2]. وقال الحسن رحمه الله تعالى: يا ابن آدم كلَّما غَضِبْتَ وَثَبْتَ، ويُوشك أن تَثِب وثبةً فتقع في النارِ[3].

أَيُّها الْمُسلمون: معنى حقيقة الغَضَب: غَلَيانُ دم القَلْب لطَلَب الانتقام ممَّن حصل منه الأذى، فمتى غضَبَ الإنسان ثارَتْ نارُ الغضَب ثَورانًا يَغْلي به دمُ القلب، وينتَشر في العُروق، ويرتفع إلى أَعالي البَدَن، كما يرتفع الماء الذي يَغْلي في الْقِدْرِ، ولذلك يَحْمَرُّ الوجهُ والعينُ والبَشَرَةُ ويَنْشَأ من ذلك كثير من الأفعال المحرَّمة كالقَتْل والضَّرْب وأنواع الظُّلْم والعُدوان، وكثير من الأقوال المحرَّمة.

---

[1] ذكره أبو الليث السمرقندي في "تنبيه الغافلين"، باب كظم الغيظ، صـ١١٠.

[2] ذكره الغزالي في "كيمياء السعادة"، فصل: علاج خشم واجب است، ٦٠١/٢.

[3] ذكره الغزالي في "الإحياء"، كتاب ذم الغضب والحقد والحسد، ٢٠٥/٣.

ومن آثار هذا الغَضَب في الظاهر: تغيُّر اللون وشدّة الرِّعْدة في الأطراف، وخُروج الأفعال عن الترتيب، واستحالة الخلق، ويمُرُّ الإنسان أثناء غَضَبه بمَشاعر عديدة، منها الصفات التالية: ضَيْق، واسْتياء، وكَدَرٌ، واستثارة، وإحباط، وعُبُوس، وسُخْطٌ، وشَتْمٌ وفُحْش وحسَد، وحِقْد، وكذب، وغيبة، وإفشاء سرّ، وهَتْكُ سِتْر، ونقْمَة، وإساءة، وشَماتة، واستهزاء، وقَطْع الأرحام وإيقاع الطّلاق، وتَهَاجُرُ الجيران، وتَعادي الإخوان وغير ذلك من الصفات التي تَعكِسُ عدَم رضاء الإنسان عن مَوْقف ما تعرض له، بل إنَّه يمنَع المغضوبَ عليه حقَّه من قَضاء دَيْنٍ أو صلَة رَحْم أو ردِّ مَظْلمَة ويهجُره ويصارمُه وينقطع عنه ويَزيد على إضمار الغَضَب في الباطن.

إخواني المسلمين: ينبغي لكلّ مسلم أن يعالج الغضب عند هَيجانه؛ لأنَّه ممَّا يَسوقُ العبدَ إلى الْمُهلكات، وللغَضَب علاجات كثيرةٌ، منها:

العلاج الأوّل: أن يتفكّر العبدُ في الأخبار الواردة في فَضْل العَفْو والصَّفْح عن الناس، ويستحضر الأجر العظيم لكَظْم الغَيْظ كما جاء في "سُنَن أبي داود" عن سَهْل بن مُعَاذ، عن أبيه

رضي الله تعالى عنهما أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «من كظَمَ غَيْظًا وهو قادرٌ على أن يُنْفذَه دَعاه اللهُ عزّ وجلّ على رُءُوس الْخَلائق يوم القيامة حتَّى يُخيّره اللهُ من الْحُور العين ما شاء»[1]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «ثلاثٌ من كُنَّ فيه حاسَبَه الله حسابًا يسيرًا، وأدْخَلَه الجنّة برحمته». قالوا: ما هنّ يا نبيّ الله بأبي أنتَ وأمّي؟ قال: «تُعطي مَنْ حرَمك، وتَصلُ من قطَعكَ، وتَعفُو عمَّن ظلَمكَ»[2]. وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله دُلَّني على عمَلٍ يُدْخلُني الجنَّة، قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «لا تغضَبْ ولك الجنَّةُ»[3]. وفي حديث آخر: أنَّ رجلاً قال للنَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم: أَوْصني، قال: «لا تَغضَبْ»، فردَّد مِرارًا، قال: «لا تغضب»[4].

---

[1] أخرجه أبو دواد في "سننه"، كتاب الأدب، باب من كظم غيظا، ٣٢٥/٤، (٤٧٧٧)، والبيهقي في "شعب الإيمان"، ٣١٣/٦، (٨٣٠٣).

[2] أخرجه الطبراني في "الأوسط"، من اسمه محمد، ١٨/٤، (٥٠٦٤).

[3] ذكره الهيثمي في "مجمع الزوائد"، كتاب الأدب، باب ما جاء في الغضب وثواب من لم يغضب، ١٣٤/٨، (١٢٩٩٠).

[4] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الأدب، ١٣١/٤، (٦١١٦).

أيها المسلمون: كان سيِّدنا نبيُّنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم تختلف وَصَاياه للناس فيُوصي كُلاًّ من الناس بما يناسبه وبما يَحِلُّ مُشْكلَتَه فهذا الرجل أتَى النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم فأَوجَزَ في السؤال: أَوْصني، أوصني، فأَجابَه النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم بجواب مُوجَز: لا تغضَبْ. يدُلّ ذلك على أمرَين: أوّلاً: أن يأخُذ الإنسانُ بالأسباب التي تَحُول بين العبد والغضَب ويتخلّق بِالحِلم والصَّبْرِ ويتحمّل أَذَى الْخَلْق القولية والفعلية.

وثَانياً: أن لا يَنْقاد بأثَر الغضب، فإنّ الغضب قد لا يستطيع أن يرُدّه عن نفسه ولكنّه مأمور أن لا يأخُذ بآثار الغضب وإنَّ النبيَّ صلّى الله عليه وسلّم أرشَدَ المسلمَ إلى معالَجة هذا الغضب فأخبَر صلّى الله عليه وسلّم أنّ القَويَّ من الرجال هو الذي يَمْلكُ نفسَه عند الغضب، فمن يَقْوَى على ملْك نفسه عند غضبه دلَّ على قُوّته وشَجَاعته فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «ليس الشديدُ بالصُّرَعَة، إنَّما الشديدُ الذي يَمْلِك نفسَه عند الغضب»[1].

---

[1] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب، ٤/١٣٠، (٦١١٤).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «من كَفَّ غضبَه كفَّ اللهُ عنه عذابَه يوم القيامة»[1]. وقال عليه الصلاة والسلام: «من كظَم غَيظَه ولو شاء أن يُمْضيَه أَمْضاه مَلأَ الله قلبَه رضًا»[2]. وقد روي أنّه قال رجل من المسلمين: اللَّهمَّ ليس عندي صدَقةٌ أتصدَّقُ بها فأيُّمَا رجلٍ أَصابَ من عِرْضي شيئًا فهو عليه صدَقةٌ، فأَوحَى الله تعالى إلى النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، إنّي قد غفَرتُ له[3]. وقال عليه الصلاة والسلام: «من كظَم غيظًا وهو يَقدر على إنفاذه مَلأَ الله قلبَه أمْنًا وإيمانًا»[4]. ورُويَ عن أمِّ سلَمَة رضي الله عنها أنَّ النَّبيَّ صلّى الله عليه وسلّم دعا خادمًا، فأَبطَأت، وفي يده سواك، فقال: «لولا القِصاص لضرَبتُك بهذا السِّواك»[5]. وعن أبي مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: كنتُ أضرب غلامًا لي،

---

[1] أخرجه البيهقي في "شعب الإيمان"، فصل في ترك الغضب، ٦/٣١٥، (٨٣١١).

[2] ذكره ابن أبي الدنيا في "موسوعته"، كتاب قضاء الحوائج، ٤/١٦٨، (٣٦)، وعلي المتقي الهندي في "كنز العمال"، الجزء الثالث، ٢/١٦٣، (٧١٦٠).

[3] "إحياء علوم الدين"، كتاب ذم الغضب والحقد والحسد، ٣/٢١٩.

[4] ذكره السيوطي في "الجامع الصغير"، صـ٥٤١، (٨٩٩٧).

[5] ذكره أبو يعلى الموصلي في "مسنده"، مسند أم سلمة، ٦/٩٠، (٦٨٩٢).

فسمعتُ من خلفي صوتًا: «اعلَمْ أبا مسعود لَلَّهُ أقدَرُ عليكَ منكَ عليه». فَالتَفَتُّ فإذا هو رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم، فقلتُ: يا رسول الله هو حرٌّ لوجه الله، فقال: «أَمَا لو لم تفعَلْ لَلَفَحَتْكَ النارُ أو لَمَسَّتْكَ النارُ»[1].

وعَن أَنس بن مَالك رضي الله عنه أنَّ النبيَّ صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم قال: «إذا وقَف العبادُ للحساب جاء قومٌ واضعي سُيُوفِهم على رِقابهم تَقطُرُ دمًا فَازدَحَمُوا على باب الجنّة فقيل: من هؤلاء؟ قيل: الشهداء كانوا أحياء مَرزوقين، ثُمَّ نادى مُناد: ليَقُمْ مَن أجرُه على الله فليَدخُل الجنَّة ثم نادى الثانيةَ: ليقم مَن أجرُه على الله فليَدخُل الجنّة قال: ومَن ذا الذي أجرُه على الله عزَّ وجلَّ؟ قال: العافين عن الناس. ثم نادى الثالثةَ: ليقم مَن أجرُه على الله فليَدخُل الجنّة فقام كذا وكذا ألفًا فدخلوها بغير حساب»[2].

العلاج الثاني: أن يخوِّف نفسَه من عقاب الله تعالى، وهو أن يقول: قدرة الله عليَّ أعظمُ من قدرتي على هذا

---

[1] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب الأيمان، صـ٩٠٥، (١٦٥٨).

[2] أخرجه الطبراني في "المعجم الأوسط"، من اسمه أحمد، ٥٤٢/١، (١٩٩٨).

الإنسان، فلو أَمضَيْتُ فيه غضَبي لم آمَنْ أن يُمْضي الله عزّ وجلّ غضَبه عليَّ يوم القيامة فأنا أحوج ما أكون إلى العفو.

العلاجُ الثَّالث: أن يَزيد في الإحسان بالعفو والصلة مجاهَدةً للنفس وإرغامًا للشيطان.

العلاجُ الرابع: أن يتذكَّر حكايات أهل الحلم والعفو عند ثَوَران الغضب كما نقل سيِّدنا الإمام محمد الغزالي رحمه الله تعالى: أَغْلَظَ رجلٌ من قريش لعمر بن عبد العزيز القولَ، فأَطرَقَ عمرُ زمانًا طويلاً ثم قال: أرَدْتَ أن يَستَفزَّني الشيطانُ بعزّ السلطان فأَنالُ منك اليومَ ما تَنالُه منّي غدًا[1]. وقال أبو حامد الغزالي رحمه الله: إنّ سلمان رضي الله عنه لما شُتم قال: إن خَفَّتْ موازيني فأنا شَرٌّ ممَّا تقول، وإن ثَقُلَتْ موازيني لم يضُرّني ما تقول[2]. وكذلك شُتم الربيع بن خثيم فقال: يا هذا قد سمع اللهُ كلامَك وإنّ دون الجنّة عَقَبَة إن قطَعتُها لم يضُرّني ما تقول، وإن لم أَقطَعها فأنا شَرٌّ ممَّا تقول[3]. وسبَّ رجلٌ أبا

---

[1] ذكره الغزالي في "إحياء العلوم"، كتاب ذم الغضب والحقد والحسد، ٢٠٥/٣.

[2] ذكره الغزالي في "إحياء علوم الدين"، ٢١٢/٣.

[3] المرجع السابق.

بكر رضي الله تعالى عنه فقال: ما ستَر الله عنك أكثر[1]. وقالت امرأةٌ لمالك بن دينار رضي الله تعالى عنه: يا مرائي! فقال: ما عرَفني غيرُك[2]. وسَبَّ رجلٌ الشَّعْبيَّ فقال: إن كنتَ صادقًا فغفَر الله لِي، وإن كنتَ كاذبًا فغفَر الله لك[3].

وَحُكي أنَّ رجلاً أخَذ بلِجَام عَديّ بن حاتم فقال: تفخَر بأبيك وهو جَمْرٌ في النار وتفخَرُ على قومك بأن تجلس على وِطاء دونهم، وذكر أشياء وجعل يقصر به وهو واقفٌ لا يحرِّك بَغْلَتَه فقال له لَمَّا سكَت: إن كان بقي عندك شيء تريد أن تذكره فافعل قبل أن يأتي شباب الحيّ فإنّهم إن يسمعوك تقول هذا لشيخهم لم يَرضُوا[4].

وكذلك حكي أنّ بعض الناس أرسلوا الرسائل إلى الإمام أحمد رضا خان وذكروا فيها العبارات الْمُستقبَحة والألقاب

---

[1] ذكره حجة الإسلام الإمام الغزالي في "إحياء علوم الدين"، كتاب ذم الغضب والحقد والحسد، ٢١٢/٣.

[2] المرجع السابق.

[3] "إحياء علوم الدين"، ٢١٢/٣.

[4] ذكره ابن عساكر في "تأريخه"، ذكر من اسمه عدي، عدي بن حاتم الجواد بن عبد الله بن سعد بن الحشرج، ٩٠/٤٠.

السيّئة، فلمّا رأى ذلك أصحابُه غضبوا عليهم وقالوا: نرفع الدعوى في المحكمة، فقال الإمام أحمد رضا خان لأصحابه: قدّموا الهدايا إلى المادحين أوّلاً، ثم أقيموا الدعوى على الهاجين، أي: إذا لم تقدِّموا الهدايا إلى المادحين فلماذا تنتقمون من الذَّامّين؟[1].

العلاج الخامس: أن يُحذّر نفسه عاقبة العداوة والانتقام وتشمير العَدُوِّ في هَدْم أعراضه، والشَّماتة بمصائبه، فإنَّ الإنسان لا يَخلُو عنِ المصائبِ فيخوّف نفسه بعواقب الغضب.

العلاجُ السادس: أن يختار السُّكوت عن الجواب كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «إذا غضب أحدُكم فليَسْكُتْ»[2]. وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من صمَت نجا»[3]. وروى مسلم عن عائشةَ زَوْجِ النَّبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، عن النبي صلّى الله عليه وسلّم

---

[1] "حياة أعلى حضرت"، ١/١٤٣-١٤٤.

[2] أخرجه الإمام أحمد في "مسنده"، مسند عبد الله ب، ١/٥١٥، (٢١٣٦).

[3] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب صفة القيامة والرقائق، ٤/٢٢٥، (٢٥٠٩).

قال: «إنّ الرفق لا يكون في شيء إلاّ زانَه، ولا يُنْزَع من شيء إلاّ شانَه»[1]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رجلاً شتَم أبا بكر والنبيُّ صلّى الله عليه وسلّم جالسٌ فجعل النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم يَعْجَبُ ويتَبسَّمُ، فلَمّا أكثَر ردَّ عليه بعضَ قَوْله فغضب النبيُّ وقامَ فلحقه أبو بكر فقال: يا رسول الله كان يَشتُمُني وأنتَ جالسٌ فلَمَّا ردَدْتُ عليه بعضَ قَوْله غضبتَ وقُمْتَ قال: «إنّه كان معك ملَكٌ يرُدُّ عنك فلَمَّا ردَدْتَ عليه بعض قوله وقَع الشيطانُ فلم أكُنْ لِأَقعَدَ مع الشيطان»[2].

العلاج السابع: أن يعلم أنّ غضبه إنما كان من شيء جرَى على وَفْق مُراد الله تعالى لا على وَفْق مُراده فكيف يُقدّم مرادَه على مُراد الله تعالى.

العلاج الثامن: أن لا يغضَب حَميَّةً لنفسه.

العلاج التاسع: أن يقول الغاضب: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا أمَر رسولُ الله أن يقال عند الغيظ[3].

---

[1] أخرجه مسلم في "صحيحه"،كتاب البر والصلة والآداب، صـ١٣٩٨، (٢٥٩٤).

[2] أخرجه الإمام أحمد في "مسنده"، مسند أبي هريرة، ٤٣٤/٣، (٩٦٣٠).

[3] "صحيح البخاري"، ١٣٠/٤، (٦١١٥)، و"سنن أبي داود"، ٣٢٧/٤، (٤٧٨١).

العلاج العاشر: أن يُغيّر حالتَه، هذا العلاج علَّمه رسول الله صلّى الله تعالى عليه وآله وسلّم لأصحابه في حديثه: «إذا غضب أحدُكم وهو قائم فليَجْلسْ فإن ذهَب عنه الغضَبُ وإلاّ فليَضْطَجعْ»[1].

العلاج الحادي عشر: أن يتوضَّأ عند الغضب كما قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «إنّ الغضَب من الشيطان وإنّ الشيطان خُلِقَ من النار وإنّما تُطْفَأُ النارُ بالماء، فإذا غضب أحدُكم فليتَوَضَّأْ»[2].

العلاج الثاني عشر: قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: قال رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «إنّ الغضب جَمْرَةٌ في قلب ابن آدم أَمَا رأيتُم إلى حُمْرَةِ عينَيه وانتفاخ أَوْدَاجِه فمن أَحَسَّ بشيء من ذلك فليَلْصَقْ بالأرض»[3]. قال

---

[1] أخرجه أبو داود في "سننه"، باب ما يقال عند الغضب، ٣٢٧/٤، (٤٧٨٢).

[2] أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب، ٣٢٧/٤، (٤٧٨٤)، والبيهقي في "شعب الإيمان"، ٣١١/٦، (٨٢٩١).

[3] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الفتن، باب ما أخبر النبي أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة، ٨٢/٤، (٢١٩٨)، والبيهقي في "شعب الإيمان"، فصل في ترك الغضب، ٣٠٩/٦، (٨٢٨٩).

الإمام الغزالي رحمه الله: كأَنَّ هذا إشارة إلى السجود وتمكين أَعَزِّ الأعضاء من أَذَلِّ المواضع وهو التراب؛ لتَستَشْعرَ به النفسُ الذل وتزايل به العزَّة والزَّهْو الذي هو سبب الغضب[1].

العلاج الثالث عشر: ينبغي للغاضب أن يَسْتَنْشِق كما روي أنّ عمر رضي الله عنه غضب يومًا فدعا بماء فَاسْتنشَقَ وقال: إنّ الغضب من الشيطان وهذا يُذهِب الغضب[2].

العلاج الرابع عشر: ينبغي للغاضب أن يقول: يا الله، يا رحمن، يا رحيم.

العلاج الخامس عشر: أن يقول: يا أرحَمَ الراحمين.

العلاج السادس عشر: أن يقرَأ سَبْعَ مَرَّات: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ٣/١٣٤].

أيُّها المسلمون: إنَّ من أَعقَل الناس مَن هم أَقَلُّهم غضبًا فسيّدُ الْخَلْق وأفضلُ الْخَلْق عليه الصلاة والسلام كان لا يغضَبُ لنفسه إنّما كان يغضَبُ إذا انتهكت حرمات الله،

---

[1] ذكره الغزالي في "الإحياء"، كتاب ذم الغضب والحقد والحسد، ٣/٢١٦.

[2] المرجع السابق.

واعلموا أنّ الغضب المحمود: وهو ما كان لله تعالى عندما تُنتَهَكُ مَحارمُه، وهذا النوع ثَمَرَةٌ من ثَمَرات الإيمان؛ إذ أنّ الذي لا يغضَبُ في هذا الْمَحَلّ ضعيفُ الإيمان. وكذلك من الغضب المحمود: الغضب لما يَحْدُثُ للمسلمين من سَفْك للدِّمَاء ، وانتهاك للأعراض، واستباحة للأموال، وإشاعة الفاحشة، والاستهزاء بالدِّين وشعائره، فهذا كلُّه ممّا يُوجب الغضبَ لله تعالى وعلامةٌ على قُوّة الإيمان.

فنَسأَلُ اللهَ عزّ وجلّ أن يَجْعَلَنا من الصابرين والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس، وصَلَّى اللهُ تعالى على حبيبه خَيرِ خَلقِه محمَّد وعلى آله وأصحابِه أجمعين.

عِقَابُ الظُّلْم

لِفَضِيلَةِ الشَّيْخِ الدَّاعِيَةِ الكَبِيرِ أَبِي بِلَالٍ مُحَمَّدٍ إِلْيَاسَ العَطَّارِ
القَادِرِيِّ الرَّضَوِيِّ حَفِظَهُ اللهُ تَعَالَى

تعريب
مجلس التراجم

بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّدنا محمد خاتم الأنبياء وإمام المرسلين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ، **أما بعد:**

فقد حُكِي أنّ أبا العباس أحمدَ بن منصور لَمَّا مات رآه رجل من أهل "شيراز" وهو واقفٌ في المحراب بجامع "شيراز"، وعليه حُلَّةٌ ، وعلى رأسه تاجٌ مُكَلَّلٌ بالْجَوهر ، فقال له: ما فعَل اللهُ بك ؟ قال: غفَر لي وأكرمني وتَوَّجَنِي وأدخلني الجنَّة ، فقال له: بماذا؟ قال: بكثرةِ صلاتي على رسولِ الله صلَّى الله عليه وسلَّم[1].

صلُّوا على الحبيب! صلّى الله تعالى على محمد

قال الإمام الشافعيُّ رحِمَه الله تعالى: خرجتُ أنا وصَدِيقي من الْبَصَرة إلى القرية فظهر لنا قاطعُ طريقٍ وقتَ الظَّهيرَة وقتل صديقي وأَخَذ جميعَ المال والْمَتاع ورَبَطني بحبل ثُمَّ طرَحني على الأرض وهرَب ثُمَّ بعد ذلك حرَّكتُ أعضائي فقطعتُ الحبل

[1] ذكره السخاوي في "القول البديع"، صـ٢٥٤.

ومشيتُ على الأرض ولكن ضيَّعْت الطريق بسبب الْحُزن فلمَّا أظلَمَ الليلُ رأيت ضوءًا من بعيد فمضَيْت حتّى انتَهَيت إلى خَيمَةٍ فناديتُ بسبب شدَّة ظَمَئِي: العطش! العَطَش! فخرج من هذه الخيمة ذلك الرجلُ الذي كان قتل صَديقي فلمَّا أراد أن يضرِبَني بسيفه منَعَتْه زوجتُه من القتل ولكن لم يُطِعْها وأخذني إلى مكان بعيد ثُمَّ جذَبَني إليه فإذا أنا تحته وهو فوقي فلمَّا أراد أن يقتُلَني بسَيفه ظَهَر أسدٌ فأخَذه وافتَرسَه ثُمَّ غاب عن عيني فحمِدتُ الله على ذلك الْمَدَدِ الْغَيبِي، أيّها الإخوة أرأيتم كيف أنّ الظلم من المهلكات العظيمة وأنّ الله تعالى ينتقِمُ من الظالمين ويَسلُبهم نعمتَه فقد روي عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الله لَيُمْلِي للظالم حتَّى إذا أخَذه لم يُفلِتْهُ» قال: ثُمَّ قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢/١١][1].

أيّها المسلمون: في القصَّة السابقة عبرة لمن يَشتغلون بالإرهاب والْعُنْفِ وانتهاك حقوق الناس وإهانة كرامتهم وقتلِ

---

[1] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب التفسير، باب قوله: وكذلك أخذ... إلخ، ٢٤٧/٣، (٤٦٨٦).

نُفوسِهم واعلموا أَنَّ الاعتداء على الإنسان هو أشدُّ حرمةً وأعظم إثمًا وأغلَظُ عُقوبةً وأَسوَأ عاقبةً في الدنيا والآخرة لما فيه من مَعصيةٍ لله ورسولِه وتَضْييعٍ لحقوق الناس.

قَال الإمامُ الجرجاني في كتابه "التعريفات": الظُّلم: وَضعُ الشيء في غيرِ مَوضِعه وفي الشريعة: عبارةٌ عن التَّعدِّي عن الحقِّ إلى الباطلِ، وهو الْجَورُ[1].

وقَد سَمعتُم في القصَّة الْمُتقدِّمة أنّ قاطع الطريق كان يقتُل الناس بغير حقٍّ ويُرَوِّعهم بالنَّهبِ والسَّرِقَة فقد عُجِّلَتْ عُقوبتُه في الدنيا قبلَ الآخرة ولا نعلم ماذا يكون حاله في قبره؟ لأنَّ قتلَ النفسِ بغير حق من المهلكات العظيمة التي تَستحقُّ العقوبة الشديدة: قال أبو الْحَكَم الْبَجَلِيُّ رضي الله عنه: سمعت أبا سعيد الخدريَّ وأبا هريرة رضي الله عنهما يَذكُرانِ عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «لو أنّ أهلَ السماء وأهل الأرض اشتركوا في دمِ مؤمنٍ لأَكَبَّهم الله في النار»[2]. فمن أخذ أموالَ الناس بالقَتْل والنَّهب والسرِقَة خَسِرَ الدنيا والآخرةَ؛

---

[1] "كتاب التعريفات" للجرجاني، باب الظاء، صـ١٠٢.

[2] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب الديات، ٣/١٠٠، (١٤٠٣).

لأنَّ هذا المالَ الحرامَ الذي يَجمَعه في الدنيا سيحاسب عليه في الآخرة، ونقَل سيّدنا الإمام الفقيه أبو الليث السمرقنديُّ رحمه الله تعالى في "قُرَّة العيون": إنَّ على مَتْنِ الصراط كَلاليب من نارٍ فمن تَقلَّد درهمًا حرامًا تَعلَّقَت كلاليبُ النار في رِجلَيه فلا يَستطيع الْمُرور على الصِّراط حتَّى يَرُدَّ ما أخَذه إلى أهله من حَسَناته ، فإن لم يكُن له حَسَناتٌ حَمَل من ذُنوبهم ووقَع في النار[1]. ورُوِيَ عن أبي هريرةَ رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «أتَدرُون ما المفلس؟» قالوا: الْمُفلس فينا من لا درهمَ له ولا مَتاع فقال: «إنَّ الْمُفلس من أمَّتي مَن يأتي يومَ القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاة ويأتي قد شَتَم هذا وقَذَف هذا وأَكَل مال هذا وسَفَك دَمَ هذا وضرَب هذا فيُعطَى هذا من حَسَناته وهذا من حسناته فإن فَنِيَتْ حسناتُه قبلَ أن يُقضَى ما عليه أُخِذَ مِن خطاياهم فطُرِحَت عليه ثُمَّ طُرِحَ في النار»[2].

اتَّقوا اللهَ يا أَهلَ الصلاة والصيام ويا أهل الحجِّ وفِعلِ الْخَيرات وابتعِدُوا عن التَّعَدِّي على المسلمين وإزهاقِ نفوسهم

---

[1] "قرّة العيون" مع الروض الفائق، في عقوبة آكل الربا، صـ٣٩٢.

[2] "صحيح مسلم"، صـ١٣٩٤، (٢٥٨١)، و"سنن الترمذي"، ١٨٩/٤، (٢٤٢٦).

ظلمًا وعُدوانًا ، واعلموا أنَّ حقيقةَ الْمُفلس هو المذكورُ في الحديث فهُو الهالكُ هلاكًا تامًّا والمعدومُ إعدامًا كاملاً مع الإتيان بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ وحجٍّ وغيرِها من الأعمالِ الصَّالحات، فتُؤخَذ حسناتُه لغُرَمائه فإذا فنيت حسناتُه أُخذَ من سيِّئاتِهم فوُضِعَت عليه ثُمَّ أُلقِيَ في النار فتَحَقَّقَتْ خَسارَتُه وظهر هَلاكُه وإفلاسُه، وروَى الإمام مسلم في "صحيحه" عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم قال: «لَتُؤَدَّنَّ الْحُقوقُ إلى أهلها يومَ القيامة حتّى يُقاد للشَّاة الْجَلحاء من الشاة الْقَرناءِ»[1]. أَي: أنَّ الظالم يُؤَدِّي ما عليه من حُقوقِ الْخَلقِ حتَّى البَهائِم يَقتَصُّ بعضُها من بَعضٍ.

وقَال الشَّيخ أحمد يار خان النعيمي رحمه الله تعالى: إنَّ القِصاص في حقوق الْحَيوانات من بعضها ليس هو من قصاص التّكليف؛ إذ لا تكليفَ عليهم بل هو قِصَاصُ مُقابَلَة[2].

أيّها المسلمون: كان الصَّالحون رحمهم الله تعالى يَتعِدون عن الشُّبهاتِ خائِفين من أن تَألَفَ النفسُ الاسترسالَ

---

[1] أخرجه مسلم في "صحيحه"، باب تحريم الظلم، صـ١٣٩٤، (٢٥٨٢).

[2] "مرآة المناجيح شرح مشكاة المصابيح"، ٦/٦٧٤.

وتَترُك الوَرعَ فمن ذلك ما رُوِي أنّه كان يُوزَنُ بين يدي عمر بن عبد العزيز مِسْكٌ للمسلمين، فأخَذ بأَنفِه حتّى لا تُصيبُه الرَّائحةُ وقال: وهل ينتفع منه إلاّ بريحِه؟ لما استبعد ذلك منه[1]. ومن ذلك ما روَى بعضُهم أنّه كان عند مُحتَضَر فمات ليلاً فقال: أَطفئُوا السِّراجَ فقد حَدَثَ للوَرَثَة حقٌّ في الدُّهنِ[2]. أيّها الإخوة: إنَّ عبادَ الله الصَّالحين يَتفكَّرون في الموت ويَحذَرون ضَغْطَةَ القبر وظُلمَته وضَيْقه، وقال سفيان رضي الله تعالى عنه: مَن أَكثَر ذكرَ الْقَبر وَجَدَه رَوضَةً من رِياضِ الجنَّة، ومن غفَل عن ذكرِه وجَدَه حُفرَةً من حُفَرِ النار[3]. وإنَّ الخائفين من الله تعالى يُؤَدُّون ما عليهم من حقوق الله وحقوق العباد ويُسارِعون إلى الاهتمامِ بحِفظ حُقوق الإنسانِ ورِعايَة مَصالِحهم واجتناب ما يضرّهم كما رُوِي أنّه كان لسيّدنا عثمانَ رضي الله عنه عبدٌ فقال له: إنّي كنتُ عَرَكْتُ أُذُنَك فَاقتَصَّ منّي[4].

---

[1] ذكره الغزالي في "الإحياء"، كتاب الحلال والحرام، ١٢١/٢.

[2] "إحياء علوم الدين"، كتاب الحلال والحرام، ١٢٢/٢.

[3] أورده الغزالي في "إحياء علوم الدين"، كتاب آداب الألفة والأخوة.. إلخ ٢٦٤/٢.

[4] "الرياض النضرة في مناقب العشرة"، الباب الثالث في مناقب أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه، الفصل التاسع في ذكر نبذ من فضائله، ٤٥/٢.

حُكِيَ أنَّ أَدهمَ مَرَّ ذاتَ يومٍ بِبَساتِينَ مدينة "بُخارَى"، وتَوضَّأ من بعض الأنهار الّتي تَتَخَلَّلُها فإذا بتُفَّاحَة يَحملُها ماءُ النَّهر فقال: هذه لا خَطرَ لها فأَكَلَها، ثُمَّ وقَع في خاطره من ذلك وَسواسٌ فعَزَم على أن يَستَحِلَّ من صاحب البُستان فقَرَع بابَ البستان فخرَجَت إليه جاريةٌ فقال: ادْعِي لي صاحبَ المنزِل فقالت: إنّه لامرأةٍ فقال: استَأذِني لي عليها ففَعَلَت، فأَخبَر المرأة بخبر التُّفاحَة فقالت له: إنّ هذا البستان نصفُه لي ونصفه للسلطان، والسلطان يومَئذ بـ"بَلَخ" وهي على مَسيرة عَشرَة من "بخارى"، وأَحَلَّته المرأةُ من نصفها، وذَهَب إلى "بلخ" فاعتَرَضَ السُّلطانَ في مَوكِبِه فأخبره الخبر واستَحَلَّه[1].

أَيُّها الْمُسلمون: في هذه الحكاية عِبرَةٌ ومَوعظة لمن يقطَعون الطُّرُقَ ويَأخُذون الأموال بغيرِ إذن أصحابها فَليَعلَموا أنَّ الله يُعاقِب في الآخرة باستعمال أيِّ شيء يسيرٍ بغيرِ إذن صاحبه فكيف حالُ مَن أخَذ الكثير؟! نقَل العلامة عبد الوهَّاب الشعراني رحمه الله تعالى في "تنبيه المغترين": كان وَهبُ بن مُنَبِّه رحمه الله

---

[1] "رحلة ابن بطوطة"، ذكر بعض فضلاء القدس رحمهم الله تعالى، الجزء الأوّل، صـ٣٤، [المكتبة الشاملة].

تعالى يقول: تابَ شابٌّ من بني إسرائيلَ عن جميعِ الْمَعاصِي ثُمَّ صار يَتعَبَّد، فعَبَد الله سبعين سنةً لا يُفطِر ولا يَنام ولا يَستظِلُّ بظلٍّ ولا يأكُل سَمينًا، فلمَّا مات رآه بعضُ إخوانه في الْمَنام فقال له: ماذا فعَل اللهُ بك؟ قال: حاسَبَني ثُمَّ غفَر لي كلَّ ذَنبٍ إلاَّ عُودًا خَلَّلْتُ به أَسناني بغَير إذن صاحبه فأنا مَحبوسٌ عن الجنَّة بسببه إلى وقتِي هذا[1].

أَيُّها الْمُسلمون: إذا كان هذا حالُ العبد الصَّالح الذي خَلَّل أَسنانه بعُود بغير إذن صاحبه فكيف بالمسلمين الذين يَغصِبون أموال الناس ويَأمَنون العاقِبَةَ؟ فعليهم الاعتبارُ بهذه الحادِثَة: حُكِيَ عن بعضهم: أنّه رُؤِيَ في المنام فقيل له: ما فعَل الله بك؟ قال: غفَر لي وأَحسَنَ إليَّ إلاّ أنّه حاسَبَني حتّى طالَبَني بيوم كنتُ صائمًا فلمَّا كان وقتُ الإفطار أخذتُ حِنطَةً من حائُوتِ صَديقٍ لي فكَسَرتُها فذكَرتُ أنّها لَيسَت لي، فأَلقَيتُها على حنطته فأُخِذَ من حسناتي مقدارَ أَرْشِ كسرِها[2].

---

[1] ذكره العلامة عبد الوهاب الشعراني في "تنبيه المغترين"، الباب الأوّل: من أخلاق السلف الصالح، صـ٥١.

[2] ذكره الملا علي القاري في "مرقاة المفاتيح"، ٨/٨١١، تحت الحديث (٥٠٨٣).

أيّها المسلمون: إنَّ كَسرَ الحنطة بغير إذن صاحبِها هذا أمرٌ خَطيرٌ وقد يَتسَبَّب بالهلاك يومَ القيامة ولكن مع الأَسَفِ الشَّديد ما زال بعضُ الناس في عصرِنا الحاضِر يأكُلون أموال الناس من غير دَعوَةٍ مع أنَّ الذَّهابَ إلى الضِّيافةِ بلا دعوة لا يَجُوز. وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من دخل على غير دعوةٍ دخل سارِقًا وخرَج مُغِيرًا»[1]، ومن الْمُؤلِم أنَّ بعضَ الناس يَستقرِض الدَّراهمَ والدنانير ثُمَّ لا يَرُدُّها إلى الْمُقرِض، فَليَعلَم يقينًا أنَّه إن لم يُؤَدِّ دَينَهُ فسوف يَلحَقُه مَشَقَّة في الآخرة ويَنال وَبالاً على وبالٍ وثُبورًا فوق نَكالٍ ونُقصانًا فوق خَسارٍ.

نَقَل الإمَام أَحمد رضا خان رحمه الله تعالى في "الفتاوى الرضوية" عن "الدر المختار": أنّه يُؤخَذُ لدانِقٍ ثوابُ سبعِ مئة صلاة بالجماعة[2]. ورَوَى الإمامُ الطبراني في "المعجم الكبير": قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم: «حَسَنات هذا تُدفَعُ إلى هذا الّذي ظُلِمَ وسَيِّئات هذا الّذي ظَلَمَه»[3].

---

[1] أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب الأطعمة، ٤٧٩/٣، (٣٧٤١).

[2] "الفتاوى الرضوية"، ٦٩/٢٥، وذكره الحصكفي في "الدر المختار"، ١٥٣/٢.

[3] أخرجه الطبراني في "المعجم الكبير"، ١٤٨/٤، (٣٩٦٩).

أيّها المسلمون: أيُّ وَعيدٍ أعظمُ من هذا الوعيد؟ إنَّه لَوَعيد تَقشَعِرُّ منه جُلودُ المؤمنين وتَنخَلِع من هَوله قلوبُهم ويُوجَد في نُفوسِهم رادِعًا قوِيًّا ووازِعًا ذاتِيًّا يَحُثُّهم على أداء الدين ويَمنَعهم من التَّعدِّي على غيرِهم.

قد نقل سيِّدنا الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في "إحياء العلوم": من ادَّانَ دينًا وهو يَنوِي قَضاءَه وَكَّل اللهُ به ملائكةً يَحفَظونَه ويَدعُون له حتّى يَقْضِيَه[1]. وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: لو أَخَّر القادرُ على أَداء دينه عن الدَّائنِ بغيرِ إذنه كان آثمًا، وصار ظالمًا وكُتِبَت له سَيِّئَةٌ وكانت عليه لَعنةُ الله تعالى حتَّى يُوَفِّي دينه، ولو كانت عنده بِضاعَةٌ يُمكِنُه الوَفاء من ثَمَنِها فيَجِب عليه أن يَبِيعها في الدَّين الّذي عليه ويُؤَدِّيه وإلاَّ يَأثَمُ، وإن رَدَّ الدَّين إلى صاحبه بشَيءٍ لا يُحِبُّه كان آثمًا ولا يَحصُلُ الْخَلاص من ذلك الذنب ما لم يُرضِه؛ وإنَّ ارتكابَه ذلك ممَّا يَزِيدُ في الآثام والذنوب فهو كَبيرةٌ من أعظمِ الكَبائرِ ويَغفُل عنه كَثيرٌ من الناسِ[2].

---

[1] ذكره الغزالي في "إحياء علوم الدين"، ٢/١٠٤.

[2] ذكره الغزالي في "كيمياء السعادة"، ١/٣٣٦.

أيّها المسلمون: من الْمُؤسِفِ أنَّ بعضَ النـاس لا يُـؤَدِّي دينه بعدَ حُلولِهِ مع الاستطاعة ويَمتَنِع عن أداء الـدَّين بعـدَ طَلَبِـه مع أنَّ مُقتَضَى الغَيرَةِ: حُسنُ الْقَـضاء مـع الإحـسانِ وذلـك بـأَن يَمشِي إلى صـاحب الحـقِّ ولا يُكَلِّفُـه أن يَمـشِي إليـه ليَتَقاضـاهُ ولكن مع الأَسَف انعَكَسَ هذا الأَمرُ حتّى احْتاجَ صاحبُ الحـقِّ إلى الطَّلَب والإلْحَـاحِ والـشِّكايَةِ وذلـك لِخُلْـفِ الوعـدِ ونَقْـضِ العَهدِ بل إذا جاء صاحبُ الدَّينِ إلى الْمَديون عند حُلولِ الأَجَـل فيُشَدِّد الكَلامَ عليه ويُسَوِّف له في أداء حقِّه وهكـذا يُماطِـل في تَسديد ما وجَب في ذِمَّته مـع أنَّ الـشارِع جعـل مُجَـرَّدَ الْمَطـلِ الّذي هو تَـأخير الأداء مـع القُـدرَة ظُلمًـا فكيـف بـالتَّرك رَأسًـا؟ واعلموا أنَّ تَضييعَ حُقوقِ العِبادِ أَمرٌ مُهلِكٌ وخَطـرُه عظـيمٌ فقـد كان أحمدُ بن حرب رحمه الله تعالى يقـول: يَخـرُج مـن الـدنيا أَقوامٌ أَغنياءُ من كَثرَة الحسنات فيَأتُون يومَ القيامـة مَفـاليسَ مـن أجلِ تَبِعاتِ الناس[1].

وقال الشيخُ أبو طالب المكـي رحمـه الله تعـالى في "قـوت القلوب": أَكثَر ما يُوبِقُ النـاسَ مـن الكبـائر الْمَظـالم، وأَكثَـر مـا

---

[1] "تنبيه المغترين"، الباب الأوّل: من أخلاق السلف الصالح، صـ٥٣.

يُدخلُهم النارَ ذنوبُ غَيرِهم إذا طُرِحَت عليهم وكَثيرٌ يدخُلون الجنَّة بحسنات غيرهم إذا طُرِحَت عليهم[1].

أيّها المسلمون: إنّ حقوق العباد خَطرُها عَظيم وأَمرُها مُخيفٌ وجَسيمٌ ويَغفُل كثير من الناس عن رِعايَتها في عصرنا الحاضرِ فقد انتَشَر الْغَضَب وعَمَّ إيذاء الْخَلقِ مع أنَّ إيذاءَ المسلم من الْمُحَرَّماتِ الّتي تُفضِي إلى النار لِمَا وَرَدَ فيها من الوعيد الشَّديد الّذي لا يَخفَى. وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من آذَى مسلمًا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى اللهَ»[2]. وقال الله تبارك وتعالى مُهَدِّدًا ومُتَوَعِّدًا من يُؤذِيه ويُؤذِي رسولَه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ [الأحزاب: ٥٧/٣٣].

أيّها المسلمون: من آذَى مسلمًا دُون مُبَرِّرٍ شَرعِيٍّ فيَجبُ عليه أن يَتوبَ ويَعتذِر إليه ويُرضِيه ولا يَعرِض نفسَه لدُخول النار فقد رُوِيَ عن يزيد بن شجرة رضي الله عنه أنّه قال: إنَّ لِجَهَنَّم

---

[1] ذكره الشيخ أبو طالب المكي في "قوت القلوب"، الفصل السابع والثلاثون في شرح الكبائر التي تحبط الأعمال... إلخ، ٢٩٢/٢.

[2] "المعجم الأوسط"، باب السين، من اسمه سعيد، ٣٨٦/٢، (٣٦٠٧).

لَجبابًا في كُلِّ جُبٍّ ساحلاً كساحلِ البحر فيه هَوَامٌّ وحَيَّات كالْبَخاتي وعَقارِب كَالبِغال الذُّلّ فإذا سأل أهل النار التَّخفيفَ قيل: اخرُجُوا إلى السَّاحِل فتَأخُذُهم تلك الهَوَامُّ بشِفَاهِهم وجُنُوبِهم وما شاء الله من ذلك فتَكشِطُها فيَرجِعون فيُبادِرون إلى مُعظَمِ النار ويُسَلَّطُ عليهم الْجَرَبُ حتّى إنَّ أحدَهم لَيَحُكُّ جِلْدَه، حتّى يَبدُو العَظْمُ فيقال: يا فلان! هل يُؤذِيك هذا؟ فيقول: نعم، فيُقال له: ذلك بما كنتَ تُؤذِي المؤمنين[1].

أيّها المسلمون: ليس من شَأن المسلمِ أن يُؤذِي الناس، بل كان من شأنه أن يَرُدَّ الأَذَى عن الإسلام والمسلمين، فقد رَوَى مسلمٌ في "صحيحه" عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النَّبيِّ صلّى الله تعالى عليه وسلّم قال: «لقد رَأيتُ رجلاً يَتقَلَّبُ في الجنَّة في شَجَرة قَطَعها من ظَهرِ الطريق كانت تُؤذِي الناس»[2].

---

[1] "الترغيب والترهيب"، ٤/٢٨٠، (٥٦٤٩). و"المستدرك على الصحيحين"، ٤/٦٢٧، (٦١٤٢)، و"تأريخ مدينة دمشق"، ٦٥/٢٣١.

[2] أخرجه مسلم في "صحيحه"، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق، صـ١٤١٠، (١٩١٤).

أيّها المسلمون: كان رسول الله صلّى الله عليه وسلّم يَرعَى حُقُوقَ العباد ويَحرِص كلَّ الحِرص على أداءِ حقوقِهم: فقد وَرَدَ في حديث الفَضَلِ بنِ عباس قال: جاءني رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم مَوعُوكًا قد عَصَب رَأسَه فقال: خُذ بِيَدِي فأَخَذتُ بيَده فأَقْبَل حتّى جَلَس على الْمِنبَر ثُمَّ قال: «نادِ في الناس» فصِحتُ في الناسِ فاجتَمعُوا إليه فقال: «أمَّا بعدُ: أيُّها الناس فإنّي أَحمَدُ اللهَ إليكم الّذي لا إله إلاَّ هو، أَلا فإنّه قد دَنا منِّي حُقُوقٌ من بينِ أَظهُرِكم فمَن كنتُ جَلَدتُ له ظهرًا فهذا ظَهرِي فليَستَقِدْ منه ومَن كنتُ شَتَمتُ له عِرضًا فهذا عِرضِي فليَستَقِد منه ومن كنتُ أخَذت له مالاً فهذا مالي فليَأخُذ منه ولا يقول رجل: إنِّي أَخشَى الشَّحْناءَ من قِبَلِ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أَلا وإنّ الشَّحناءَ ليسَت من طَبيعتي ولا من شأني أَلا وإنَّ أَحَبَّكُم إلَيَّ مَن أخَذ حقًّا إن كان له أو حَلَّلَني فلَقِيْتُ اللهَ تعالى وأنا طَيِّبُ النفس، وقد أَرَى أنّ هذا غَيرُ مُغنٍ عَنِّي حتَّى أقومَ فيكم مِرارًا».

ثُمَّ قال: «أيُّها الناس من كان عنده شيءٌ فليُؤَدِّه ولا يقل رجل: فُضُوحُ الدنيا، فإنَّ فضوحَ الدنيا أيسرُ مِن فُضُوحِ

الآخِرَة»[1]. وقال عليه الصلاة والسلام: «المسلم مَن سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده والمهاجِرُ من هَجَر ما نهى اللهُ عنهُ»[2]. قال الشيخ أحمد يار خان رحمه الله تعالى: إنَّ المسلمَ الكامِل مَن أَسلَمَ لغةً وشرعًا، والمؤمن الكامل مَن لا يُؤذِي أحدًا بوَجْهٍ من الوُجُوه ولا يَغتاب ولا ينِمُّ ولا يَسُبُّ ولا يَظْلِمُ والمهاجِر الكامل مَن هَجَرَ الخطايا والذنوب مع مُفارَقة الوَطَن وأمَّا الهِجرَةُ من المعاصي والسَّيِّئات فهي باقِيَةٌ إلى يومِ القيامة[3]. قال السيِّد الصَّدرُ الذي يَخجَلُ بِطَلعَته نورُ الشمس والبَدْر، سيِّد الأَنام ومِصباحُ الظَّلامِ وحبيب الْمَلِك العَلاَّم عليه أفضل الصلاة والسلام: «ما يَحِلُّ لمؤمن أَن يَشْتَدَّ إلى أَخِيه». أو قال: «يَشُدُّ إلى أَخيه بنَظْرَة تُؤذِيه»[4]. وقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «لا يَحِلُّ لمسلم أَن يُرَوِّعَ مسلمًا»[5].

---

[1] ذكره ابن عساكر في "تأريخه"، الفضل بن العباس بن عبد المطلب، ٣٢٣/٤٨، والطبراني في "المعجم الأوسط"، باب من اسمه إبراهيم، ٩١/٢، (٢٦٢٩).

[2] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الإيمان، ١٥/١، (١٠).

[3] "مرآة المناجيح شرح مشكاة المصابيح"، ٢٩/١.

[4] أخرجه ابن المبارك في "الزهد"، صـ٢٤٠، (٦٨٩).

[5] أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب الأدب، ٣٩١/٤، (٥٠٠٤).

اعلموا أيّها الإخوة أنّ المسلمين يدٌ واحدة في التَّعاوُن والْمُدَاراةِ والْمُواساةِ ولا يَسَعُهم الْجِدالُ والمِرَاءُ؛ لأنّه يسبِّب انتهاك الأعراض وهَتْك الْحُرُمات وسَلْب الأموال ونَزْع الأَمْن والاستقرار في حياة الناس الآمِنين الْمُطمَئنِّين في مَساكنهم ومَعايِشهم، فقد روى الإمام البخاري عن عُبَادةَ بن الصامت رضي الله عنه قال: خرج النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ليُخبِرَنا بليلة القدر فتَلاحَى رجلان من المسلمين فقال: «خرَجتُ لأُخْبِرَكم بليلة القدر فتلاحَى فُلانٌ وفلان فرُفِعَتْ»[1].

أيّها المسلمون: إنّ في ذلك الحديث عبرة وموعظة من حيث إنّ النبيّ صلّى الله عليه وسلّم رأَى ليلة القدر فخرَج لِيُعلِم الناسَ فتلاحى رجلان فرُفِع علمُها بسبب تلاحي الرجلين وهذا يدُلّ على أنّ التخاصُم يَصرِفُ فضائل كثيرةً عن الناس فلو كان في الْمُلاحاة خيرٌ لَمَا كانت سببًا لرَفْع معرفة ليلة القدر، وكثير

---

[1] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب فضل ليلة القدر، باب رفع معرفة ليلة القدر لتلاحي الناس، ٦٦٢/١، (٢٠٢٣)، والإمام أحمد في "مسنده"، حديث عبادة بن الصامت، والبيهقي في "شعب الإيمان"، باب التماس ليلة القدر في الوتر من العشر... إلخ، ٣٢٧/٣، (٣٦٧٨).

من الناس نحن نراهم اليوم مُتخاصِمين ويقولون: لا يمكن العيش مع المتخاصمين من غير جدال ولا يقتصرون عليه بل يتجرَّؤون على التكلّم بالكلام الفاحش والسبّ والشَّتْم والضَّرْب والْقَتْل ومع الأسف يقع بعضُهم في تعصُّب شديد ويغضَب لعَصَبِيَّته ويضيِّع الحقوق على عَصَبِيَّة جاهلية واعلموا أيها الإخوة أنّ المسلمين كرجل واحد فينبغي بل ويتأكَّد على كلّ مؤمن: أن يَخفِضَ الْجَناح للمؤمنين ويترُك غِلْظَةً في القول ويبتعد عن الجِدال والخِلاف ويحترز من تضييع الْحُقوق فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «مَثَلُ المؤمنين في تَوادِّهم وتراحُمِهم وتعاطُفِهم مَثَلُ الجسَد إذا اشتكَى منه عُضْوٌ تداعَى له سائرُ الجسَد بالسَّهَر والْحُمَّى»[1]. وقال صلّى الله تعالى عليه وسلّم: «لا تَكُونوا إِمَّعَةً تقولون: إن أَحسَنَ الناسُ أَحْسَنَّا وإن ظلَموا ظلَمْنا ولكن وَطِّنوا أنفُسَكم إن أَحسَنَ الناسُ أن تُحْسِنوا وإن أَساءُوا فلا تَظْلِموا»[2].

---

[1] أخرجه مسلم في "صحيحه"، صـ١٣٩٦، (٢٥٨٦).

[2] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو، ٤٠٥/٣، (٢٠١٤).

أيّها المسلمون: أرأيتم كيف كان سيّدنا رسولُ الله صلّى الله تعالى عليه وسلّم يحُثُّ النّاسَ على التسامُح والتَّحبُّب والإحسان ويحذِّرهم من الْجَوْر والظُّلْم فيجب على المسلم أن لا يقلِّدَ الناسَ في إحسانهم وظُلْمهم ولا يَقتفِي أثَرَهم وقد كان السلَفُ الصالح يَرْعَوْن حقوق المسلمين ويَحفَظون مَصالحهم ويحترزون من هَتْك الْحُرُمات وارتكاب الْمَظالِم والْمُوبِقات. فقد روي أنّ ابن الْمُبارَك رضي الله عنه كان بالشام يكتُبُ الحديثَ فكُسِر قلمُه فاستعار فلمَّا فرَغ من الكِتَابة نسِي فجعَل القلَم في مِقْلَمَة فلمَّا رجَع إلى بلده ووَصَلَه فرأَى القلم وعرَفه فتَجهَّز بالْقُدوم إلى الشام لردِّ القلم[1].

اعلموا إخواني المسلمين أنّ المستعير يجب عليه أن يرُدَّ الْمُستَعار إلى الْمُعير ولا يُطِيْل بقاءَه عنده من غير حاجة إلاّ إذا علم رضا صاحبه وأمَّا من أخذ أموالَ الناس بغير حقّ أو وقَع في أعراضهم أو استخدَم الأشياء بغير إذْن أصحابها خَسِر الدنيا والآخِرةَ وجرَى على سبيل الظلم والْمُحرَّمات فينبغي عليه أن

---

[1] "تذكرة الواعظين"، الباب الحادي والعشرون في إظهار أكل الحلال، صـ٢٤٣.

يجتنب الظلم وعواقبه في الدنيا والآخرة ويَتحلَّل من صاحب الْمَظْلِمَة قَبْلَ أن يكون الوَفاء من الْحَسَنات يوم القيامة. وقال سيّدنا الإمام عبد الوهَّاب الشَّعراني رحمه الله تعالى: رُبَّما شحّ أحد المظلومين يوم القيامة فلا يرضَى بجميع أعمال الظالم الصالحةَ في مَظْلِمَة واحدة من مال أو عِرْض أو لَطْمَة[1].

أيّها المسلمون: الْمُساواة بين الأولاد وحُسْن القِيام بهم لا سِيَّما البَنات منهم ثوابٌ عظيمٌ وفَضْل عظيم ونَجاة من النار كما قالت أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها: جاءتْني امرَأَةٌ معها ابنَتَان تسأَلُني فلم تَجِدْ عندي غيرَ تَمْرَة واحدة فأعطيْتُها فقَسَمَتْها بين ابنَتَيها ثُمَّ قامتْ فخرَجتْ فدخَل النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم فحدَّثْتُه فقال: «من يَلِي من هذه البَنات شيئًا، فأَحْسَنَ إليهِنّ، كُنَّ له سِتْراً من النار»[2].

---

[1] "تنبيه المغترين"، الباب الأوّل: من أخلاق السلف الصالح، صـ٥٠.

[2] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الأدب، ٩٩/٤، (٥٩٩٥)، والترمذي في "سننه"، كتاب البر والصلة، باب ما جاء في النفقة على البنات والأخوات، ٣٦٧/٣، (١٩٢٢)، والبيهقي في "شعب الإيمان"، باب في حقوق الأولاد والأهلين، ٤٠٤/٦، (٨٦٧٥).

أيّها المسلمون: كان سيّدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يَعدِل بين الناس في الْقَضِيَّة ويَقْسِم بالسَّوِيَّة ويَقتَصّ للضعيف من الْقَوِيّ وللغريب من القاطن وللمظلوم من الظالم ولا يُفضِّل خَصْمًا على صاحبه وقد شَهِد به رسولُ قيصر الروم عندما جاء إلى "المدينة المنوَّرة"، فسأل عن عمر فوجده يَنام تحت شجرة وهو يتوسَّد دِرَّتَه تعجَّب رسولُ قيصر ممَّا رأى، هو الذي فتَح الدنيا ودرج الْمُلوك والسلاطين ينام بهذه الْهَيئة تحت شجرة وقال كلمته المشهورة: حكَمْتَ فعدَلْتَ فأَمِنْتَ فَنِمْتَ يا عمر. وقال الكلبي: ذكروا أنّه لَمّا أسلَمَ جبَلَةُ بن الأيهم الْغَسَّاني من مُلوك جفنة في خِلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتَب إلى عمر يُعْلِمُه بإسلامه ويستأذنه في الْقُدوم عليه فلمّا وصَل كتابُه إلى عمر سَرَّه ذلك وكتَب إليه يأذَن له في القدوم عليه وأراد عمر الحجَّ من عامه ذلك فخرَج جبَلَةُ معه مشهوراً بالْمَوسِم ينظُر إليه الناسُ ويتعجَّبون من هيئته وكَمَاله فبينا جبلة يطُوف بالبَيت إذْ وَطِئ رجُلٌ من بَني فَزارةَ إزارَه من خلفه فانحلَّ فما ورعَ جبَلَةُ أن رفَع يدَه فهَشَمَ أَنْفَ الْفَزَاري فولَّى الفزاري والدِّماء تَشْخَبُ من أنفه حتّى استَعْدَى عليه عمرَ بن الخطاب فبعَث إلى جبلة فأتاه

فقال له: يا جبلة! هشَمْتَ أنفَ الرجل؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين! اعتَمَد حلَّ إزاري ولولا حُرْمةُ الكعبة لضرَبْتُ بالسَّيف بين عينيه فقال له عمرُ: أمّا أنتَ فقد أقرَرْتَ فإمّا أن تُرْضي الرجلَ وإلاّ أَقَدْتُه منك قال جبلةُ: أو خطير هو لي؟ قال: نعم، قال: وكيف وأنا مَلِكٌ وهو سُوقَةٌ؟ قال عمر: الإسلامُ قد جمَعك وإيّاه فلَسْتَ تَفْضُله إلاّ بالعافية. فقال جبلةُ: أنا أنظُر في هذا الأمر ليلَتي هذه، وانصَرَفَ إلى منزله وتفرَّق الناسُ فلمّا ادْلَهَمَّ الليلُ عليهم تحمَّل جبلةُ في أصحابه من ليلته إلى الشام فتنصَّر هو وقومه[1]. أيّها الإخوة: أرأيتم أنّ الظلم يؤدِّي إلى سلب الإيمان فقد ذكر عن أبي بكر الورَّاق أنّه قال: أكثَرُ ما يَنْزِعُ من القلب الإيمانَ: ظلمُ العباد. وسئل أبو القاسم الحكيم: هل من ذنب يَنْزِع الإيمانَ من العبد؟ قال: نعم ثلاثةُ أشياءَ تَنْزِعُ الإيمانَ من القلب، أوّلُها: تَرْكُ الشُّكْر على الإسلام. والثاني: ترك الخوف على ذَهَاب الإسلام. والثالث: الظلمُ على أهل الإسلام[2].

---

[1] "مختصر تأريخ دمشق"، ٢/٢٥٢، ملتقطاً، [المكتبة الشاملة].

[2] ذكره الإمام أبو الليث السمرقندي (ت ٣٧٣هـ) في "تنبيه الغافلين"، باب: ما جاء في الظلم، صـ٢٠٤.

أيّها المسلمون: إنّ السلَف الصالح رحمهم الله تعالى إن سألوا الناسَ عن أحوالهم فعن اهتمامٍ وعَزْمٍ على القِيام بما يُظْهِرون لهم من الحاجات كما قال ابن سيرين لرجل: كيف حالُك؟ فقال: وما حال من عليه خمسُ مئة درهم دينًا وهو مُعِيْلٌ؟ فدخل ابنُ سيرين منزلَه فأخرَج له ألفَ درهمٍ فدفَعها إليه وقال: خمسُ مئة اِقْضِ بها دينَكَ وخمسُ مئة عُدْ بها على نفسك وعِيَالك، ولم يكن عنده غيرها ثُمَّ قال: والله لا أسأل أحداً حالَه أبَداً، وإنّما فعل ذلك لأنّه خشِي أن يكون سُؤالُه من غير اهتمام بأمره فيكون بذلك مُرائِيًا منافقًا[1].

أيّها الأحبّة: اعلموا أنّ من المهلكات العظيمة التطاوُل على الغير على سبيل الظلم والْعُدوان وخِذْلان المظلوم مع القدرة على نصرته، قد روي عن ابن عبّاس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «قال ربُّكم: وعزّتي وجَلالي لَأَنْتَقِمَنَّ من الظالم في عاجله وآجِله ولأَنتقمنَّ ممَّن رأَى مظلومًا فقدَر أن ينصُرَه فلم يفعَلْ»[2].

---

[1] ذكره الغزالي في "الإحياء"، كتاب آداب العزلة، ٢/٢٨٨.

[2] "المعجم الكبير"، ١٠/٢٧٨، (١٠٦٥٢)، و"المعجم الأوسط"، ١/٢٠، (٣٦).

كان أبو مَيْسَرَةَ رحمه الله تعالى يقول: بلَغَنا أنّ ميتًا ضرب في قبره ضربةً الْتَهَبَ قبْرُه منها ناراً فقال: على ماذا تضرِبوني؟ فقالوا: إنّك مرَرْتَ على مظلوم فاسْتَغاثَ بك فلم تُغِثْه، وصلَّيْتَ مرّةً بغير وُضوء[1]. فهذا حال من لم ينصُر المظلومَ مع القدرة على نُصرته فكيف حال الظالم؟! وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّه قال: «اُنْصُرْ أخاك ظالمًا أو مظلومًا». فقال رجل: يا رسول الله أنصُرُه إذا كان مظلومًا، أفَرأيتَ إذا كان ظالمًا كيف أنصُرُه. قال: «تَحْجُزُه أو تمنَعُه من الظلم، فإنّ ذلك نَصْرُه»[2]. وكان الصالحون رحمهم الله تعالى يَحرِصون على تنفيس الكُرُبات ومُؤاساة ذوي الحاجات ونُصْرَة المظلومين وإغاثة الملهُوفين وإزالة الضُّرّ عن الْمُضْطَرِّين، ويحزَنون من ذنوب الناس، ويَسْعَوْن في إصلاح الْخَلْق وتربيتهم.

---

[1] "تنبيه المغترين"، الباب الأوّل: من أخلاق السلف الصالح، صـ٥١.

[2] أخرجه البخاري في "صحيحه"، كتاب الإكراه، ٣٨٩/٤، (٦٩٥٢)، ومسلم في "صحيحه"، كتاب البر والصلة والآداب، صـ١٣٩٥، (٢٥٨٤)، والترمذي في "سننه"، كتاب الفتن، ١١٢/٤، (٢٢٦٢).

فمن ذلك ما روي أنّه بكى عليّ بن الْفُضَيل رضي الله تعالى عنه يومًا فقيل له: ما يُبْكِيْكَ؟ قال: أَبْكي على من ظلَمني إذا وقَف غداً بين يدَيِ الله تعالى وسئل عن ظُلْمه ولم تكن له حجّةٌ[1]. وقال الفضيل: ما رأيتُ أزهدَ من رجل من أهل "خراسان" جلَس إليّ في المسجد الحرام ثم قام ليطوفَ، فسُرِقَتْ دنانيرُ كانت معه، فجعل يبكي فقلتُ: أعلى الدنانير تَبْكي؟ فقال: لا. ولكن مثَّلَتْني وإيّاه بين يدي الله عزّ وجلّ فأشرَفَ عَقْلي على إدحاض حجّته، فبُكائي رحمةً له[2]. وقد ورَد في السَّرِقَة وعيد شديد: «من سرَق شيئًا جاء يوم القيامة وفي رَقَبَته طَوْقٌ من نار، ومن أكَل شيئًا حرامًا أُوْقِدَت النارُ في بَطْنه ولَها صوت يُرْعِبُ الخلائقَ ساعة ما يقوم من قبره حتّى يَقْضيَ الله بين الخلائق ما هو قاضٍ»[3]. فعلى كلّ مسلم أن يحذِّر الناسَ من الذنوب كبيرِها وصغيرِها ويهتمّ اهتمامًا كبيراً في التحذير والزَّجْر عن المعاصي كلِّها والرذائل الخِلْقِيَّة ولا

---

[1] ذكره الغزالي في "الإحياء"، كتاب آداب الألفة... إلخ، ٢/٢٦١.

[2] ذكره الغزالي في "الإحياء"، كتاب ذم الغضب والحقد، ٣/٢٢٧.

[3] "قرة العيون" مع الروض الفائق، في عقوبة آكل الربا، صـ٣٩٢.

يستنفر ممّن يرتكبون الذنوب والمعاصي بل يصبر صبْرَ المريض على مَرارة الدواء انتظاراً للشفاء ويَسعى في الإصلاح بين إخوانه المسلمين ويحُثّهم على السفر في سبيل الله مع قوافل الإخوة الدُّعاة إلى الله تعالى ولا يمزِّق الناسَ بلسانه وليَعلم أنّ اللهَ تعالى قد حرَّم بين المسلمين السُّخْرِيَّةَ والاستهزاءَ واللَّمْزَ والتنابُزَ بالألقاب السيّئة وذَكر ذلك في سورة الحجرات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١/٤٩]. وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إنّ الْمُسْتَهْزِئين بالناس يُفتح لأحدهم بابٌ من الجنّة فيقال: هَلُمَّ، هلُمَّ، فيَجيءُ بكَرْبه وغمّه فإذا جاء أُغْلق دونَه ثُمَّ يُفتح له بابٌ آخَر فيُقال له: هلُمّ، هلُمّ، فيجيء بكَربه وغمّه فإذا جاء أغلق دونه فما يزال كذلك حتّى إنّ الرجل لَيُفتح له الباب فيقال له: هلمّ، هلمّ، فما يَأتيه»[1].

---

[1] "موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا"، كتاب الصمت، ١٨٣/٧-١٨٤، (٢٨٧).

أيّها المسلمون: إنّ من ارتكب الذنوب فليَتُب إلى الله تعالى وليعْزِم على أن لا يعُود إليها في المستقبل وليَقضِ ما تركه من الصلاة والصيام وليرُدّ المغصوبَ وغَرامَة ما أتلَفَ من أموال الناس وليطْلُب العفو من الْمُغْتاب إذا بلَغتْه الغيبةُ ويجب عليه أن يستحِلّ ممّن كان يَسخَرُ به ويحتقره ويصدمه ويؤْذيه ويمزِّق عِرضه وينبغي أن يطْلُب رِضاه ويُطيِّب قلبَه بما يقدر عليه ولا يستحيي من الاستحلال ولا يتَكَبّر بل يتوَاضَع ويضْرَع؛ لقول النبيّ صلّى الله تعالى عليه وآله وصحبه وسلّم: «مَن تواضَع للهِ رفَعه اللهُ»[1]. ويجب أن يستحِلّ ممّن ظلَمه في مال أو عِرْض قَبْل أن يكون الوَفاءُ مِن الْحسنات وينبغي بل ويتأَكّد على المظلوم أن يعْفوَ عن الظالمين رجاءً أن يعفُو اللهُ عنه يومَ القيامة.

---

[1] ذكره أبو القاسم سليمان بن أحمد اللَّخمِي الطبَراني (ت ٣٦٠ هـ) في "المعجم الأوسط"، من اسمه عيسى، ٣٨٢/٣، (٤٨٩٤)، وأبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى الخسروجردي البيهقي (٣٨٤-٤٥٨هـ) في "شعب الإيمان"، باب في حسن الخلق، ٢٩٧/٦، (٨٢٢٩)، ونور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي في "مجمع الزوائد ومنبع الفوائد"، كتاب الآداب، باب في التواضع، ١٥٦/٨، (١٣٠٦٧).

يا معشر المسلمين: سامِحُوني بفضلِكم واجْعَلوني في حلٍّ من كلّ حقّ شديد عظيم لَكم عليَّ، وها أنا ألتمِسُ منكم القول من صميم قلُوبِكم: (جعَلْناك في حلّ من كُلّ حقٍّ)، ومن شتَمْتُ له عِرضاً فليَقْتَصّ منّي، ومن أخَذْتُ له مالاً فليَأْخُذْه منّي أو يَجعَلْني في حلّ، وَاعْلمُوا أنّي قد أَبرَأتُ النّاسَ مِن جميعِ الْحقوق من مال وعِرض، وقد عفوتُ عمّن يظلِمُني ويقتُلُني.

في الْخِتام أَلْتمِس من إخواني المسلمين أنّ مَن كانت عنده مَظْلمة فليَكْتب أَسَامي أصحاب المظالم واحداً واحداً وليَطُف في نواحي العالَم وليَطْلُبهم وليَسْتحلّهم أو ليؤَدّ حقوقَهم، فإن عجز عن طلبهم وعن طَلب وَرَثتهم فليَضْرع وليَبْكي وليستغفر اللهَ وليَدْعو لصاحبِ الحقِّ وليتصَدّق له رجاءً أَن يَرْحمَه اللهُ تعالى يوم القيامة وليُكثر من الحسنات حتّى تُفيض عنه يوم القيامة.

عن سيّدنا أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: بينا رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم جالسٌ إذ رأَيْناه ضحِك حتّى بدَتْ ثَنَايَاه، فقال له عمرُ: ما أَضْحَكَكَ يا رسول الله بأبي أنتَ وأمّي؟ قال: «رجُلان من أُمّتي جثَيا بين يدَيِ ربِّ العِزّة، فقال

أحدُهما: يا ربّ خُذْ لي مَظْلِمتي من أخي، فقال الله تبارك وتعالى للطالب: فكيف تَصْنَع بأخيكَ ولَمْ يَبْق من حسنَاته شيءٌ؟ قال: يا ربِّ فليَحْمِلْ من أَوزاري». قال: وفاضَتْ عَيْنا رسولِ الله صلّى الله عليه وسلّم بالبُكاء، ثُمَّ قال: «إنّ ذاك اليومَ عظيمٌ يَحْتاج النّاس أن يُحْمل عَنْهم مِن أَوْزارِهم، فقال اللهُ تعالى للطالب: ارْفَعْ بَصَرَكَ فَانْظُرْ في الْجَنانِ فرَفَع رأْسَه، فقال: يا ربِّ أَرى مَدَائِنَ من ذهَب وقُصوراً من ذهَب مُكَلَّلَةً باللُّؤْلُؤ، لأَيّ نبيٍّ هذا أَوْ لأَيّ صِدِّيقٍ هذا أو لأَيّ شهيد هذا؟ قال: هذا لِمن أَعطى الثَّمَن، قال: يا ربِّ ومَن يَمْلِك ذلك؟ قال: أنتَ تَمْلِكُه، قال: بماذا؟ قال: بعَفْوِك عن أخيك قال: يا ربِّ فإنّي قد عفوتُ عنْه قال اللهُ عزّ وجلّ: فخُذْ بيد أخيك فأدخلْه الجنّة». فقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عند ذلك: «اتّقوا الله وأصلِحوا ذات بينكم فإنّ الله تعالى يُصلِح بين المسلمين»[1].

---

[1] أخرجه أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) في "المستدرك على الصحيحين"، كتاب الأهوال، ٥/٧٩٥، (٨٧٥٨)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

وأخيراً نُريد أن نذكُر من آداب الكلام وسُننه؛ ليحرِص المسلمُ على أدائها اقتداءً بسُنّة النبيّ صلّى الله عليه وسلّم ويَنال الأجر العظيم وقال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من أحبَّ سنَّتي فقد أحبَّني ومن أحبَّني كان معي في الجنّة»[1].

[١] ينبغي للمسلم أن يتورَّع في النُّطق ويجتنب اللَّغْو وما لا طائل وراءه ويُراعي أقوالَه كما يراعي أعمالَه فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «إذا رأيتم الرجل قد أُعطِي زُهْداً في الدنيا وقلّةَ مَنطِق فاقترِبوا منه فإنّه يُلقِي الحكمة»[2]. وقال عليه الصلاة والسلام: «من صمَت نجا»[3]. وقال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى: الكلام أربعة أقسام: قسم هو ضررٌ محضٌ وقسم هو نَفْعٌ محض وقسم فيه ضرَرٌ ومنفَعةٌ وقسم ليس فيه ضرر ولا منفعة، أمّا الذي هو ضرر محض فلا بدّ من السُّكوت عنه وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تَفِي بالضرر وأمّا

---

[1] "مشكاة المصابيح"، ١/٥٥، (١٧٥)، وأخرج الترمذي في السنن بلفظ: ((من أحيا سنّتي فقد أحبّني ومن أحبّني... إلخ))، ٤/٣١٠، (٢٦٨٧).

[2] أخرجه ابن ماجه في "سننه"، باب الزهد في الدنيا، ٤/٤٢٢، (٤١٠١).

[3] أخرجه الترمذي في "سننه"، كتاب صفة القيامة، ٤/٢٢٥، (٢٥٠٩).

ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو فُضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الْخُسران فلا يبقى إلاّ القسم الرابع فقد سقط ثلاثة أرباع الكلام وبقي ربع وهذا الربع فيه خطر؛ إذ يمتزج بما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنّع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجًا يخفي دركه فيكون الإنسان به مخاطراً[1]. [٢] يستحبّ أن يتكلّم بصورة هادئة دون جدال وصَخَبٍ وصِيَاح ممّا يقلِّل من شأن المتحدِّث ويسلُبُ منه الوقار والحياء. [٣] يستحبّ أن يلتزم الْهُدوء والابتسام أثناء الكلام وعدم التجهُّم والعُبوس في وجوه الناس. [٤] يستحب أن يتجنّب الكلام حتّى ينتهي المتكلّم في المجلس. [٥] ينبغي أن يجتنب الْفَحشاء ويَحبِس لسانَه عن رديء مقالة ويحترز من عَثْر اللسان وزلّه فقد قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «الجنّة حرام على كلِّ فاحشٍ أن يدخُلَها»[2]. [٦] يستحبّ أن يتمهَّل في كلامه

---

[1] ذكره الغزالي في "إحياء علوم الدين"، كتاب آفات اللسان، بيان عظيم خطر اللسان وفضيلة الصمت، ١٣٨/٣.

[2] ذكره الإمام ابن أبي الدنيا في "موسوعته"، كتاب الصمت، ٢٠٤/٧، (٣٢٥)، والسيوطي في "الجامع الصغير"، صـ٢٢١، (٣٦٤٨).

وبيانه حتّى يفهَم المستمعُ المراد من الحديث ويَعقِل مقصودَه ومَغْزاه. [٧] ينبغي أن يتجنّب مُقاطعة أحد أو تجريحه أو تَخَطِّيه أو السُّخرية من كلامه.

فنَسْأل اللهَ عزّ وجلّ أن يُوَفِّقَنا لاتِّباع سُنن سيِّد المرسلين ويُجَنِّبَنا أَسْباب الهلاك والشَّقاء ويغفِرَ لنا ولوالدَينا ولجميع المسلمين، وصلّى اللهُ وسلّم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس

مقدمة ٦
تعريف موجز عن الشيخ محمد إلياس العطار ٨
هول الصراط ١٣
علاج الذنوب ٣٧
عجز الميت ٦١
موت أبي جهل ٨١
صفقة قصر الجنَّة ٩٥
الشاب الحي ١٢٣
القصر الخراب ١٥٧
الخزينة المليئة بالأسرار ١٧٣
أسباب سوء الخاتمة ١٨٧
نداء النهر ٢٠٧
علاج الغضب ٢١٩
عقاب الظلم ٢٣٧